جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقه

معايير التّقدّم والتّطوّر في القرآن الكريم –عرض وتحليل

رسالة مقدّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كُتبت من قبل الطالب

حسن عماد جواد حسون

بإشراف

أ.د. محمد حسين عبود الطائي

2025م **1447 هـ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)

صدق الله العلي العظيم

الأعراف : 96

ترشيح للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ**(معايير التقدم والتطور في القران الكريم- عرض وتحليل)** لطالب الماجستير **(حسن عماد جواد حسون)** فأني أرشحها للطبع .

التوقيع:-

المشرف:- أ.د محمد حسين عبد

مكان العمل:- جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

التاريخ :- ٢/ ٦/ ٢٠١٥

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ(معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم – عرض وتحليل–) التي قدمت من قبل الطالب(حسن عماد جواد حسون) قد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الدراسات القرآنية والفقه .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الاسم: د. محمد صاحب عبود

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١١/٦/٢٠٢٥

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

أ.م.د. عمار محمد حسين

التاريخ: ٨/٧/٢٠٢٥

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالبـــه ( ) الموسومة

بـ (مقاييس التقدم والتطور في القرآن - عرض وتحليل -

) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية: أستاذ مساعد دكتور

الاسم: أ.م.د. سرمد عادل حماحما

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

التاريخ: ٢٠٢٥/٧/٧ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة بـ(معايير التقدم والتطور في القران الكريم _ عرض وتحليل) وناقشنا الطالب (حسن عماد جواد حسون) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الماجستير، في الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ.م.د. رافع محمد جواد
كلية الإمام الكاظم (ع) / أقسام بغداد
عضواً

أ.د. اقبال وافي نجم
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
رئيساً

م.د. مسلم جواد خضير
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً

أ.د. محمد حسين عبود
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً ومشرفاً

صُدِّقَت في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

التوقيع:
الاسم: أ.د. محمد حسين عبود الطائي
العميد
التاريخ: ٢٠/٥/٢٠٢٠

الإهداء

إلى روح والدي (الشهيد عماد جواد حسون العامري) ضمن تشكيلات الحشد الشعبي, الذي لبى نداء الإيمان والتحق بركب الشهداء والصالحين، أهدي هذا النجاح، امتدادًا لعزمه وإرادته، ووفاءً لعهد التضحية والإيمان؛ إذ لولاه ـــ بعد مشيئة الله ـــ لما كنت حيث أنا، ولما أزهرت ثمار السعي في بستان العلم.

وإنه لعهدٌ موثّق، أقيمه امتدادًا لروحه الطاهرة، وتخليدًا لمقامه الأسمى، مستشعرتًا قول الحقِّ تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) (الطور: ٢١) .

فيا روح أبي، ها أنا أفي بما عقدته عليك، وها هو العلم الذي رعيتَه يزهو بين يديك، فليكن هذا التفوّق نورًا يمتدّ في سجل البرّ والخير، وإشراقًا لا ينطفئ في سبيل التضحية والخلود.

حسن عماد

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر على عظيم توفيقه وإعانته.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان والامتنان لكل من ساندني وساعدني في إنجاز هذه الرسالة, و أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور محمد حسين عبود الطائي عميد كلية العلوم الإسلامية والمشرف على هذه الرسالة، الذي كان له الفضل الكبير في إرشادي ودعمي طوال فترة الكتابة, فقد أسهمت توجيهاته القيمة وملاحظاته الدقيقة في تحسين جودة العمل العلمي.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى الدكتور عمار الأنصاري رئيس قسم الدراسات القرآنية والفقه، على دعمه المستمر وتوجيهاته البناءة التي كانت مصدر إلهام في مسيرتي الأكاديمية.

والشكر موصول لكل أساتيذي الأفاضل الذين كان لهم الفضل الكبير في رفدنا بكل المعلومات ودعمهم ومساندتهم وتوجيهاتهم القيمة.

كما لا يسعني إلا أن أعرب عن امتناني العميق لـ كلية العلوم الإسلامية و جامعة كربلاء، على توفير بيئة أكاديمية متميزة، حيث أتاح لي ذلك فرصة البحث والتعلم.

والشكر موصول إلى مؤسسة الشهداء الذين كان لهم دور مهم في إكمال دراستي وقبولي, فشكرا على دعمهم المستمر لذوي الشهداء.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الأهل والأصدقاء وزملاء الدراسة الذين كانوا إلى جانبي خلال هذه الرحلة الأكاديمية، فدعمهم المعنوي وأفكارهم المثرية كان له أثر كبير في إنجاز هذا العمل.

لكم جميعًا جزيل الشكر والتقدير.

الباحث

الخلاصة:

تبحث هذه الرسالة في (معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم-عرض وتحليل)، وتستعرض كيفية تحديد القرآن الكريم للمعايير التي تحقق التقدم والتطور في مختلف جوانب الحياة الإنسانية, إذ تم تحليل النصوص القرآنية التي تشير إلى المعايير الدينية، الثقافية، العلمية، الاقتصادية، والسياسية التي تشكل أساساً لتحقيق الرقي البشري.

ركزت الرسالة على تفسير الآيات القرآنية التي تتعلق بالتقدم العلمي والاقتصادي والسياسي، وعلاقتها بالقيم الأخلاقية والدينية, وتم عرض المعايير التي يقدمها القرآن لتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة، وتأصيل مفهوم التقدم في ضوء التشريعات القرآنية.

وتمت مقارنة هذه المعايير بالمفاهيم الحديثة للتقدم والتطور، موضحة مدى توافقها مع المفاهيم المعاصرة, وأظهرت الرسالة أن التقدم والتطور في القرآن ليس مجرد تطور مادي، وإنما يشمل بعدًا أخلاقيًا وروحيًا يعزز التنمية المستدامة والمتكاملة.

أخيرًا، توصلت الرسالة إلى أن القرآن الكريم يقدم معايير شاملة ومتكاملة للتقدم، تتجاوز البعد المادي لتشمل التوازن بين الجوانب المادية والروحية، مما يجعله مرجعًا غنيًا للمجتمعات التي تسعى لتحقيق تقدم شامل ومتوازن.

خلصت الرسالة إلى أن القران الكريم يقدم رؤية متكاملة للتقدم والتطور قائمة على توازن القيم الروحية مع المنجزات المادية, وان التقدم الحقيقي يقاس بقدرة المجتمع على الالتزام بالمنظومة القيمية التي تحفظ كرامة الإنسان وتحقق رقيه وتكامله, فاعتماد المعايير القرآنية كمرجعية في التخطيط للتنمية الشاملة, وربط النهضة الحضارية المعاصرة بالأسس الأخلاقية والروحية, ضمان لاستدامة التقدم وحماية المجتمع من الانحراف.

المحتويات:

الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
الخلاصة	د
المحتويات	هـ - و
المقدمة	8-1
الفصل الأول: الإطار النظري لمفردات العنوان	70-9
المبحث الأول: البيان الدلالي لمفاهيم الدراسة	32-10
المطلب الأول: المعايير لغة واصطلاحاً	10
المطلب الثاني: التقدم لغة واصطلاحاً	19
المطلب الثالث: التطور لغة واصطلاحاً	30
المبحث الثاني: الفروق الجوهرية بين مصطلحات العنوان	49-33
المطلب الأول: الفرق بين التقدم والتطور	33
المطلب الثاني: التعريف بالمعايير والقيم والفرق بينهما	40
المبحث الثالث: المصطلحات ذات الصلة بمفهوم المعيار	70-50
المطلب الأول: الموازين	50
المطلب الثاني: المقاييس	53
المطلب الثالث: الاسس	55
المطلب الرابع: القواعد	57
المطلب الخامس: المحددات	60
المطلب السادس: الضوابط	64
الفصل الثاني: المعايير الدينية والثقافية	124-71
المبحث الأول: المعايير الدينية	101-73

المطلب الأول: الإيمان	76
المطلب الثاني: التوحيد	80
المطلب الثالث: الأخلاق	85
المطلب الرابع: التوازن بين الدنيا والآخرة	94
المبحث الثاني: المعايير الثقافية	124-102
المطلب الأول: الثقافة القرآنية	102
المطلب الثاني: العلم والمعرفة	107
المطلب الثالث: الإشارات العلمية	118
الفصل الثالث: المعايير السياسية والاجتماعية والاقتصادية	202-125
المبحث الأول:المعايير السياسية	150-128
المطلب الأول:الجهاد	129
المطلب الثاني: الشورى	136
المطلب الثالث: العدل والحوكمة الرشيدة	145
المبحث الثاني: المعايير الاجتماعية	176-151
المطلب الأول:التعاون	152
المطلب الثاني: القدوة الحسنة	162
المطلب الثالث:الإخلاص	170
المبحث الثالث المعايير الاقتصادية	201-176
المطلب الأول: العمل والإنتاج	177
المطلب الثاني: التجارة	184
المطلب الثالث: التنمية المستدامة	192
الخاتمة	205-202
المصادر والمراجع	221 -206
الخلاصة باللغة الإنجليزية	A-B

المُقدّمـة

بسم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين, وأفضل الصلاة والتسليم على سيد الخلق والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

(تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الذى له ملك السموات والأرض...) (الفرقان/1-2), هو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا, خلق الإنسان من نطفة أمشاج يَبتليه فجعله سميعًا بصيرًا, ثم هداه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا, فمن شكر كان جزاؤه جنة وحريرًا ونعيمًا وملكًا كبيرًا, ومَن كفر لم يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا, نحمده تبارك وتعالى حمدًا كثيرًا، ونعوذ بنور وجهه الكريم من يوم كان شره مستطيرًا...

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لحياة للمسلمين، وهو النص الذي يوجه الإنسان في كل جوانب حياته، ويحتوي على منظومة متكاملة من القيم والمبادئ التي تسعى إلى بناء مجتمع متوازن قادر على مواجهة تحديات العصر, ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية دراسة معايير التقدم والتطور كما وردت في القرآن الكريم؛ لفهم كيفية تطبيق هذه المعايير في واقعنا المعاصر، واستشراف الآفاق التي يمكن أن تفتحها؛ لتحقيق نهضة إسلامية حقيقية.

فقد ذكر السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) قبل عشرات السنين, العبارة التالية مستفتحا بها كتابه المشهور(فلسفتنا): "مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليوم, وتمس واقعها بالصميم هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في محاولة إعطاء أصدق إجابة عن السؤال الأتي: ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية"[1]

[1] - فلسفتنا, السيد محمد باقر الصدر, 10.

ويقول السيد الخوئي(رحمه الله) في مقدمة تفسيره البيان في تفسير القران:"والقرآن مرجع اللغوي، ودليل النحوي، وحجة الفقيه، ومثل الأديب، وضالة الحكيم، ومرشد الواعظ، وهدف الخلقي، وعنه تؤخذ علوم الاجتماع والسياسة المدنية، وعليه تؤسس علوم الدين، ومن إرشاداته تكتشف أسرار الكون، ونواميس التكوين"[1], وانطلاقا من هذا الأساس عزمنا على كتابة هذا البحث مستعينا بالله تعالى, لاستكشاف وتبويب منظومة المعايير القرآنية التي تشكل حجر الأساس في بناء إي مجتمع.

أهمية الموضوع:

يُعدّ التقدم والتطور من المفاهيم المحورية التي تشغل المجتمعات والأمم عبر التاريخ، لما لهما من أثر محوري في تحسين حياة الإنسان، ورفع مستوى الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق الاستقرار السياسي والثقافي, ومع ازدياد التحديات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة، بات من الضروري البحث عن الأُطر الفكرية والمنهجية التي تُمكّن هذه المجتمعات من تحقيق تنمية مستدامة وشاملة, إذ يمثل التقدم والتطور معايير رئيسة لقياس مستوى الازدهار والرقي في مختلف جوانب الحياة, وقد شهدت المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها مراحل متعددة من التطور والتنمية، ارتبطت بعوامل ثقافية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية, ومن بين هذه العوامل، يبرز الدين الإسلامي بوصفه نظاماً شاملاً يقدم رؤية قرآنية متكاملة لبناء مجتمع متقدم ومتوازن.

سبب اختيار الموضوع:

تم اختيار موضوع (معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم) لأهميته الكبيرة في فهم العلاقة بين الدين والتقدم البشري في مختلف مجالات الحياة من خلال القرآن الكريم، بوصفه مرجعية أساسية في الإسلام، يتضمن عدداً من الآيات التي تشد

[1] - البيان في تفسير القرآن, السيد ابو القاسم الخوئي, 2.

الانتباه إلى معايير ترمي إلى تحسين الحياة الإنسانية وتوجيهها نحو التقدم في جوانب متعددة مثل العلم، الأخلاق، الاقتصاد، والسياسة.

وبسبب قلة الدراسات التي تتعلق بهذا الموضوع بصورة مباشرة ارتأيت اختيار هذا الموضوع الذي ينبع من الحاجة الملحة, لفهم كيفية تطبيق المعايير القرآنية في عصرنا الحديث، في ظل التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نواجهها.

وبذا يسهم الموضوع في تقديم رؤية علمية حديثة عن التقدم والتطور بعيداً عن التصورات التقليدية أو الأيديولوجيات السائدة، ويسعى إلى بناء جسر بين النصوص الدينية والمعايير المعاصرة التي تحدد مفاهيم التقدم في عالمنا اليوم.

من خلال هذا البحث، يسعى الباحث إلى تقديم تحليل موضوعي لتلك المعايير القرآنية وتوضيح مدى توافقها مع مفاهيم التقدم الحديثة في إطار علمي ورؤية شمولية.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تقديم إسهام علمي يعزز فهم الباحثين وصناع القرار لمكانة القرآن الكريم في توجيه مسيرة التنمية، وفتح آفاق جديدة لاستثمار هذه المعايير في بناء مجتمعات إسلامية مزدهرة، تتميز بالعدالة والاستقرار والتقدم في المجالات جميعها.

والبحث يقدم قراءة علمية لهذه المعايير، مع الإفادة من مصادر التفسير المعتبرة في المذاهب الإسلامية المختلفة، وربطها بالمفاهيم الحديثة للتنمية والتطور، بما يحقق فهماً معمقاً يساعد الباحثين وصناع القرار على استثمار هذه المعايير بصورة فعّالة في بناء مجتمعات مزدهرة ومستقرة, ويمكن تلخيص غايات الدراسة في الأطر الآتية:

1- تحديد وتعريف معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم بدقة علمية، مع تفصيل لكل معيار وأثره في بناء المجتمع الإسلامي.

2. تحليل المعايير الدينية والثقافية, والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يطرحها القرآن الكريم كأسس للتقدم والتطور.

3. بيان كيفية تطبيق هذه المعايير عمليًا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة, لتحقيق التنمية المستدامة.

4. تقديم توصيات واضحة ومقترحات تطبيقية لتعزيز التقدم والتطور في ضوء المعايير القرآنية.

المنهجية:

استند البحث إلى منهجية تحليلية, تقوم على عرض وقراءة النصوص القرآنية وتحليلها على وفق المصادر المعتبرة في التفاسير عند الأمامية وعند الجمهور، بالإضافة على الربط بين هذه المعايير والمفاهيم الحديثة في التنمية والتقدم، بهدف بناء رؤية شاملة تستجيب لمتطلبات العصر وتحافظ على الأصول الدينية والثقافية.

مشكلة الدراسة:

القران الكريم كتاب هداية إلهي عالمي يضم بين دفتيه كل القوانين والتوجيهات والمقومات اللازمة للحياة فيما لو التزم به الناس, ولكن بسبب ابتعاد الناس عن القران برزت جملة من المشكلات في الحياة اجتماعية واقتصادية وسياسية يحاول الباحث بيان أهم مشكلات ابتعاد الناس عن القران وإيجاد الحلول اللازمة لرجوع الناس إلى القران.

فعلى الرغم من التقدم الهائل الذي تشهده المجتمعات الحديثة في مختلف المجالات، إلا أن الكثير منها يعاني من أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية تهدد استقراره وتطوره, وفي الوقت نفسه، يبرز القرآن الكريم نصاً غني بالمعايير والقيم التي ترمي إلى بناء مجتمع متوازن ومتقدم, لكن يبقى السؤال الأساسي: لماذا ما تزال بعض المجتمعات الإسلامية تعاني من تأخر التنمية على الرغم من توافر هذه المعايير القرآنية؟

وتتمركز مشكلة البحث في عدم وضوح وفهم التطبيق العملي لمعايير التقدم والتطور التي يحددها القرآن الكريم، ولا سيما فيما يتعلق بكيفية دمج هذه المعايير في واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة, فعدم التناسق بين القيم الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية يؤدي إلى تشتت الجهود وتأخر النمو.

وبناء على هذا سعى الباحث إلى تحديد هذه المعايير بوضوح، وتحليلها بصورة شاملة، وبيان أثرها في تحقيق التقدم والتطور، مع تقديم توصيات تطبيقية تساعد على الاستفادة المثلى من هذه المعايير لبناء مجتمع إسلامي متقدم ومتوازن.

فرضيات الدراسة:

1- هناك علاقة إيجابية بين تطبيق معايير التقدم والتطور القرآنية و تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية.

2- ضعف فهم وتطبيق المعايير القرآنية في المجتمعات الإسلامية يسهم في تأخر التنمية والتقدم.

3- تكامل المعايير الدينية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية يؤدي إلى بناء مجتمع متوازن ومتقدم.

4- القدوة الحسنة والتنمية البشرية, والإخلاص في العمل تُعدّ من العوامل الأساسية لتحقيق التقدم والتطور على وفق القرآن الكريم.

الصعوبات:

تبرز صعوبات الموضوع في قلة الدراسات والكتب السابقة المتعلقة بمضامين الموضوع وجوهره بصورة مباشرة فرغم وجود عشرات الدراسات والمؤلفات القريبة من الموضوع لكن لا تتعلق بجوهره وتتمركز ابرز التحديات فيما يأتي:

1- صعوبة تحديد المعايير الدقيقة للتقدم والتطور في القرآن، واختلاف التفسير اللغوي والنحوي للآيات.

2- تداخل مفهومي (التقدم والتطور) في النصوص القرآنية، وصعوبة ربط المعايير القرآنية بالمفاهيم المعاصرة.

3- تعدد المراجع واختلاف التفاسير، مما يتطلب تحليل دقيق واختيار المصادر الموثوقة.

4- اختلاف الفهم القرآني بين الثقافات والقيود الاجتماعية التي قد تؤثر على تقبل الأفكار الجديدة في هذا المجال.

هذه الصعوبات تجعل الدراسة تحتاج إلى منهجية, دقيقة وفهم عميق للنصوص القرآنية لتحديد معايير التقدم والتطور بصورة موضوعية وربطها بالواقع المعاصر وبيان كيفية إسهامها في بناء مجتمع متكامل.

الدراسات السابقة

لا توجد دراسات تتعلق بموضوع البحث بشكل مباشر, لكن وجدنا أن هناك بعض الدراسات قد تتداخل مع موضوعنا في بعض المفاصل , نذكرها للافادة:

1- المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي, رسالة ماجستير,محمود نعمة الجياشي, كلية الفقه , جامعة أهل البيت (عليهم السلام) العالمية**, 2007م.**

2- التنمية المستدامة وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي, رسالة ماجستير, سارة علي إبراهيم, كلية التربية للبنات, جامعة بغداد, 2024م.

3- أسس النهضة والتقدم الاقتصادي في السيرة النبوية, رؤى ماجد طعمة, رسالة ماجستير, كلية أصول الدين,الجامعة العراقية- بغداد, 2010م.

4- مدى إلتزام طلبة الدراسات العليا بالمعايير الاجتماعية المستنبطة من القرآن والسنة وسبل تعزيزه, رسالة ماجستير, سعدي محمد أبو حمادة, كلية التربية , الجامعة الإسلامية/ غزة,2006م.

روافد الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته في الأساس على كتاب الله المنزل (القران الكريم), وعلى جملة من التفاسير والمصادر المختلفة من الفريقين, الأمامية, والجمهور, تضمنت التفاسير المعتمدة, وعلوم القران وكتب الحديث.

كذلك اعتمد على جملة من المراجع المتنوعة الحديثة وتضمنت:

- مجموعة من المراجع والكتب الورقية المتوافرة مثل: بعض كتب السيد محمد باقر الصدر, ومقومات النهوض الإسلامي الشيخ عامر الكفيشي, و سلسلة تراث وآثأر الشهيد مرتضى مطهري.

- مجموعة من برامج المكتبات الالكترونية المتوافرة على الحاسوب, وتضمنت ثلاث مكتبات , المكتبة الشاملة (1-2), ومكتبة أهل البيت (1-2), ومكتبة نور.

- مجموعة من المواقع الالكترونية مثل: موقع مكتبة التفاسير وموقع مكتبة نور, ومكتبة أهل البيت, والمكتبة الشاملة, ومكتبة الشيعة.

خطة البحث:

تم تقسيم الرسالة على ثلاثة فصول, الفصل الأول: الإطار النظري لمفردات العنوان ويتكون من ثلاثة مباحث: المبحث الاول البيان الدلالي لمفاهيم الدراسة, والثاني الفروق الجوهرية بين مصطلحات العنوان, والمبحث الثالث المصطلحات ذات الصلة بمفهوم المعيار.

وضمّ الفصل الثاني مبحثين: المبحث الأول المعايير الدينية, وشمل الإيمان والتوحيد والأخلاق والتوازن بين الدنيا والآخرة, والمبحث الثاني المعايير الثقافية وشمل الثقافة القرآنية, والعلم والمعرفة والإشارات العلمية.

أمّا الفصل الثالث, فكان بعنوان المعايير السياسية والاجتماعية والاقتصادية, وضمّ ثلاثة مباحث: تكون المبحث الأول – المعايير السياسية- من الجهاد والشورى مقارنة مع الديمقراطية, والعدل والحوكمة الرشيدة, والمبحث الثاني- المعايير الاجتماعية- واحتوى على التعاون والتكافل الاجتماعي, والقدوة الحسنة, والإخلاص بالعمل, واشتمل المبحث الثالث- المعايير الاقتصاديّة- على ثلاثة مطالب الاول:

معيار العمل والإنتاج, والثاني معيار التّجارة والتّبادل التجاريّ, والثالث معيار التنمية المستدامة في القران الكريم.

الفصل الأوّل

الإطار النّظريّ لمفردات العنوان

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البيان الدلالي لمفاهيم الدراسة

المطلب الأول:المعايير لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: التقدم لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث:التطور لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : الفروق الجوهرية بين مصطلحات العنوان

المطلب الأول: الفرق بين التقدم والتطور

المطلب الثاني: التعريف بالمعايير والقيم والفرق بينهما

المبحث الثالث: المصطلحات ذات الصلة بمفهوم المعيار

المطلب الاول: الموازين

المطلب الثاني: المقاييس

المطلب الثالث: الاسس

المطلب الرابع: القواعد

المطلب الخامس: المحددات

المطلب السادس: الضوابط

المبحث الأول: البيان الدلالي لمفاهيم الدراسة

ويمكن بيانه من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعايير لغة واصطلاحا:

أولا: المعايير في اللغة:

ورد هذا المفهوم في معاجم اللغة وهو يحمل دلالة لغوية تختلف في صياغتها النصية لكنها تتفق في المعنى, فقد جاء في لسان العرب لابن منظور(ت:1311م)"المعيار من المكاييل: ما عير قال الليث :العيار ما عايرت به المكاييل، فالعيار صحيح تام واف، تقول :عايرت به أي سويته، و هو العيار أو المعيار, يقال: عايروا ما بين مكاييلكم و موازينكم، و هو فاعلوا من العيار، و لا تقل عيرو و عيرت الدنانير و هو أن تلقي ديناراً ديناراً فتوازن به دينارا دينارا، و كذلك عيرت تعييرا إذا وزنت واحدا واحدا، يقال هذا في الكيل و الوزن, قال الأزهري: فرق الليث بين عايرت و عيرت، فجعل عايرت في المكيال و عيرت في الميزان؛ قال: و الصواب ما ذكرناه في عايرت و عيرت فلا يكون عيرت إلا من العار و التعيير"[1], وجاء في كتاب مختار الصحاح للرازي المعايير لغة "المكاييل والموازين وهي مصدر الفعل عاير عياراً"[2].

وذكر صاحب معجم الصحاح في اللغة اصل الكلمة ومصدرها معرفا اياها : "وتَعايَرَ القوم: تعايَبوا, وعايَرْتُ المكاييل والموازين عِياراً وعاوَرْتُ بمعنًى يقال: عايِروا بين مكاييلكم وموازينكم، وهو فاعِلوا من العِيارِ ولا تقل: عَيّروا والمِعْيارُ: العِيارُ, وبناتُ مِعْيَرٍ: الدواهي, والعَيْرانَةُ: الناقة تشبّه بالعَيْرِ في سرعتها ونشاطها, والعيرُ بالكسر: الإبل التي تحمل الميرة، ويجوز أن تجمعه على عيراتٍ"[3].

---

[1] - لسان العرب, ابن منظور, باب العين, 494/9؛ تاج العروس من جواهر القاموس, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي, باب عور, 1/ 3259.

[2] - قاموس مختار الصحاح , محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي, 210.

[3] - الصحاح في اللغة ,اسماعيل بن حماد الجوهري ت(394)هـ , باب العين, 9/2.

وجاء في المعجم الوسيط " العيار كل ما تقدر به الأشياء من كيل أو وزن وما اتخذ أساسا للمقارنة وعيار النقود مقدار ما فيها من المعدن الخالص المعدود أساسا لها بالنسبة لوزنها"[1].

وفي كتاب المغرب في ترتيب المعرب " عَايَرْتُ الْمَكَايِيلَ أَوْ الْمَوَازِينَ إِذَا قَايَسْتُهَا (وَالْعِيَارُ) الْمِعْيَارُ الَّذِي يُقَاسُ بِهِ غَيْرُهُ وَيُسَوَّى (وَعِيَارُ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِير) مَا جُعِلَ فِيهَا مِنْ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ أَوْ الذَّهَبِ الْخَالِصِ (وَمِنْهُ) وَيُقَدِّرُ أَمْرَ الْعِيَارِ الَّذِي وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ"[2], ومما سبق يتبين لنا أن كلمة معايير ومفردها معيار واصلها عاير عياراً وهو نفسه ما يطلق على العيار أو الميزان أي إن الميزان والمعيار مأخوذ من كلمة عيار أو معيار وجمعها معايير وليس العكس؛ لأنه أصلها اللغوي, وهذا ما أكده الدكتور إميل بديع يعقوب(معاصر) في كتابه المعجم المفصل في الجموع إذ ذهب إلى إن المعيار: "هو نفسه العِيَارُ الذي يوزن به"[3], والواضح انه يقصد إن إطلاق اسم العيار أو الميزان على الآلة التي تستخدم لقياس الأوزان هو(الاسم) مأخوذ من كلمة معيار لأنه الأصل في اللغة .

وكذلك أوضح هذا المعنى صاحب كتاب الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية بقوله:"العيار في الأصل مصدر (عايرت المكاييل والموازين) إذا قايستها ثم نقل إلى الآلة أعني ما يقاس به ثم إلى الدليل الذي يعرف به حال الشيء"[4]

وفي معجم المحيط في اللغة ذكر"عايَرْتُ المِكْيَالَ بالعِيَار, وعَيَّرْتُ الدَّنانِيْرَ: وَزَنْتَها واحِداً واحِداً"[5].

وفي قوله تعالى: (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (الإسراء: 35).

---

[1] - المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار, باب العين, 2 / 188.

[2] - المغرب في ترتيب المعرب, أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز, باب العين مع الياء, 4/ 44.

[3] - المعجم المفصل في الجموع , الدكتور إميل بديع يعقوب, 435

[4] - كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، ايوب بن موسى الحسيني ابو البقاء, فصل العين, 1042/1.

[5] - المحيط في اللغة, الصاحب بن عباد ,باب رعى, 1/ 119.

استعمل القران الكريم مرادف المعيار(الميزان) بمعنى القيم والمقاييس, ويُمكن أن يكون المعنى مرتبطًا بالموازين الأخلاقية والشرعية التي تُستعمل لتقييم الأعمال، إذ يتم استعمال القسطاس كـمِعيار للعدل والميزان الصحيح.

فالعيار كما سبق هو أصل المعيار وهو كالميزان او المقياس وهذا هو رأي صاحب كتاب أقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد فقد عرف العيار بأنه "الذي يقاس بهِ غيرهُ و يسوَّى فالميزان و الكيل مِعْيَارٌ لما يُكَال و يُوزن"[1], فيبدو إن المقصود بالعيار هنا هو الأوزان التي تستخدم في الميزان والمعيار هو الميزان نفسه بصورة عامة .

أما في المنبع الموسع فقد فصلوا المِعْيَارُ على وفق العلوم, فذهب إلى إن المعيار " في الفلسفة ، أنموذج متحقق أو متصور لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، ومنه العلوم المعيارية كالمنطق, والأخلاق, والجمال"[2], فإن كلمة معايير تختلف من علم إلى أخر, ويبدو من خلال ما سبق إن المعيار والعيار على الرغم من أنهما مفهومان متشابهان في اللغة العربية، لكنهما يختلفان في الاستعمال والمفهوم فالمعيار هو المقياس الذي يُستخدم لتقييم أو مقارنة شيء ما, ويمكن أن يكون المعيار علميًا, أو فلسفيًا أو حتى اجتماعيًا، ويُستعمل المعيار وسيلة لتحديد إذا كان شيء ما يستوفي شروطًا معينة, مثلًا، (المعيار الأخلاقي) أو (المعيار الأكاديمي), و يُفهم من المعيار أنه يمثل نقطة مرجعية أو قاعدة تُقاس وفقًا عليها أشياء أخرى, أما العيار فهو الوزن أو القيمة التي يتم بها قياس شيء ما.

كما عرف صاحب المنجد في اللغة العِيَار بأنه "هو الذي يُقاس بهِ غيرُهُ"[3]

وتاريخيًا استخدم (العيار) بصورة رئيسية في السياقات التجارية والصناعية كالموازين والمقاييس، مثل عيار الذهب الذي يُستخدم لقياس نقاوته, ويستخدم كذلك في بعض السياقات الفكرية للإشارة إلى القيمة أو الجودة التي يُقاس بها شيء ما,

---

[1] - أقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد , سعيد الخورى الشرتوني, 3 /687.

[2] - المنبع الموسع , عصام حداد و الدكتور حسان جعفر , 1356

[3] - المنجد فى اللغة , علي بن الحسن الهنائي, 540.

فحتى وإن كانت كلمة معيار مأخوذة من العيار في أصلها فإنها تختلف عن أصلها في الدلالة كما سبق, والفرق بينهما هو إن المعيار أكثر تعميمًا ويعني مقياسًا عامًا أو قاعدة تُستخدم لمقارنة الأشياء, أما العيار: فيُستعمل بشكل أضيق في سياقات خاصة مثل الموازين والمقاييس.

ثانياً: المعايير اصطلاحا

لا يختلف تعريف المعايير اصطلاحا اختلافاً كثيراً عن معناها اللغوي, وإنما هو مستنبط من المعنى اللغوي نفسه, ولكن يختلف تعريف المعايير باختلاف العلوم, فكما مر في مفهومها اللغوي معايير كل علم تختلف عن العلم الأخر فلذلك قد تجد تعريفات عدة للمعايير بالنظر إلى العلوم المختلفة وعموما يمكن تعريفها بأنها :

مجموعة من المقاييس, أو الموازين المستخدمة في العلوم المختلفة، أو كما سبق في معناها اللغوي في الفلسفة هو نموذج متحقق لما ينبغي أن يكون عليه الشيء.

وان بعضهم عدّ إن المعيار هو نفسه العيار في اللغة في بعض العلوم فقد جاء في المعجم الوسيط في تعريف العِيارُ في الفلسفة اصطلاحا "نموذج متَحقَّق أَو مُتَصَوَّر لما ينبغي أَن يكون عليه الشيء, و منه:العلوم المعيارية؛ و هي:المنطق و الأَخلاق و الجمال و نحوهأ"[1].

وهذا التعريف يستدعي تحليلًا متأنيًا, لاستيعاب أبعاده النظرية والتطبيقية، ولتحديد دوره في تشكيل المعرفة بالمعايير, وعلى النحو الآتي:

1- طبيعة المعيار بين التحقق والتصور

المعيار على وفق هذا التعريف، يجمع بين الواقعي (الأنموذج المتحقق في الخارج)والمثالي(الأنموذج المتصور)

-الأنموذج المتحقق: يشير إلى معايير موجودة في الواقع، كالقواعد المنطقية التي تحكم الاستدلال الصحيح، أو المبادئ الأخلاقية المُجتمع عليها في ثقافة ما.

[1] - المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية القاهرة, 2 /639

-الأنموذج المتصور: يمثل المُثل العليا التي تسعى العلوم المعيارية إلى تحقيقها، كالعدالة المطلقة في الأخلاق، أو الجمال المثالي في الفن أو نحو ذلك.
هذا الثنائي يخلق حوارًا بين الواقع والمثال، إذ تُوجِّه المعاييرُ المثاليةُ الممارساتِ الواقعية، في حين تُعدِّل الممارساتُ تلك المعاييرَ عبر الزمن.

2- العلوم المعيارية ومجالاتها:

العلوم المعيارية تعطي قواعد لتقييم الامور وتُحدد كيف ينبغي أن تكون,وهي تُقابل العلوم الوصفية، التي تقتصر على وصف الظواهر، ومن أبرز أمثلتها:

أ - **المنطق**: يضع معايير للتفكير السليم، كقوانين الاستدلال واشتراطات البرهان[1], مثل: مبدأ عدم التناقض عند أرسطو(ت:322ق م).

ب - الأخلاق: تُعرّف (الخير والشر)، وتقترح معايير للسلوك الإنساني, مثل: (الفعل الأخلاقي عند كانط(ت:1804م)[2](*) يجب أن يكون قابلاً للتعميم).

ج - الجماليات: تبحث في معايير الجمال والفن، سواءً كانت موضوعية (كالتناسب) أو ذاتية (كالتجربة الشعورية).

د - **علوم أخرى**: كفلسفة القانون (معايير العدالة)، والسياسة (المُثل الدستورية)، وحتى علوم التربية (معايير التعلم المثالي).

3- الجذور الفلسفية للمعيار:

ظهرت فكرة "المعيارية" في تاريخ الفلسفة عبر نقاشات كبرى :

---

[1] - ينظر: معيار العلم في فن المنطق, ابو حامد الغزالي,1.

[2](*) - إيمانويل كانط هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724 - 1804). عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة, وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. كان إيمانويل كانت آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم.

-**عند كانط**, تُبنى المعايير الأخلاقية على نقد العقل الخالص، وتتجلى في (الضرورة القاطعة), فأراد تحرير الأخلاق من قيود الأخلاقيات العاطفية وتشذيبها من الجانب النفعي [1].

-**في المنطق الصوري**, تُعد المعايير قواعدَ ضرورية لضبط الفكر[2] .

- **في الجماليات**، اختلف الفلاسفة بين من يرون المعايير موضوعية (هيجل)(ت:1831م) [3](*) ومن يعدها نسبية (هيوم)(ت:1776م) [4](*).

4- إشكالات ونقود:

واجهت فكرة العيار انتقادات، منها:

-**النسبية الثقافية:** هل المعايير الأخلاقية, أو الجمالية مُطلقة أم أنها مرتبطة بسياقها؟

-**الوضعية المنطقية:** رفضت بعض التيارات فكرة المعايير الميتافيزيقية، وعدتها غير قابلة للتحقق التجريبي .

---

[1] - ايمانول كانط- دراسات نقدية في اعلام الغرب, الجزء الثالث:فلسفة الاخلاق- الحداثة, د. امير عباس صالحي, 8, المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية , العتبة العباسية المقدسة, ط1, قم- ايران, 1440هـ- 2019م.

[2] - - ينظر: معيار العلم في فن المنطق, ابو حامد الغزالي,4.

[3] (*) جورج فيلهلم فريدريش هيغل او هيجل (27 أغسطس 1770 — 14 نوفمبر 1831) فيلسوف ألماني يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. طور المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. كان هيغل آخر بناة «المشاريع الفلسفية الكبرى» في العصر الحديث. كان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة.

[4] (*) ديفيد هيوم (26 أبريل 1711 - 25 أغسطس 1776)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير

-التناقض بين المثال والواقع: كيف نتعامل مع الفجوة بين المعايير المثالية والممارسات العملية؟

وفي موسوعة مصطلحات الفلسفة عرّفها الدكتور جيرار جهامي[1](*)

" إنّ المعيار الذي به نقدّر الأفعال على مثال المعيار الذي به نقدّر ما يفيد الصحة و عيار ما يفيد الصحة هو أحوال البدن الذي نطلب الصحة له، فإن التوسط فيما يفيد الصحة إنما يمكن أن يوقف عليه متى قيس بالأبدان و قدّر بأحوال البلدان. فكذلك عيار الأفعال هو الأحوال المطيفة بالأفعال و إنما يمكن أن توقف على المتوسّط في الأفعال متى قيست و قدّرت بالأحوال المطيفة بها"[2]

وفي أصول الفقه كذلك عرّفها علماء الأصول بعدة تعاريف مختلفة قليلا على وفق العلم لكنها لا تختلف عن المعنى الأساس للتعريف وجوهره منها:

"كل ما تقدر به الأشياء من كيل أو وزن, هو الواجب الذي لا يسع وقته لأداء واجب آخر من جنسه؛ لأنّ الشارع عيّن ذلك الوقت لأداء ذلك الواجب المعيّن فقط، و يسمّيه بعض الأصوليّين الواجب المضيّق. مثاله: شهر رمضان، فإنّ الشارع عيّنه لأداء فريضة الصوم، فلا يجوز أن يؤدّى فيه غير ما عيّنه الشارع له، و هذا القدر متفق عليه".[3]

وكذلك عرّفها بعض الأصوليون, ومنهم صاحب موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" هو الظرف المساوي للمظروف كالوقت للصوم "[4].

وجاء في المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا (ت:1976م) "هو الظرف المساوي للمظروف كالوقت للصلاة, والمعيار عند المنطقيين أنموذج مشخص, أو مقياس مجرد لما ينبغي ان يكون عليه الشيء, ويرادفه العيار وهو ما جعل قياساً

---

[1] (*) الدكتور جيرار جهامي استاذ معاصر في كلية الاداب في الجامعة اللبنانية اختصاص منطق ارسطو وفكر ابن رشد الف عدة كتب منها مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفه والموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والاشكالية اللغوية في الفلسفه العربية وغيرها .

[2] - موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب , د.جيرار جهامي , مجلد 1, 827.

[3] - معجم مصطلحات أصول الفقه, د.قطب مصطفى سانو,424.

[4] - موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون و العلوم ,محمد بن علي التهانوي, 2 /1601 ؛ التعريفات الفقهية, محمد عميم الإحسان,211 .

ونظاماً للشيء, والقاعدة وهي القضية الكلية المنطبقة على جميع جزئياتها, أو الأنموذج المثالي الذي تنسب إليه إحكام القيم, فالمعيار في الأخلاق هو الأنموذج المثالي الذي تقاس به معاني الخير, وفي علم الجمال هو مقياس الحكم على الإنتاج الفني, وفي المنطق هو قاعدة الاستنتاج الصحيح , وفي نظرية القيم هو مقياس الحكم على قيم الأشياء "[1].

وذكر الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم[2](*) في كتابه معجم المصطلحات الفقهية نقلا عن دستور العلماء ان تعريفها عند الأصوليون:

" هو الوقت الذي يكون الفعل المأمور به واقعا فيه و مقدرا به فيزداد ذلك الفعل و ينقص بطول ذلك الوقت و قصره، فيكون ذلك الوقت المعيار بحيث لا يوجد جزء من أجزائه إلا و ذلك الفعل المأمور به موجود فيه كاليوم للصوم بخلاف الظرف، فإنه عندهم هو الوقت الذي يكون الفعل المأمور به واقعا فيه، و لا يكون مقدرا به و مساويا له، بل قد يفضل عنه ".[3]

والمعيار في الفكر النقدي, أو المعيار الإبستمولوجي يخصّ المقصد العميق للمفكّر, أما المعيار المنهجي, فتكمن مهمّته في تحديد الأساليب التقنية التي تؤدّي إلى تنفيذ المعيار الإبستمولوجي أو تجسيده عمليّا, ومن هنا فان كلا المعيارين مرتبطان ببعضهما بعضا.[4]

---

[1] - المعجم الفلسفي , جميل صليبا, 1/ 399-400

[2] - * محمود عبد الرحمن عبد المنعم استاذ أصول الفقه بكلية الشريعة و القانون جامعة الأزهر – القاهرة له عدة مؤلفات في الاصول والفقه منها معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية , والاجزاء عند الاصوليين وغيرها .

[3] - معجم المصطلحات و الألفاظ الفقهية , دكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم , 3 /321 , نقلا عن دستور العلماء 3/298

[4] -ينظر: أركون، الأنسنة في السياقات الإسلامية, 23/ 236؛ الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي و الإسلامي , 2 /2712 .

كذلك عرّفها العلامة ألمجلسي في حاشية كتابه المعروف بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, اصطلاحا: "ما يوزن به الأعمدة كالشاغول[1]، و ما يوزن به الخطوط كالمسطر، و ما يوزن به الشعر كالعروض، و ما يوزن به الفلسفة كالمنطق، و ما يوزن به بعض المدركات كالحس و الخيال، و ما يوزن به الكل كالعقل الكامل، و بالجملة فميزان كل شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء، فميزان الناس يوم القيامة ما يوزن به قدر كل إنسان و قيمته على وفق عقيدته و خلقه و عمله لتجزى كل نفس بما كسبت، و ليس ذلك إلا الأنبياء و الأوصياء، إذ بهم و بإتباع شرائعهم, و اقتفاء آثارهم, و ترك ذلك و بالقرب من سيرتهم و البعد عنها يعرف مقدار الناس و قدر حسناتهم و سيئاتهم، فميزان كل امة هو نبي تلك الأمة و وصى نبيّها, و الشريعة التي أتى بها، فمن ثقلت حسناته و كثرت فأولئك هم المفلحون، و من خفت و قلت فأولئك الذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء, و الأوصياء, أو عدم إتباعهم؛ ففي الكافي و المعاني عن الإمام الصادقυ أنه سئل عن قول الله عز و جل: (و نضع الموازين القسط ليوم القيامة) (الأنبياء: 47), قال: هم الأنبياء و الأوصياء, و في رواية أخرى: نحن الموازين القسط"[2].

وان في مستوى الالتزام بالمعايير وحالات تغيّرها وتطوّرها يسفر عن تصدّع المجتمع والنيل من وحدته وحالة التباين الشديد بين أفراد المجتمع.
ومما تقدم يبدو أنّ المعايير من وجهة نظر علماء الاجتماع تعد هي قواعد للفعل، يضعها المجتمع من وحي قيمته وثقافته ومصالحه،والغرض منها ان تؤدي له

[1] - ويسمى (الشاقول) (عصا في رأسها زج يستعملها الزراع في قياس الأرض أو ضبط حدودها أو استقامة الخطوط و ذلك بأن يربط في أعلاها طرف حبل ثم يمد الحبل و يثبت في شاقول آخر مثله شاقول البنائين و غيرهم (ج) شواقيل), المعجم الوسيط , إبراهيم مصطفى واخرون,1 / 1016.
[2] - بحار الأنوار, العلامة المجلسي , 7/ 244

ولأفراده كافة وظائف ضرورية على وفق كل معيار، ويجعل الأفراد في المجتمع يمتثلون لها عبر وسائل الالتزام (الاستبطان من خلال التنشئة) والإلزام .

ويصنّف علماء الاجتماع المعايير في نوعين: النوع الأول المعايير المكتوبة وهي القوانين والدساتير والأوامر الإدارية، والثاني المعايير غير المكتوبة كالأعراف والعادات والطقوس الشعبية والرأي العام, ولها نوعان: وهي المعايير الآمرة الحاضة على إتيان الفعل، وعكسها المعايير الزاجرة التي تنهى عن القيام بالفعل.[1]

المطلب الثاني : التقدم لغة واصطلاحاً:

ويمكن بيانه على النحو الاتي:

أولا: التقدم لغة :

يرد معنى التقدم في معاجم اللغة في مادة (ق د م) بمعان عدة قد تختلف في النص ولكنها متشابهة في المعنى والمضمون ففي المعجم الوسيط " تَقَدَّمَ فلانٌ : صار قُداماً . و – إليه - تقرب منه . و - إلى فلان بكذا : أمره به أو طلبه منه . ويقال : فلان يتقدم بين يدى أبيه إذا عجل في الأمر والنهي دونه. وتقدم القوم وعليهم سبقهم في الشرف أو الرتبة فصار قدامهم"[2]

وفي المنبع الموسع " تَقَدَّمَ يَتَقَدَّمُ تَقَدُّماً : - غيرَهُ : سبقه وصار أمامه ؛ تَقَدَّم القائد فرقته . – إليه بكذا : قدَّم ؛ تقدم إليه بالعذر / تقدّم إليه بالشكوى . - إليه : تَقَرَّبَ منه ؛ تقدم إلى التَقَدُّمُ: مصـــ.ـ: السَّبْقُ. ـ: الارتقاءُ من حسن إلى أحسن؛ تُسرع البلاد في تقدُّمها الصناعي"[3].

وإن تتبعنا كلمة التقدم في كتب اللغة نجد أنها مأخوذة من الفعل قَدِمَ وتعني " القدم من السفر, وقدُوماً و مَقدَماً بفتح الدال يقال: وردت مَقدَم الحاج (أي تجعله ظرفاً

[1] - ينظر: المعيار,هاني يونس محمد عمران , الموسوعة العربية https://arab-ency.com.sy/ency/details/10400/19 , 6-9-2024.

[2] - المعجم الوسيط , إبراهيم مصطفى وآخرون, 2 /720 .

[3] - المنبع الموسع, عصام حداد والدكتور حسان جعفر , 374.

وهو مصدر) , أي وقت مقدمه الحاج , وقدم بالفتح , أي : يقدم قدما أي تقدم الى شخص, والمُتَقدِمْ : هو الماشي على قَدَميه ، وتَقَدمَ الرجل أي تَقدمَ , والمِقدامْ والمُقادَمة, أي : الرجل الكثير الإقدامْ على العدو، وأسْتَقدَم وَتَقدَم بمعنى أستجاب وأجاب والمُقِدمة : أول كل شيء ، ومُقَدمة الجيش :أوله, وقيل التَقدمْ: الطاقة"[1] فالتقدم بالمعنى اللغوي يعني السير أو التحول أوالانتقال من مكان إلى اخر.

ثانيا: التقدم اصطلاحاً:

لم نجد تعريفاً معيناً ومحدداً للتقدم في الاصطلاح ولكن لا يختلف مفهومه الاصطلاحي كثيراً عما هو عليه في اللغة وقد يصل الى حد التطابق تماما فيمكن معرفة معنى التقدم اصطلاحا من خلال معناه اللغوي, ويعرض جميل صليبا(ت:1976م) وجهة نظر الفلاسفة فيرى إن "التقدم هو السير إلى الأمام، أو الحركة إلى جهة معينة وهو ضد التراجع والتأخر تقول : تقدم القوم سبقهم ، ومنه تقدم الصناعة ، وتقدم التعليم ، وتقدم المرض ، وتقدم الجيش, والتقدم الحقيقي هو التقدم المتصل ، وهو متناه أو غير متناه, أما المتناهي فهو الذي يتجه إلى تحقيق غاية معينة في مجال محدود, وأما الغير المتناهي, فهو الانتقال الضروري المتصل في شروط معينة من حد سابق إلى حد لاحق ، كما في تسلل الإعداد ، أو تسلسل الأسباب الفاعلة"[2].

والتقدم نوعان إضافي, أو مطلق, أما الإضافي فهو الانتقال من الحسن إلى الأحسن ؛ أي من حالة يعدّها الناس تخلفاً إلى حالة يعدّونها كمالاً, ويختلف حكم الناس على طبيعة هذا الانتقال باختلاف القيم التي يتصورونها, وأما المطلق فهو التقدم الناشيء عن الحتمية التاريخية أو الكونية ، أو عن القدرة الحقيقية المؤثرة في الإفراد ، أو عن الغائية المسيطرة على تغيرات الحياة, ومفهوم هذا التقدم عندنا لا يخلو من

[1] - لسان العرب , ابن منظور, 1/ 131؛ القاموس المحيط , الفيروز ابادي , 161/1 ؛ الصحاح في اللغة والعلوم ,نديم مرعشلي_ اسامة مرعشلي, 1/ 72.

[2] - المعجم الفلسفي , جميل صليبا, 1/ 322

الالتباس وليس المهم أن نفسر التقدم بإرجاعه إلى الحتمية ، أو القدرة ، أو الغائية ، وإنما المهم ان تحدد مضمونه تحديداً دقيقاً, فنظامه يتخذ عند بعض الفلاسفة شكل الخط المستقيم، وعند بعضهم شكل الخط المنحني الصاعد ، وعند بعضهم شكل اللولب ، الخ .. ولكن التقدم وان اختلفت صوره ومفاهيمه فهو هو في الجوهر, انه انتقال تدريجي في نظام متصل من الأدنى إلى الأعلى ، أو من النقص إلى الكمال.[1]

وعلى نحو عام يُعدّ مصطلح التقدم من أهم المصطلحات الحديثة, لما له من ارتباط وثيق بالمجتمع بصورة عامة والاقتصاد بصورة خاصة ، وهو أحد المفاهيم التي تشمل الازدهار والرفاه ونوعية الحيــاة و الاستدامة ، فهو عبارة عن وجهات نظر لمجتمع معين, وهو مهم و متغير بمرور الوقت ، ولفهم التقدم يجب دراسة جوانب متعددة من حياة الناس والمجتمعات وصحتهم ونوعية بيئتهم ودخولهم وعملهم وما شابه, وربما لذلك لا يوجد تعريفٌ محددٌ لمصطلح التقدم وقد تنوعت الآراء وتعددت الرؤى في مصطلح التقدم.

فتعبر فكرة التقدم في جوهرها عن مفهوم اجتماعي تاريخي, أي أن الفكرة ومضمونها الدال عليها ذات صلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتطور الاجتماعي, وهي حصيلة اجتماعية تاريخية وترتبط بالتطور الثقافي العلمي للإنسانيّة, الذي لا ينفك عن المعايير الثقافية القرآنية, وكذلك يرتبط مفهوم التقدم بمفهوم التطور والتغير عند الغرب, فمفهوم التغير وليد الفلسفة الداروينية[2](*) بصورة خاصة, وهو يبدو كشرط

1- ينظر: المصدر نفسه, 1/ 322

2 (*)- الفلسفة الداروينية: أو نظرية التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي، هي نظرية بيولوجية وضعها تشارلز داروين، مؤسِّسة لفكر مادي بحت عن تطور الكائنات الحية من أسلاف مشتركة من خلال عملية الانتقاء الطبيعي , تقوم على أن الأنواع ليست ثابتة بل تتطور من خلال الطفرات الموروثة التي تزيد قدرة الفرد على البقاء والتكاثر في بيئته, , اما الداروينيَّة الاجتماعيَّة (Darwinism) فهي فلسفة علمانية شاملة، عقلانيَّة ماديَّة، تؤكِّد وجود قانون طبيعي واحد؛ يَسري على كلِّ الظواهر, تفكك الإنسان باعتباره جزءًا خاضعًا للطبيعة المادية، ضِمنَ نظام كوني لا مرجعية له خارجَه، وتستبعد الخالقَ من المنظومة المعرفيَّة والأخلاقيَّة، والآليَّة الكُبْرى للحرَكة في الداروينيَّة هي "الصِّراع" و"التَقدُّم اللا نهائي"، وهو صِفة من صِفات

ثانوي خارجي لحركة تعتري الموجود وتنقله من حال إلى حال أخرى, وهو ذو طابع محايد أخلاقيا ويتصل بوجه بالكائن الحي, أما التغير فهو ينصب بصورة خاصة على التطور الكوني أو على عالم الظواهر الفيزيائية, وهو عار عن مضمون أخلاقي, وحتى ينتقل إلى حقل الظواهر الاجتماعية والتاريخية المتصلة بالطبيعة والقوى الكونية فانه يبقى عاريا عن كل حكم وقيمة.[1]

"والتقدم مظهر متجزئ من مظاهر التغيير, ولكنه مرتبط بقيمة وذلك حين يقبض الوعي الإنسانيّ على حادثة أو واقعة من الوقائع ويدرك معنى خاصاً لها, ويعلق عليها أهمية إنسانية خاصة للفرد أو المجتمع على السواء, إذاً يكون معنى التقدم مفهوماً معيارياً أخلاقياً, وإذا ما جُرد هذا الطابع فانه لا يبقى لوجوده أي مسوغ ويصبح آنذاك كل مِنْ مصطلحي التغير والتطور معا قادرين على تغطية ما يدل عليه"[2]؛ إي إن التطور يكون نحو غاية يسعى لها الفرد ويجري لتحقيقها, عكس التغير الذي قد يكون بدون غاية أو هدف, ويكون نحو الأحسن أو نحو الاسوء, ولكي تتضح الصورة فلابد للبحث من المرور بالنقاط الآتية:

أولا: دلالات ومعاني التقدم:

١- المعنى الحسيّ (الماديّ):

- يدل على الحركة الجسدية للأمام، مثل: تَقَدُّم الصفوف في المعركة, أو التقديم الزمني، كقولهم: (قَدَّمَ فلانٌ عَمَلًا) أي أعدَّه سابقًا.

٢- المعنى المجازيّ (المعنويّ):

الوجود الإنساني، أسَّسها البريطاني هربرت سبنسر (1830 - 1903)،ونقَلَتْ نظرية دارون مِن تطوُّر الكائنات الحيَّة إلى تطوُّرِ الطبقات والمجتمعات - دستورًا غابيًّا للحياة يجعل البقاءَ للأنفع لا الأصلح. ينظر: الخَلْق بين العنكبوتيَّة الداروينيَّة والحقيقة القُرآنيَّة، كريم حسين، 112؛ القرآن ومذهب داروين، بكير بن سعيد أغوشت، 41.

[1] - ينظر: اسس النهضه والتقدم الاقتصادي في السيرة النبوية , رؤى ماجد طعمة , رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية- بغداد – كلية اصول الدين- العقيدة 40-41.

[2] - أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث , د. فهمي جدعان , 20 , ط3, دار الشروق , عمان , 1988م

- يُستعمل لوصف الرُّقي في الجوانب الفكرية أو الأخلاقية، مثل: تَقَدُّم الأمة في الحضارة, أو السبق في المنزلة، كقولهم: (فلانٌ مُتَقَدِّمٌ في قومه) أي ذو مكانة عالية.

٣- في الاستعمال القرآني:

من خلال استقراء مواضع ورود الجذر (ق د م) وما يرتبط به من المعاني والسياقات، يمكن تصنيف استعمال كلمة ومعاني (التقدّم) في القرآن الكريم إلى عدة معانٍ رئيسة:

أ- التقدّم ألزماني (العمل المقدم في الدنيا للحساب)

وهو المعنى الأكثر رسوخًا في النص القرآني، حيث يُستخدم ما قدّم للدلالة على الأعمال التي سبقت الموت، والتي ستُعرض على الإنسان يوم القيامة, مثل قوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (الانفطار:5).

وقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ) (يس:12)

دلالة على إن ما فعله الإنسان في حياته من خير أو شر هو التقدم الذي يُحاسَب عليه[1].

ب- التقدّم الرمزي (التوجه نحو الشيء أو المقصود)

ويظهر في الآية: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) (الفرقان: 23), كما جاء عن ابن طاووس(ت: 664هـ)"حقيقة قدمنا هنا عمدنا إلى ما عملوا و قدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفره لأنه من أجل إمهاله فيهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم و في هذا تحذير من الاغترار بالإمهال و المعنى الذي يجمعهما العدل لأن العمد إلى إبطال

[1] - تفسير الطبري, محمد بن جرير الطبري, 2/ 150.

الفاسد عدل و القدوم إلى إبطال الفاسد عدل و القدوم أبلغ"[1] فالتقدم هنا لا يدل على التقدم المكاني الحسي، وإنما على التوجه الإلهي لتقويم العمل ومواجهته بالحكم.

هذا فيما يخص ورود كلمة كلمة التقدم, اما فيما يخص مفهوم التقدم فقد ورد بمعان منها :

أ - التقدّم الروحي أو المعنوي (السعي إلى القرب من الله)

يتجلى هذا المعنى في آيات تتحدث عن السعي، والنية الخالصة، والقرض الحسن، والعمل الصالح, كما في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد: 18).

وفي قوله تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة: 7), يُفهم التقدّم هنا على أنه قربٌ معنوي يتحقق عبر النية الخالصة والعمل الصالح، وهو السبيل لنيل المنزلة عند الله.

ب- التقدّم ألقيمي أو القيادي (السبق في الفضل والقدوة)

يرتبط هذا بمفهوم السباق إلى الخيرات، أو الإمامة، أو الريادة في العمل الصالح, مثل قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ) (المؤمنون: 61), كما جاء عن ابن طاووس(ت: 664هـ)" (أولئك يسارعون فى الخيرات) يبادرون بالأعمال- (و هم لها سابقون) يقول إليها سابقون أي سبقت لهم السعادة, أقول إذ احتمل اللفظ الحقيقة فما الذي يحمل على تفسيره بالمجاز فإن قوله تعالى و هم لها سابقون هو المعلوم من الحال بالضرورة لأنهم سبقوا أعمالهم بالمعرفة أو بالذي كلفهم إياها و بالرسول الذي دلهم عليها و بمعرفة تلك الأعمال الصالحة و كانوا

[1] - سعد السعود للنفوس منضود, علي بن موسى ابن طاووس، 1 / 243, دار الذخائر – إيران، قم، الطبعة الأولى، د.ت.

سابقين لها و هي متأخرة عمن سبقهم و هو أبلغ في مدحهم"[1] فالتقدّم هنا بمعنى السبق كمرتبة روحية أو قيادية.

جـ- التقدّم التحذيري السلبي (تقديم غير محمود)

وهو استعمال يحمل نقدًا ضمنيًا للتقدم المغشوش أو الخادع، مثل:قوله تعالى (ما قدمت يداه) (النبأ: 40), (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) (التحريم: 7) فأن ليس كل تقدّم محمودًا، فربما قدّم الإنسان شيئًا في الظاهر، لكنه مردود بسبب فقدان الإخلاص أو ظلم الآخرين.

و مما سبق نُدرك ان التقدم في القرآن ليس ماديًا فقط ؛ لأن التقدّم من منظور القرآن لا يُقاس بوسائل مادية محضة، كوفرة المال أو العلم أو التكنولوجيا، بل هو مرتبط بـالنية الصادقة,العمل الصالح, والإصلاح في الأرض, والسعي نحو العدل والحق, والسبق إلى طاعة الله ونفع الناس, فالتقدّم الحقيقي في المنظور القرآني هو التقدّم الذي يُثمر في الدنيا ويُجزى عليه في الآخرة، والذي تُبنى عليه الحضارات بالقيم والعدل لا بالظلم والمظاهر.

وهو السبق في الفعل الصالح أو النية الخالصة، الذي يُقوّم بحسب أثره في حياة الفرد والمجتمع، ويُقاس بنتيجته الأخلاقية والروحية، لا بمجرده الزمني أو المادي, وبذلك يتمايز التقدّم في القرآن عن المفهوم الحداثي الذي يربطه فقط بالتطور التقني أو السبق الزمني.

ثانيا- التقدم عند الغرب:

ربط الغرب التقدم بالتكنولوجيا، ففي الفلسفة المادية[2] يرون أن معنى التقدم هو ما توصل إليه المجتمع من تطور, واكتشافات حديثة شملت الصناعات, والخدمات

[1] - سعد السعود للنفوس منضود، ابن طاووس, 1/ 267.

[2] الفلسفة المادية هي وجهة النظر الفلسفية التي ترى أنَّ المادة هي الجوهر الحقيقي للواقع، وأنَّ جميع الظواهر في الكون، بما في ذلك العقل البشري، ناتجة عن العمليات الفيزيائية والاختزالية للمادة وفقاً للفلسفة المادية، فإنَّ كل ما هو موجود يمكن اختزاله إلى عمليات مادية بحتة، وهذا

الاجتماعية, والمؤسسات التعليمية وغيرها والتي بدورها اسهمت في رفاهية المجتمع والقضاء على الأمية[1].

فالواضح أن مفهوم التقدم حسب الفكر الغربي ، هو مفهوم معياري يعتمد على الفلسفات الوضعية الداروينية وغيرها؛ لأنهم يعتمدون في تفسيرهم لمفهوم التقدم على المقياس لا على التجربة.

وقد اعتمد الفكر الغربي – منذ القرن التاسع عشر – على نظرية التطور الداروينية بوصفها أنموذجاً تفسيرياً للتقدم، إذ يُفهم التقدم هنا كعملية (انتقاء طبيعي) قائمة على الصراع والبقاء للأصلح، مما حوَّل التقدم إلى مسار خطي يخضع لمعايير مادية (كالتفوق التكنولوجي أو التوسع الاقتصادي), وكربط التقدم البشري بفكرة (التطور الحضاري) التي تَصنُوِّر المجتمعات على سُلَّم هرمي، إذ تحتل أوروبا قمته، بينما تُوصَف المجتمعات غير الغربية بأنها (متخلفة).

ويمكن بيان ذلك في عدة نقاط:

1- الفلسفة الوضعية[2]: تبنت المدرسة الوضعية (كما عند أوغست كونت[3]) فكرة أن التقدم مرتبط بـ التقدم العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، مع إقصاء أي

يعني أنَّ الوعي ليس كياناً مستقلاً بل هو نتاج لنشاط المادة نفسه ؛ ينظر : نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري، محمد بن أحمد بن ايوب، 66-67.

[1] - ينظر:فكرة التقدم,احمد حمدي محمود , 11 ,ط1 , المجلس الأعلى للثقافة ,القاهرة ,1980م.

[2] - الفلسفة الوضعية "positivism" هي فرع من فروع الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) التي نشأت في القرن الثامن عشر، وكانت تيارًا نقيضًا لعلوم اللاهوت والميتافيزيقا اللذين يعتمدان على المعارف الإيمانية والاعتقادية غير التجريبية، لذلك كان المنهج التجريبي الاستقرائي هو المنهج الذي اتبعه الفلاسفة الوضعيون، لذلك رأت الفلسفة الوضعية أن البحث الفلسفي لا يجوز أن يتعدى ما هو محسوس ومادي، وكان لهذه الأفكار جذور في الفلسفة اليونانية, الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها،الدكتورة إلهام محمد شاهين ، 651-680.

[3] - اوغست كونت:(1798-1857) عالم فرنسي من رواد علم الاجتماع, يعد مؤسس الفلسفة الوضعية , Auguste Comte", Britannica, 2024-10- 8 , https://www.britannica.com/biography/Auguste-Comte

معايير غيبية أو أخلاقية، مما جعل التقدم يُقاس بمؤشرات كمية (مثل الناتج المحلي الإجمالي) دون اعتبار للقيم الإنسانية[1].

٢. خصائص المفهوم الغربي للتقدم: يمكن تلخيص خصائص المفهوم الغربي للتقدم في ثلاث نقاط وهي:

أ- المادية: يُختزل التقدم في الإنجازات الملموسة (التكنولوجيا، البنية التحتية، الثروة)، مع إهمال الجوانب الروحية والأخلاقية، مما يؤدي إلى أزمة قيم في المجتمعات التي تتبنى هذا النموذج.

ب- المركزية الأوروبية: عُدّ الأنموذج الغربي هو (المعيار العالمي) للتقدم، مما يشير إلى الهيمنة الثقافية والسياسية، ويرفض التعددية الحضارية.

جـ - الاعتماد على المقاييس الكمية: كمؤشرات التنمية البشرية ومعدلات النمو الاقتصادي والتصنيفات العالمية للجامعات, لكن هذه المقاييس لا تعكس بالضرورة السعادة الفردية أو العدالة الاجتماعية.

٣. إشكاليات التفسير الوضعي للتقدم: ويمكن تلخيصها في ثلاث نقاط وهي[2]:

أ - الاستبعاد القيمي: إهمال البُعد الأخلاقي والديني في تفسير التقدم، مما يجعل المفهوم مُجرَّدًا من أي غاية إنسانية سامية (مثل السعادة الروحية أو العدالة).

ب - النسبية الأخلاقية:

إذا كان التقدم يُقاس بالمادة فحسب، فلا يمكن إن نُقيّم المجتمعات التي تحقق نموًّا اقتصاديًّا وهي تُهمل حقوق الإنسان.

جـ - التدمير البيئيّ: الربط بين التقدم والاستهلاك المادي أدى إلى استنزاف الموارد الطبيعية، مما يُناقض فكرة الاستدامة.

٤. الرؤية القرآنيّة لهذا المفهوم:

في القرآن الكريم، يُطرح التقدم على انّه مفهومٌ شامل يتجاوز المادية إلى:

---

[1] - ينظر: العقل الوضعي عند اوجست كونت، الطاهر مولف، 2, رسالة ماجستير, جامعة منتوري قسنطينة, كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية, 2008م.

[2] - ينظر: مجلة المنهاج, الثقافة بين المفهوم الغربي والإسلامي , الائتلاف والاختلاف , 28-32, عماد الهلالي , العدد 67, 1433هـ- 2012م, تاريخ البحث 2015م.

أ- التقدم المعنوي الروحي(التقوى): (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣), ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين υ (ألا إن أحبكم إلى الله عز و جل أحسنكم عملا و إن أعظمكم عند الله حظا أعظمكم فيما عند الله رغبة و إن أنجى الناس من عذاب الله أشدهم لله خشية و إن أقربكم من الله أوسعكم خلقا و إن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله و إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1], فيظهر من الآية والحديث معنى التقدم الروحي (التقوى) وأهميته في القران الكريم, وان التقوى هي معيار التقدم الروحي والقرب من الله سبحانه وتعالى.

ب- التقدم الأخلاقي: كما في قوله تعالى: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) (الأعراف: ٨٥), وقوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) (الشمس: 7-10), فيظهر ان التقدم الأخلاقي في القرآن هو منظومة شاملة تهدف إلى بناء الإنسان الراقي في ذاته، العادل مع غيره، والملتزم بمسؤوليته الحضارية، وهو شرط أساسي لأي تقدم علمي أو مادي.

جـ- التقدم العلمي المرتبط بالغاية: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر: ٩), فالقران الكريم يضع للعلم أهمية كبيرة في جوانب عدة.

فيبدوا إن هذا يتناقض مع الأنموذج الغربي في جملة من النقاط:

أ- الغاية من التقدم: في القرآن، التقدم وسيلة لـ عبادة الله وعمارة الأرض، وليس غاية في ذاته.

ب- المعايير: ليست مادية فحسب، وإنما تشمل التقوى، والعدل، والإحسان, وغيرها.

[1] - من لا يحضره الفقيه , محمد بن علي بن بابويه القمي, حديث 5884, 4 / 408.

جـ- الاستدامة: الإنموذج القرآني الذي يرفض الاستغلال الجائر للطبيعة: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) (الأعراف: ٥٦).

أما مفـهوم التقدم عـند المفكرين العرب فقد فسره العلماء بأوجه عديدة, وذلك باستعمالهم التقارب الاصطلاحي له , ومنها مصطلح (الترقي) الذي نجده الأوسع انتشاراً حتى بدايات القرن العشرين، ومصطلح (التمدن) الذي يشير في الأغلب الأعم إلى ما يُعـبر عنـه اليوم بمصطلح (الحضارة), لكنه يشير في بعـض الأحيـان إلى عين ما يفهم من التقدم.

ثالثا: أبرز أوجه الاختلاف بين المفكرين العرب(المسلمين) و الغرب

ومما سبق ذكره لوحظ أن الفلاسفة الغرب عملوا على تجريد التقدم من جل عناصره التنويرية الساعية إلى إصلاح المجتمع فكرياً ومادياً وروحياً , وإنهم جعلوا التقدم محور حياتهم المادية فقط من غير أن يراعوا الحياة الفكرية الصحيحة,
فتقدمهم كان عبارة عن انتقال من حيز إلى حيز من خلال جعل التقدم غاية وليس وسيلة.
إما الفكر الإسلامي فقد جعل التقدم عنصرا فاعلاً من خلال جعله وسيلة للوصول إلى الغاية التي أرادها الباري عز وجل وهذا واضح من خلال أفكار النبي(صل الله عليه واله وسلم) التي طرحها في المجتمع الإسلامي وطوره, والتي عملت على تطوير مفهوم التقدّم من النواحي الفكرية والخلقية والاقتصادية كلها.[1]

[1] - ينظر: الدين والحضارة, مجموعة مؤلفين, إعداد:محمد حسين كياني, 7-8.

المطلب الثالث: التطور لغة واصطلاحاً:

ويمكن بيانه على النحو الأتي:

أولا: التطور في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط عن معنى التطور في اللغة [ط و ر] "تَطَوَّرَ: تَحَوَّلَ من طَوْر إلى طَوْر والتَّطَوُّرُ : التغيّر التدريجيّ الذي يحدث في بِنْيَةِ الكائناتِ الحَيَّةِ وسلوكِها، ويُطلَقُ كذلك على التغيُّرِ التدريجيِّ الذي يحدُثُ في تركيب المجتمع, أَو العلاقات أَو النظم أَو القيم السائدة فيه"[1].

فكلمة طور في اللغة العربية، هي أصل ، أما الفعل منها فهو تَطَوَّرَ ومضارعه يتطوَّر ، ومصدره تطوُّرًا ، واسم المفعول من طور هو مُتطوّر, وتعنى كلمة تَطَوَّرَ في اللغة العربية، انها تَحَوَّلَ من طَوْر إلى آخر، فعلى سبيل المثال، نقول تَطَوَّرَ فلان فِي دِرَاسَتَهِ، أي أصبح متدرجاً نحو العلا، ونقول كذلك تَطَوَّرَ الْمُجْتَمَعُ، أي أنّ المجتمع قد شهد تَغَيُّراً وَتَبَدُّلاً، أَيْ انه تحول الى حالة افضل[2], وعلى سبيل المثال لا الحصر، نقول، الوَضْعُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي تَطَوُّرٍ، اي أنه فِي تَغَيُّرٍ مِنْ مُسْتَوَىً إِلَى مستوى آخَرَ، أي أنه فِي تَحَوُّلٍ وقد يشمل هذا التغير تَطَوَّرَا فى الصِّنَاعَةُ الإِلِيكْتُرُونِيَّةُ وتطوراً في التكنولوجيا كذلك.

وفي المنبع الموسع "تَطَوَّرَ يَتَطَوَّرُ تَطَوُّراً : تَعَدَّل أو تحول من حال إلى حال؛ تطورت الصناعة في بلادنا, التطور في الكائنات الحية هو تحول تدريجي نتيجة لتغيرات تحدث في مورثاتها".[3]

والطور هو الحال ، وجمعه أطوار ، قال تعالى : (وَقَدْ خَلَقَكُم أَطوَاراً) (نوح:14).

أي ضروباً وأحوالا مختلفة ، وقيل الناس أطوار ، أي أطياف على حالات شتى ، وقد اتّخذ أهل زماننا من هذا الاسم فعلاً جديداً ، فقالوا: تطور طور الشيء نقله من

---

[1] - المعجم الوسيط , إبراهيم أنيس وآخرون, 2 /569-570 .

[2] - ينظر: المصدر نفسه, 2 / 569-570 .

[3] - المنبع الموسع , عصام حدادو حسام جعفر , 354

طور إلى طور ، وتطور الشيء إي انتقل من طور إلى طور ، كل واحد على حدة ، واشتقوا من فعل طور اسم التطوير ومن فعل تطور اسم لتطور.[1]

ثانيا: التطور اصطلاحا:

أما عن مفهوم التطور في الاصطلاح ، فأشار إليه علماء الأحياء إلى أنه التغير في الصفات الوراثيّة الخاصة بأفراد التجمع الإحيائيّ، ذلك عبر الأجيال, أي أنّ التطور هو الأساس في إحداث تنوعاً حيوياً في كل المستويات, ويعنى التَّطَوُّرُ التغيّر من حالة إلى حالة أخرى بشكل تدريجيّ ، ومثال ذلك في علم الأحياء الشيء الذي يحدث في بِنْيَةِ الكائناتِ الحَيَّةِ والتغير الذي يحدث في سلوكِها, ويُطلَقُ التطور على التغيُّرِ التدريجيّ الذي يحدُثُ في المجتمع أَو في العلاقات أَو النظم القائمة ، والتَّطوُّر الكبير، هو شيء متعلِّق بأنواع كاملة أو مجموعات متنوعة من الكائنات الحية المختلفة، ويعد التطور في الأساس ، أي أنه أول ما ظهر كان في علم الإحياء والبيولوجي لذلك فأكثر تعريفاته، هي تعريفات بيولوجية خالصة, [2] هذا في ما يخص التطور التكويني أو التطور الجسماني كالنمو والتكاثر وما شابه ذلك, وهو ليس ضمن اختصاص موضوع البحث؛ لان بحثنا يتحدث عن التطور العقلي الفردي, أو الاجتماعي الثقافي والمعرفي والاقتصادي كتطور الفرد في العلم أو الخبرات والمهارات وما شابه ذلك.

والتطور في سياق المجتمع هو التحول التدريجي من حالة إلى أخرى، سواء كان هذا التحول في البناء الاجتماعي، أو في وظائفه، أو في قيمه ومعتقداته, ويشمل التطور الاجتماعي التغيرات التي تطرأ على الأفراد والمجموعات، وعلى علاقاتهم وأنماط حياتهم، ويمكن أن يكون التطور إيجابياً أو سلبياً؛ لذا فهو كل تغير يطرأ

---

[1] - ينظر:المعجم الفلسفي , جميل صليبا , 1/ 293.

[2] - ينظر: التغير الاجتماعي مقدمة في المفهوم والنظرية, فضل عبد الله الربيعي, بيت الحكمة, العراق ,2020, 43.

على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال مدة زمنية محددة، فقد يكون هذا التغير إيجابياً أي تقدماً أو سلبياً أي تخلفاً.[1]

والتطور الاجتماعي يشمل عدة جوانب[2]:

التغير في البناء الاجتماعي: يشمل التحولات في الأدوار الاجتماعية، والتسلسل الهرمي، والتركيب السكاني.

التغير في الوظائف الاجتماعية: يشمل التحولات في طريقة عمل المؤسسات الاجتماعية، مثل الأسرة، والتعليم، والاقتصاد.

التغير في القيم والمعتقدات: يشمل التحولات في الأفكار والمعتقدات التي توجه سلوك الأفراد والمجتمع.

[1] - ينظر: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، محمد عبد الولي الدقس، دار مجدولاي، عمان، الأردن , 1987م.

[2] - ينظر: التغير الاجتماعي، محمد الزعبي، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1982م، 37.

المبحث الثاني: الفروق الجوهرية بين مصطلحات العنوان

في هذا المبحث سنبين الفروق الرئيسة بين مصطلحات العنوان والمصطلحات المشابهة (القيم) فهناك فروق جوهرية بين التقدم والتطور و المعايير والقيم, ويمكن بيانه عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفرق بين التقدم والتطور

قد يظن كثيرون أن التقدم والتطور لهما المعنى نفسه, بسبب التشابه بينهما, لكن الواقع يشير إلى وجود فارق بينهما وهو ما سنبينه قي هذا المطلب.

فالتقدم هو انتقال من الماضي إلى المستقبل مروراً بالحاضر, والحاضر هو عمل للفرد, والجماعة, والأمة, فلا فراغ في حياة المرء إلا في الخيال الذي ينفي أبعاد الزمن الثلاثة, وهذا المسار من الماضي إلى المستقبل هو التاريخ، تاريخ الأفراد وتاريخ الأمم, فلا انقطاع في التاريخ, وهو تواصل بين الماضي والمستقبل عبر الحاضر, فإذا ما انقطع الفرد عن ماضيه يكون ابن يومه، يعيش لحظة بلا تاريخ, وعلم أي أمة بماضيها هو أحد أسباب رقيها, تتعلم منه أسباب جمودها وإبداعها، وتخلفها وتقدمها, وماضي الأمة قد يكون هو ديوان رقيها وعمرانها ومثلها العليا المتجددة وربما يكون حاضرها هو رقيها وعمرانها, ويتحقق ذلك من أداء الواجب في الحاضر دون نكران جهود السابقين وإعداداً لجهود اللاحقين.[1]

فالماضي في خيره، والمستقبل في أمله، والحاضر في عمله, لا تغير إلا من خلال التواصل بين الماضي والحاضر، بين التراث والتجديد، بين الأصالة والمعاصرة، بين الثابت والمتحول في المجالات جميعها: اللغة والثقافة, والاجتماع, والسياسة ,والدين, ولا يعني الثبات التحجر والموت، ولا يعني التحول الاغتراب والانحراف,

[1]- ينظر: مفاهيم التقدم والتطور, أستاذ الفلسفة -جامعة القاهرة د . حسن حنفي مقال منشور على الانترنت, https://www.aletihad.ae/opinion/3992857

وإنما يضمهما المثابرة على العمل, ولكل عمل قيمتان: القيمة الأصلية, والقيمة المضافة, فالأولى من الخلود والثانية من الزمان. [1]

والتقدم تطور يصنعه البشر، وقد صنعه الغربيون، ويسعى إليه الشرقيون من دون تقليد الأنموذج الغربي بالضرورة, وهنا تتمايز الحضارات، ووسيلة ذلك تربية الفرد والجماعة، أي التربية الخلقية وهي نظرة (سلفية) كانت سائدة عند كثير من مفكري القرن التاسع عشر والعشرين, فأسباب تقهقر الشرق ثلاثة: الجهل والكسل والادعاء: فالجهل هو الظُّلمة التي تؤدي إلى الظلم والعبودية، وهو التعصب والخرافة، وهو الطاعة العمياء والأثرة الآثمة، وهو الخوف والجبن والمذلة, والكسل هو الجمود والقناعة والفقر، هو المرض والشقاء والخداع، خداع النفس والغبن والخمول, والادعاء هو التظاهر بالكبر والخيلاء من خلال الألقاب والمقامات والوجاهة والعظمة الجوفاء, والأنموذج الذي يريد العلماء المسلمون تقديمه، هدفه تحرير الإنسان من الجهل والفقر والخوف، والقضاء على الأوهام في العقائد والسياسة والاجتماع والدين... ووسيلته الفكر الحر من دون تحزب أو تعصب أو هوى, فالتقدم نحو الحرية، والوسيلة أيضاً الحرية, فالحرية غاية ووسيلة, والتقدم هو قبل كل شيء تقدم الوعي الإنساني, ولا يأتي التقدم من أعلى إنما يرد ويأتي من الأسفل.

وقد يشير التغير أيضا إلى التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي، ويتضمن ذلك تحول في العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي التي تشترك فيه العلاقات الاجتماعية المنظمة والتي هي جوهر البناء الاجتماعي وتشمل التغير الاجتماعي في القيم والمعايير وقواعد السلوك الضابطة لأنماط التفاعل بين الأفراد كما جاء به عدد من العلماء في تعريفاتهم للتغير الاجتماعي والتي تتمحور حول التحولات الجوهرية في بنية المجتمع وأنماط الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي والتي تنعكس في التغيرات التي تطرأ على القيم والمعايير الاجتماعية وكل ما يتصل بالمنتجات والرموز والقيم الثقافية, فهذه التعريفات البنائية تهتم بالتحولات الكبرى التي تطرأ

[1] - ينظر: تاريخ الفكر الاجتماعي،السيد الحسيني وآخرون، دار قطري بن الفيحاء للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، 1987م، 97.

على المجتمعات، بصورة تدريجية ومتوالية وتأخذ زمناً طويلاً في حدوثها، وتترك آثاراً واضحة بعيدة المدى على الهياكل الثابتة لبناء المجتمعات.[1]

ومن هنا أتت أهمية التربية (تربية الفرد والجماعة) تربية تقوم على أصولٍ عشرة تكوّن الأخلاق العالية وهي: الاعتماد على النفس، كرامة النفس، حسن الظن بالناس، حرية الإرادة، الجرأة الأدبية، نبذ الاعتقادات والتقاليد البالية، الصراحة في الصدق والقول، الاستقامة في الرأي والعمل، حب العدل والإنصاف، اللاطائفية في السياسة والآداب, وهي مبادئ عامة متداخلة يمكن ردها إلى مبادئ أعم هي ما ينبغي أن يكون إزاء ما هو كائن. ليست القضية إعلانها بل كيفية تحقيقها، ومع ذلك تتأقلم الأخلاق مع طبائع الشعوب وبيئاتها الجغرافية، كما لاحظ ابن خلدون[2](*) ومونتيسكيو[3](*), وبالتالي يتحرر الأفراد والشعوب لا عن طريق المصلحين ولا عن طريق السياسيين، وأنما يحرر الإنسان نفسه بنفسه، وأفضل تربية هي التربية الذاتية؛ أي مراقبة الإنسان نفسه بنفسه عن طريق يقظة الضمير, والتطور مثل التقدم، سنّة طبيعية. فإذا صدق التقدم على الإنسان، فإن التطور يصدق على الطبيعة، وفق القانون ذاته.[4]

والتقدم كما عرفه العلماء، هو حركة مستمرة ينتج عنها ذهاب إلى الأمام ، في حين لا يعني ذلك أن هذه الحركة, أو هذا الذهاب والتقدم يكون نحو الشيء الأفضل أو

---

[1] - ينظر: مقدمة في علم الاجتماع السياسي، أحمد زايد، دار قطري بن الفيحاء، الدوحة، قطر، 1988م, 12.

[2] - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ت(1406م- 808هـ), مؤرخ وفيلسوف اجتماعي وسياسي، وهو أحد أبرز علماء القرون الوسطى، ومن أكبر المؤرخين العرب. ينسب إليه تأسيس علم الاجتماع، وهو واضع أصول فلسفة التاريخ، أنتج موسوعة تاريخية اعتُبرت من أهم مصادر الفكر العالمي، إضافة إلى كتابه "المقدمة" الذي اكتسب به شهرة عبر العصور.

[3] - شارل لوي دي سيكوندا (مونتيسكيو), ت(1755م), قاض ورجل ادب وفيلسوف سياسي فرنسي, يعد واحد من أهم فلاسفة عصر التنوير الفرنسي, صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمد حاليا معظم الدساتير,

[4] - ينظر: مفاهيم التقدم والتطور, أستاذ الفلسفة -جامعة القاهرة د . حسن حنفي مقال منشور على الانترنت, https://www.aletihad.ae/opinion/3992857

إلى الأمام، وإنما يمكن أن يكون التقدم نحو الخير أو نحو الشر والشيء السيئ، فقد يسمى ذلك أيضا تقدماً في بعض الأحيان ولكن يوسم بالتقدم السلبي، بالإضافة إلى أن المعنى الأول، وهو التقدم إلى الأمام، يشير إلى التقدم نحو الشيء الإيجابي ، أو التقدم نحو الخير، وهو ذلك المعنى الذي يذهب إليه الناس عندما يتكلمون ويستخدمون كلمة (التقدم) لان العكس يسمى دائما تأخر أو تراجع أو هو التقدم السلبي.

فضلاً عن أنّ مفهوم التقدم هو شيء حديث, ظهر في أول الأمر فى العالم الغربي، حين ارتبط ذلك المفهوم بالإنسان بصورة وثيقة، وكما أشار الخبراء فإن التقدم، على أية حال لا يمكن أن يلغي فكرة الصيرورة (هذه الفكرة التي تعنى أن كل شيء يولد ويفنى) ولكن التقدم له مكانة في داخل هذه الفكرة الحقيقية المعروفة.

من ناحية أخرى أشار بعض علماء اللغة إلى أن التقدم يعني الانتقال من حال إلى حال أكثر تطوراً وأكثر تقدماً, و كذلك يعني هذا أن المجتمع يُعّد أكثر استخداما للأدوات الحديثة أو الجديدة.[1]

ويشير بعضهم إلى إن التقدم هو نظرة اقتصادية؛ لأنه أمر مرتبط بدخل الفرد سنويا، ولكن هذا التعريف هو تعريف جزئي إلى حد كبير، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان التقدم في بعض الدول المستوردة هو قمة التقدم ، وفى ذات الوقت قيل إن التقدم هو القدرة على استخدام التقنية الحديثة والإفادة منها فى الحياة, إذاً يشير التقدم في أصل الأمر إلى مفهوم التحقق والإنجاز.[2]

ولكن في الواقع هذه كلها تُعدّ جزءً من أسباب التقدم الحقيقي أو هي مقدمات للتقدم ؛ لان ما نريد أن نشير إليه في بحثنا من التقدم هو السعي نحو التكامل؛ أي التقدم

---

[1] - ينظر: التغير الاجتماعي.. قراءة في المفهوم والموضوع - فضل عبدالله يحيى الربيعي https://share.google/uQRidvgLBD2dRgicc

[2] - ينظر: التنمية الاجتماعية، عبد الباسط محمد حسن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1982م. لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم، مجلة: ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/6172/1/S0823.pdf

بكل مفاصل الحياة الاقتصادية والعلمية والروحيّة (الدينيّة), ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الاتية:

أولا: التطور الاجتماعي :

وفي سياق البحث العلمي لابدّ من تعريف التطور الاجتماعي؛ لما له من صلة بالبحث وارتباطه بالتطور والتقدم وبيان الفروق بينهم, إذ يشير التطور الاجتماعيّ إلى التغيير الاجتماعي أو الثقافي الذي يطرأ على المجتمعات خلال فترات زمنية طويلة، ويشمل مجموعة واسعة من النظريات والدراسات والأبحاث التي تدرس أثر ظهور التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد، والقدرة على تغييرها والحفاظ عليها، وهو يشمل التغييرات التي تؤثر على طبيعة وهيكل المجموعات والمؤسسات الاجتماعيّة والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والجماعة والمؤسسات المختلفة في المجتمع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويؤدي التطور الاجتماعي إلى تغيرات منتظمة ومتلازمة، تمر بمراحل متنوعة تتصل فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة التي قبلها، فتتطور الحياة الاجتماعية وتتقدم من البسيط إلى المعقد كما تتطور المخلوقات الحية تمامًا.[1]

ثانيا: خصائص تطور المجتمع:

ومما سبق تبلورت لدى الباحث أهم خصائص تطور المجتمع وتقدمه ويمكن بيانها كما يأتي:

1- التحول والانتقال من مجتمع بسيط إلى مجتمع معقد؛ كالانتقال من المجتمع القروي إلى المجتمع الحضري أو المدني, وهو ليس شرطاً أساسياً للتقدم أو التطور, فكثير من أهل الريف سبقوا وتغلبوا على أهل المدينة في التعلم والعلم وحصلوا على شهادات عليا, ومنهم من شغلوا مراكز عليا في المجتمع, ومنهم علماء ومفكرين.

[1] - ينظر: التغير الاجتماعي مقدمة في المفهوم والنظرية، فضل عبدالله الربيعي ،إصدارات بيت الحكمة، العراق 2020، 40.

2- التكيف مع العملية التدريجية والبطيئة؛ إذ يحدث التطور الاجتماعي بصورة بطيئة وتدريجية على فترات زمنية طويلة.

3- التأقلم مع البيئة والسياق الاجتماعي المتغير يساعد على التطور, إذ يؤدي التطور الاجتماعي إلى حدوث العديد من التغييرات في المجتمع الذي يتطور, كالانتقال بخطوات تسلسلية في النظام الاجتماعي، للوصول إلى مجتمع أكثرً تعقيدًا وتطورًا.

4- القدرة على التقدم والتماسك والترابط على نحو واضح: تساعد النظريات في توجيه وتوفير إطار عمل مشترك يمكن للناس العمل من خلاله، وكانت أول نظرية تم تطويرها للأنثروبولوجيا, هي اقتراح التطور الاجتماعي في القرن التاسع عشر, والذي يدعى باسم التطور الأحادي[1], وتدعي هذه النظرية أن المجتمعات تتطور على وفق النظام العالمي الواحد للتطور الثقافي وبمعدلات مختلفة، وهو سبب وجود أنواع مختلفة من المجتمع في العالم، ومن أبرز أنصار التطور الاجتماعي لويس هنري مورغان[2]، وإدوارد بيرنت تايلور[3]، وهربرت سبنسر[4]؛ الذين عملوا

---

[1] - التطور الأحادي الخطي: (كما يشار إليه بالتطور الاجتماعي الكلاسيكي) هي نظرية اجتماعية ظهرت في القرن التاسع عشر وتتحدث عن تطور المجتمعات والثقافات. تتألف من العديد من النظريات المتنافسة من قبل مختلف علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع، الذين يعتقدون أن الثقافة الغربية هي قمة التطور الاجتماعي المعاصر. ويتم محاذاة الوضع الاجتماعي المختلف في خط واحد ينتقل من الأكثر بدائية إلى أكثر تحضراً. وتعتبر هذه النظرية حالياً نظرية قديمة في الأوساط الأكاديمية؛
تطور متعدد الخطية, موقع المعرفة .https://marefa.org/wBQuL . 9-9- 2025

[2] - لويس هنري مورغان(1818-1881) محام وعالم اجتماع أمريكي, اهتم في بداية حياته بدراسة مجتمع سكان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليين, وحاول إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الاوربي والمراحل التي مر بها وصولا إلى ما هو عليه في عصره, واهتم بنظم القرابة والنظم الاجتماعية .

[3] - ادوارد بيرنت تايلور(1832-1917)عالم اجتماع بريطاني أستاذ في جامعة أكسفورد(1896-1913) كان احد رواد الاتجاه التطوري, وقال بالنظرية البيولوجية , واسهم في تطوير الدراسات المقارنة للأديان.

[4] - هربرت سبنسر (1820-1903) عالم اجتماع وفيلسوف بريطاني الف كتاب (الرجل ضد الدولة) وهو احد رواد علم الاجتماع تناول نظرية خاصة في تنمية وتطور المجتمع هي المماثلة البيولوجية .

على جمع البيانات, وقاموا بتحليلها, وتنظيم هذه البيانات المستعملة وتطبيق النظرية العامة التي عملوا على تطويرها على جميع المجتمعات[1].

مراحل التطور الاجتماعي:

يُعّد التطور الاجتماعيّ برأي الفيلسوف (هربرت سبنسر) جزءًا من الكائنات الحية التي تخضع لعمليات النمو والتطور، ويتم من خلاله تطور المجتمع من الصورة البسيطة إلى الصورة المعقدة؛ لأنه يؤدي وظائف التكامل والتمايز بين أجهزته المختلفة، وقد استعمل العالم هربرت سبنسر مفهوم التطور الاجتماعي ليدل على تطور المجتمع، وقد قسّم عملية التطور على ثلاث مراحل كالآتي:

1- التكامل: هذه هي المرحلة الأولى من التطور الاجتماعي، وفيها يتم دمج وحدات المجتمع المختلفة وتكوين النظام العام المتكامل، على سبيل المثال: إذا تم اعتبار الأسرة وحدة اجتماعية أساسية فتعد المرحلة الأولى في التطور الاجتماعي هي الجمع بين الأسر والعمل على دمجها في مجموعة أكبر تسمى المجتمع.

2- التمايز: هذه هي المرحلة الثانية من التطور، وتنشأ من خلال المؤسسات التي تقسم العمل، وتعمل على إظهار الطبقات والطوائف والقبائل المختلفة وإحداث التمايز بينها.

3- التصميم :هذه هي المرحلة النهائية التي تجتمع فيها شرائح المجتمع المختلفة، وتُعدّ المرحلة التطورية التي أقيم فيها بنية اجتماعية جديدة قائمة على الانسجام.[2]

وعلى العموم ومن خلال ما سبق يبدو إنّ التقدم يرتبط بالحركة الواعية نحو غاية (مثل التقدم الحضاري).

---

[1] - ينظر: تطور متعدد الخطية, موقع المعرفة .https://marefa.org/wBQuL . 9-9-2025

[2] - ينظر: تعريف التطور الاجتماعي, ريم الدرابسيه, موقع موضوع, https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A.

وأنّ التطور: يشير إلى التغير التدريجي الطبيعي من دون وجود قصد مسبق بالضرورة (مثل تطور الكائنات).

ويتبين مما سبق أن مصطلحي التطور والتقدم وإن اشتركا في كونهما يعكسان حالة من التحول الإنساني أو المجتمعي، إلا أنّ بينهما فروقًا جوهرية, فالتطور يدل على التغير التدريجي والتراكمي الذي قد يكون إيجابياً أو سلبياً بحسب طبيعته واتجاهه، بينما التقدم يرتبط غالباً بالانتقال إلى مستوى أرقى وأكمل من الأحوال السابقة، وهو ذو بعد مقصدي وغائي ينسجم مع سنن الله في الاستخلاف والعمران, ومن هنا فإن القرآن الكريم حين يستعمل الدلالات المتعلقة بالتغير والنهوض، فإنه يوجّه الإنسان نحو التقدم الهادف المرتبط بالقيم والمبادئ الإلهية، لا مجرد التطور العشوائي أو المنفلت, وبهذا يظهر أنّ إدراك الفرق بين المصطلحين يمثل مدخلاً أساسياً لفهم المعايير القرآنية في بناء الحضارة الإنسانية الرشيدة.

المطلب الثاني: التعريف بالمعايير والقيم والفرق بينهما:

قد يختلف تعريف القيم عن المعايير في بعض الأحيان, وفي عدد من العلوم, لكن المعيار يشابه في المعنى القيم, وسنبين في هذا المبحث معنى القيم, لغة ومفهومها اصطلاحا, ثُمّ نستذكر تعريف المعايير باختصار, ثم نوضح أوجه التشابه والاختلاف بين القيم والمعايير.

أولا: القيم لغة واصطلاحا:

ذكرنا أنفا إن القيم تشابه في مفهومها الاصطلاحي المعايير لكنها تختلف في معناها اللغوي في بعض المصادر والمراجع من وجه معين عن المعايير وسيظهر هذا الاختلاف والفرق من خلال هذا المطلب.

أ- القيم لغة:

عرف علماء اللغة القيم لغة بعدة تعريفات مختلفة سنشير إلى بعضها في هذا المطلب:

ذكر الخليل بن احمد الفراهيدي في معجمه القيم في مادة [ق ي م] قال: "والقيمة ثمن الشيء بالتقويم, تقول: تقاوموا فيما بينهم, وإذا انقاد، واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه"[1], وذكر ألجواهري "القِيَمةُ واحدة القِيَمِ, وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء"[2], واما ابن فارس فقد بين معناها بانها "من الباب: قوَّمْتُ الشَّيء تقويماً, وأصل القِيمة الواو، وأصلُه أنَّك تُقيم هذا مكانَ ذاك, وبلَغَنا أنَّ أهلَ مكّةَ يقولون: استَقَمْتُ المَتاعَ، أي قوَّمْتُه, ومن الباب: هذا قِوام الدين والحقّ، أي به يقوم, وأمَّا القَوَام فالطُّول الحَسَن "[3], ولم يذهب ابن منظور بعيداً عن ما هذا المعنى الذي ذكره أهل اللغة, فقد ذكر القيم في معجمه لسان العرب إذ قال: "والقِيمةُ واحدة القِيَم وأَصله الواو؛ لأَنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتَّقْوِيم تقول تَقاوَمُوه فيما بينهم وإذا انْقادَ الشيء واستمرّت طريقته فقد استقام لوجه, ويقال كم قامت ناقتُك أي كم بلغت وقد قامَتِ الأمةُ مائة دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار, وكم قامَتْ أَمَتُك أي بلغت والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقَمْتُ المتاع أي قوَّمته وفي الحديث قالوا يا رسول الله لو قوَّمْتَ لنا فقال: الله هو المُقَوِّم أي لو سَعَّرْت لنا وهو من قيمة الشيء أي حَدَّدْت لنا قيمتها"[4], وذكر أبو العباس الفيومي قائلاً: "القيمة الثمن الذي يقاوم به المتاع إي يقوم مقامه والجمع القيم مثل سدرة وسدر وشيء قيمي نسبة على لفظها"[5], ولم يختلف صاحب المعجم المفصل عمن سبقه في مفهوم القيمة فيقول: "القيمة هي قيمة الشيء, أي ثمنه وكلمة القيمة بمعنى الجيد أو ماله من قيمة ممتازة,

[1] - كتاب العين :الفراهيدي ،2330/5.
[2]- الصحاح في اللغة: الجوهري، 102/2.
[3]- مقاييس اللغة :ابن فارس ،36/5.
[4]- معجم لسان العرب: ابن منظور, 500/12.
[5] - المصباح المنير:الفيومي، 1/ 520.

ويشيع في اللغة العربية المعاصرة استعمال القيمة للدلالة على الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني"[1].

ومن خلال ما سبق ذكره لمعنى (القيمة) في اللغة يتضح, أنها تدل على نوع من المعايير والملكات لتشخيص الثمن المادي أو المعنوي للأشياء اذاً هي تتفق مع المعيار من جهة, أو من وجه فهي جزء من المعايير الإسلاميّة التي وضعها الله عز وجل للحفاظ على دين الله القويم ،وهو الإسلام الذي جاء به النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

ب- القيم اصطلاحا:

إنّ مصطلح القيم لهُ مفاهيم عدة, و كثيرة منها ما تمس الجانب الروحي, الإيماني, المعنوي،ومنها ما تمس الجانب المادي, أو المالي الاقتصادي, ولها علاقة بالمحيط الاجتماعي وهذا ما يسعى إلى تحقيقه أفراد المجتمع عندما تكون لهم فيها منفعة والابتعاد عنها متى ما كانت مضرة بهم وهذا ما أكدّه الدكتور طه عبد الرحمن عندما بيّن مفهوم القيم قائلا: "هي جملة المقاصد التي يسعى القوم إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم ،عاجلاً أو أجلا أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم ،عاجلاً أو أجلا"[2], وهناك من يعبر عنها بأنها "ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان"[3], ومنهم من وصفها بأنها : "مستوى أو مقياس أو معيار يحكم بمقتضاه ويقاس به ويحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه"[4]، وعرّفها بعض من علماء الاجتماع هي :"مستوى او معيار للانتقاء من بدائل او ممكنات اجتماعية متاحة امام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي"[5]، وعرّفها أهل

---

[1]- المعجم المفصل في الجموع, ايميل بديع يعقوب ، 314.

[2]- الحق في الاختلاف الفلسفي, طه عبد الرحمن ، 68.

[3]- الموسوعة الفقهية, وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية- الكويت, 2012م, مادة قيم 34 /69- 70 .

[4]- القيم بين الإسلام والغرب, علي المانع، 14-15.

[5] - القيم والعادات الاجتماعية, فوزية ذياب، 39.

العرفان بأنها: "إيمان قناعة الإنسان بأهداف مقدسة, أو مشروعة تعطيه مقياس للحكم على الأشياء بالحسن والقبح أو الأمر والنهي"[1].

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول: إنّ القيم مجموعة من الصفات, والمثل والقواعد التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم؛ لانها محددات نفسية نحو موضوعات خارجية ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان, وكذلك ركزت على سمات الفرد واستجابته في ما يتصل بالعلاقة مع الآخرين.

هذا كله في ما يتعلق بالقيم ككلمة مفردة, لكن هناك مصطلح أخر يجب التطرق إليه في سياق البحث وهو القيم الاجتماعية كمركب, وهذا ما سيتم إيضاحه في الفقرة الآتية.

ثانيا: القيم الاجتماعية كمركب:

عُرّف هذا المركب اللغوي على إنّها :مجموعة من الأبنية الفكرية المتوازنة اجتماعيا التي تتعلق بما يستخدمه المجتمع من سلوك على وفق ما هو مرغوب فيه وما هو غير مرغوب فيه وتحكم علاقة الفرد بذاته والآخر, وتنعكس في السلوك الملاحظ[2], والقيم الاجتماعية من وجهة نظر موسى أللوزي: "هي مجموعة من السلوكيات الاجتماعية التي تزنه وتقدره النظم الاجتماعية, وبناء على ذلك يكون الحكم على السلوك بما هو مقبول او منبوذ"[3], وعُرّفت كذلك بأنها مجموعة من المعتقدات التي يعتقد الإفراد بقيمتها ويلتزمون بها وبمضامينها[4], كما عرفت بأنها: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع"[5]، وتُعَرّف القيم الاجتماعية كذلك :بأنها تُعّد موجها من موجهات سلوك الإفراد نحو الأشياء المرغوبة والتي تتفق مع مبادئ وقيم

---

[1] - التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده, السيد محمد تقي المدرسي، 45/3.

[2]- ينظر: تأثير الفيس بوك على القيم الاجتماعية لدى الطالب الجامعي ،بخوش وليد واخرى ،163.

[3]- التطوير التنظيمي –اساسيات ومفاهيم حديثة: موسى اللوزي ،59.

[4]- ينظر: القيم الاجتماعية في البرامج الحوارية :علي عبد المعطي ،17.

[5]- الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القران الكريم :فؤاد علي واخر ،407.

المجتمع ،وهناك من يرى أنّ القيم الاجتماعية هي اهتمام الإنسان وميله إلى غيره من الإفراد فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم ،وينظر إلى غيره على إنهم غايات وليسو وسائل لغايات أخرى[1].

ثالثاً: علاقة القيم بالمعايير:

القيم هي التي توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم بما هو مقبول أو غير مقبول من أنماط السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من معايير وقواعد ، وتعدّ إحدى المؤشرات المهمّة لنوعية الحياة ومستوى التحضر أو الرّقي الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات ، وما من جماعة تستطيع البقاء والعمل بصورة فعّالة إذا لم تعتنق وتمارس مجموعة من القيم التي يقبلها المجتمع ، والقيم هي انعكاس للطرق التي يفكر بها الأفراد في ثقافة معينة وفترة زمنية محددة ، فهي أفكار مجردة تعبر عن طموحات عامة للناس دون تحديد مقاييس مفصلة ودقيقة لسلوك الناس ، وكل فكرة إجتماعية عامة تتضمن عدداً كبيراً من المعايير الاجتماعية توضح حدود السلوك الذي يتناسب مع صيغة القيمة الأجتماعية وهي كذلك مجموعة من استجابات التقبل أو التفضيل أو الالتزام إزاء هدف عام وهام معيّن[2].

أما المعايير الاجتماعية فهي تمثل مجموعة مقاييس لما هو مناسب من سلوك عما هو غير مناسب أو ما هو خطأ أو صح ، وهناك نوعان من المعاير الاجتماعية الأولى معايير تراثية، والثانية معايير أدبية (آداب عامّة)، فالسلوك المناسب يمثل المعيار التراثي ، والسلوك الأدبي الأخلاقي يمثل المعيار الأدبي ، فالفرد الذي يخالف المعايير الشعبية يعدّ خارجاً عن المألوف ، لكن لا يمكن اعتباره غير

[1]- ينظر: الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية, د. حسن العريش واخر،78.

[2] - ينظر: القياس النفسي والتربوي ، عمر محمد احمد وآخرون ، دار المسيرة، عمان ،2010م ,333.

أخلاقي أو غير مؤدب ، بينما الفرد الذي يخالف المعايير الأدبية ، يعتبره الناس غير مؤدب في تصرفه[1]

ويذكر العلماء رأيين في علاقة القيم بالمعايير[2] :

الرأي الأولّ: هناك فرق بين القيم والمعايير في ضوء عمومية وخصوصية الممارسة ، فما يُعّد مرغوباً فيه من أعضاء المجتمع ويحدد على أساس مقولات عامة يدخل في نطاق القيم، وما يحدد في ضوء مقولات خاصة تدخل في نطاق المعايير، ومعنى ذلك أن كلاً من القيم والمعايير بمنزلة أنموذجين مختلفين من الموجهات الرمزية للفعل، فالقيم تحدد التفصيلات الاجتماعية، والمعايير تحدد الالتزامات الاجتماعية، وعلى ذلك تكون القيم هي العنصر العام الذي يحقق الصلة بين الأنساق الاجتماعية والأنساق الثقافية ، بينما تكون المعايير ذات طابع اجتماعي خالص له فعاليته في الحكم على العمليات الاجتماعية في مجالاتها المتعددة الأوجه.

الرأي الثاني : يرى أن القيم والمعايير شيئاً واحداً ولا يمكن الفصل بينهما ، والقيم تتضمن المعايير.

فجاء في وسائل الشيعة للحر ألعاملي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وعن الإمام الصادقυ استحباب تزويج المرأة لدينها وصلاحها ولله ولصلة الرحم, وكراهة تزويجها لمالها, أو لجمالها أو للفخر والرياء "تنكح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها، فعليك بذات الدين"[3], وفي الحديث النبوي الشريف في بعض مصادر الجهور " تنكح المرأة

---

[1] - ينظر: المدخل الى علم الاجتماع ، عبدالطيف عبدالحميد العاني واخرون ، مديرية دار الكتب ، بغداد ، 1990م،52 -53.

[2] ينظر: القيم والمعايير والضبط الاجتماعي- دراسة نظرية عن الواقع العراقي, شاكر حسين الخشالي, 5.

[3] - ينظر: وسائل الشيعة,الحر العاملي 30/14, ميزان الحكمة , محمد الريشهري , 2/ 1181,

لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك[1] ، فالمال والحسب والجمال معايير ، أما الدين فقيمة .

وفي المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا في تعريفه للمعايير تطرق إلى الاختلاف بين المعايير والقيم موضحا الفرق بينهما ومواطن الشبه والاختلاف وعلاقة العموم والخصوص بينهما قائلا: "هو الظرف المساوي للمظروف كالوقت للصلاة. والمعيار عند المنطقيين أنموذج مشخص, أو مقياس مجرد لما ينبغي أن يكن للشيء, ويرادفه العيار وهو ما جعل قياساً ونظاماً للشيء, والقاعدة وهي القضية الكلية المنطبقة على جميع جزئياتها, أو الأنموذج المثالي الذي تنسب إليه أحكام القيم, فالمعيار في الأخلاق هو الأنموذج المثالي الذي تقاس به معاني الخير, وفي علم الجمال هو مقياس الحكم على الإنتاج الفني, وفي المنطق هو قاعدة الاستنتاج الصحيح , وفي نظرية القيم هو مقياس الحكم على قيم الأشياء "[2].

وأضاف جميل صليبا في المعجم نفسه إن العلوم المعيارية هي الأداة التي تسعى إلى صوغ القواعد والنماذج الضرورية لتحديد القيم , كالمنطق, والأخلاق , وعلم الجمال, وهي مقابلة للعلوم المسماة بالعلوم التفسيرية أو التقريرية فهذه تقوم على ملاحظة الأشياء , وتفسيرها كما هي عليه في الطبيعة , فهي علوم خبرية, بخلاف العلوم المعيارية التي يمكن تسميتها بالعلوم الانشائية فيشير جميل صليبا هنا الى التمييز بين نوعين رئيسين من العلوم وهي: العلوم المعيارية (الإنشائية) والعلوم التفسيرية (التقريرية أو الخبرية), هذا التصنيف يعكس اختلافًا جوهريًّا في أهداف ومنهجيات كل نوع، وهو تمييز كلاسيكي في الفلسفة وفلسفة العلوم ويمكن بيان كل نوع من العلوم كما يأتي:

---

[1] - السنن الكبرى, النسائي, 3/ 269؛ المستدرك على الصحيحين, الحاكم النيسابوري, 288/6؛ مسند ابي يعلى الموصلي , ابي يعلى الموصلي, 3 / 20 ؛ شرح مسلم, النووي, 10 / 52.

[2] - المعجم الفلسفي , جميل صليبا, 1 /399-400

1- العلوم **المعيارية**:

ترمي إلى وضع معايير وقِيَم تُحدد (ما ينبغي أن يكون)عبر صياغة قواعد, أو مبادئ تُرشد السلوك أو الفكر أو التقييم. من أمثلتها :

-المنطق: يضع معايير للاستدلال الصحيح، كقواعد الاستنباط والاستقراء.

-الأخلاق :تُحدد المبادئ الخُلُقية (كالعدالة، الواجب) التي تُوجِّه الأفعال الإنسانية علم الجمال : يدرس معايير الجمال والفن، ويُقيّم التجارب الجمالية.

تُعدّ هذه العلوم (إنشائية)؛ لأنها لا تكتفي بوصف الواقع، وتُنشئ أنظمةً قيميةً تُوجه الفعل الإنساني. فمثلاً، يُعرِّف كانط في كتابه "نقد العقل العملي" الأخلاق عبر مفهوم "الواجب المطلق، مما يجعلها علمًا معياريًّا بامتياز.

٢- العلوم التفسيرية:

هي العلوم التي تركز على وصف الظواهر كما هي في الواقع عبر الملاحظة والتجريب, دون إصدار أحكام قيمية, وتشمل العلوم الطبيعية كالفيزياء, والكيمياء, وتعتمد معايير التقدم القرآنية على العلوم التفسيرية لضبط الاستدلال, فالقيم تستنبط عبر منهجية تفسيرية رصينة تمنع التحريف أو التأويل الخاطئ, مما يجعل التفسير جسرا لفهم معايير التقدم الحضاري في القران.

إما العلوم الاجتماعية كعلم النفس، الأنثروبولوجيا الوصفية هذه علوم (خبرية أو تقريرية)، لأنها تقدم بيانات موضوعية قابلة للاختبار[1].

وقد بين العلامة ألمجلسي علاقة المعايير بالقيم بتعليق موجز وواضح في حاشية كتابه بحار الأنوار على تعريف المعايير, بين ذلك موضحا إن ميزان كل شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء، فميزان الناس يوم القيامة ما يوزن به قدر

[1]- ينظر: المعجم الفلسفي, جميل صليبا, 1 / 400

كل إنسان و قيمته على حسب عقيدته و خلقه و عمله (وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الجاثية: 22)، و ليس ذلك إلا الأنبياء و الأوصياء، إذ بهم و بإتباع شرائعهم و اقتفاء آثارهم, و ترك ذلك و بالقرب من سيرتهم و البعد عنها يعرف مقدار الناس و قدر حسناتهم و سيئاتهم، فميزان كل أمة هو نبي تلك الأمة, و وصي نبيها و الشريعة التي أتى بها، فمن ثقلت حسناته و كثرت فأولئك هم المفلحون، و من خفت و قلت فأولئك الذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء و الأوصياء أو عدم إتباعهم, ففي الكافي عن الصادق أنه سئل عن قول الله عز و جل: (و نضع الموازين القسط ليوم القيامة) (الأنبياء: 47), "قال: هم الأنبياء و الأوصياء"[1] و في رواية أخرى: "نحن الموازين القسط"[2].

يتضح من خلال هذا المبحث أنّ ضبط المصطلحات وتمييز الفروق الدقيقة بينها يُعدّ خطوة أساسية في بناء الإطار النظري للبحث فـالقيم تمثل المنظومة المرجعية العليا التي تحدد الاتجاهات الكبرى للسلوك الإنساني والمجتمعي، بينما تأتي المعايير لتترجم تلك القيم إلى ضوابط عملية وإجراءات يمكن قياسها وممارستها في الواقع. أمّا على صعيد المفاهيم المرتبطة بالزمن والحركة، فإن التطور يشير إلى التحوّل التدريجي والتراكمي في البناء الفردي أو المجتمعي، في حين يُعبّر التقدم عن تجاوز مراحل سابقة نحو وضع أرقى.

ومن ثمّ، فإن إدراك هذه الفوارق يتيح للباحث فهماً أعمق لمقاصد النص القرآني في تناوله لموضوع التقدم والتطور، ويمنع من الخلط المفاهيمي الذي قد يضعف النتائج أو يُشوّه الرؤية, وبهذا يكون هذا المبحث قد أسّس أرضية معرفية، يمكن الانطلاق

[1] - الكافي, محمد بن يعقوب الكليني, 1/ 419.
[2] - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, العلامة المجلسي, 7/ 244.

منها في الفصول اللاحقة للكشف عن معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم، عرضاً وتحليلاً.

المبحث الثالث: المصطلحات ذات الصلة بمفهوم المعايير

هنالك عدد من المصطلحات تشابه في مضمونها كلمة معايير, وقد تتطابق بعضها ويختلف بعضها الآخر من جهة, ويتشابه من جهات أخرى, وهذا ما سأبينه في تعريف كلّ مصطلح من المصطلحات ذات الصلة بالمعايير عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: الموازين:

ذهب علماء اللغة إلى ان الموازين هي جمع ميزان, والميزان هو الآلة التي يوزن بها الأشياء, وأصله وزن, وهو مقدار القياس كالمثقال, جاء في لسان العرب لابن منظور(ت: 711هـ), "(وزن الوَزْنُ ثَقْلُ شيء بشيء مثلِه كأَوزان الدراهم,...والعرب يسمون الأَوْزانَ التي يُوزَنُ بها التمر وغيره المُسَوَّاةَ من الحجارة والحديد المَوَازِينَ واحدها مِيزان ...قال الله تعالى: (ونَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ) (الأنبياء: 47), يريد نَضَعُ المِيزانَ القِسْطَ وفي التنزيل العزيز والوَزْنُ يومئِذٍ الحَقُّ فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فأُولئك هم المفلحون وقوله تعالى: (فأَمّا من ثَقُلَتْ مَوَازِينُه) (القارعة : 6), (وأَما مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه) (القارعة: 8), ...اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة فجاء في التفسير أَنه مِيزانٌ له كِفَّتانِ, وأَن المِيزانَ أُنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعَدْل وتُوزَنَ به الأَعمالُ, ...وقال بعضهم الميزانُ الكتاب الذي فيه أَعمال الخَلْق"[1].

وجاء في المصباح المنير "و ز ن: وَزَنْتُ الشَّيْءَ لِزَيْدٍ أَزِنُهُ وَزْنًا وَزِنْتُ زَيْدًا حَقَّهُ لُغَةٌ مِثْلُ كِلْتُ زَيْدًا وَكِلْتُ لِزَيْدٍ فَاتَّزَنَهُ أَخَذَهُ وَوَزَنَ الشَّيْءُ نَفْسُهُ ثَقُلَ فَهُوَ وَازِنٌ وَمَا أَقَمْتُ لَهُ وَزْنًا كِنَايَةٌ عَنْ الْإِهْمَال وَالِاطِّرَاحِ وَتَقُولُ الْعَرَبُ لَيْسَ لِفُلَانٍ وَزْنٌ أَيْ قَدْرٌ لِخِسَّتِهِ "[2], فيشير صاحب المصباح هنا إلى ان اصل الكلمة من الوزن في اللغة

---

[1] - لسان العرب , ابن منظور, 446/13,

[2] - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, باب و- ز – ن, 10 /334.

وهو الثقل بالمعنى المادي(وزن= ثقل او كيل), وقد يأتي أيضا (الوزن) معنوياً (وزن= قدر او قيمة).

وقالوا في جمع مِيزان: موازين، فرجعوا إلى الأصل[1], و"القُسْطاسُ، بالضم والكسر المِيزانُ، وأقْوَمُ المَوازينِ، أو هو ميزانُ العَدْلِ أيّ ميزانٍ كان"[2], ويُمكن أن يكون المعنى مرتبطًا بالموازين الأخلاقية والشرعية التي تُستخدم لتقييم الأعمال, كما في تفسير الصافي" فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك و تعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين" [3]، مثل قوله تعالى: (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (الإسراء: 35), كذلك استشهد صاحب لسان العرب بالآية نفسها قائلا: "(قسطس) والقُسطاس أَعدل الموازين وأقومها "[4], إذ يتم استعمال القسطاس كـمِعيار للعدل والميزان الصحيح, وذكر صاحب اقرب الموارد "فالميزان و الكيل مِعْيَارٌ لما يُكَال و يُوزن"[5].

و استشهد صاحب مجمع البحرين بقوله تعالى: (وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلمِيزَانَ) (الرحمن:7), "روي إن جبرئيل υ نزل بالميزان ، فدفعه إلى نوح υ وقال : مرقومك يزنوا به, وجمع الميزان موازين ، ومنه قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيمة) (الأنبياء: 47), وقيل أراد الأنبياء والأوصياء , وقوله تعالى: (فَلَا نُقيمُ لهُم يومَ القيَمة وَزناً) (الكهف: 105), لا نزن لهم سعيهم مع كفرهم, وقوله تعالى: (وَ أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُون) (الحجر: 19), قيل أراد بالموزون

[1] - جمهرة اللغة , ابن دريد, باب ض.ن.ه , 2/ 11,
[2] - ينظر:القاموس المحيط, الفيروز ابادي, 2/ 106.
[3] - ينظر: تفسير الصافي , الفيض الكاشاني, 3 /341.
[4] - لسان العرب , ابن منظور , 176/6.
[5] - أقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد , سعيد الخورى الشرتوني, 3 / 687.

المعتدل أي أنبتنا فيها أنواعا من النبات و كل نوع معتدل باعتدال يختص به ، بحيث لوتغير لبطل "[1].

وفي تفسير القمي في تفسير قوله تعالى:(ونَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ) (الأنبياء: 47)[2], "المجازاة و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أي جازينا بها و هي ممدودة آتينا بها"[3].

وفي تفسير ابن شهر آشوب(ت:588 هـ)"الميزان هو المعروف و إذا استعمل في غيره كان مجازا و كلام الله لا ينقل عن الحقيقة إلى المجاز من دون دلالة و مانع و قال مجاهد و أبو مسلم إنها عبارة عن العدل و التسوية الصحيحة كما يقال كلام فلان موزون و أفعاله موزونة قوله (وَ أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُون) (الحجر: 19) و قيل هو برهان على إقامة العدل قوله (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ) (الشورى:17), و قوله (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ) (الحديد: 25), و قيل هو ذو الكفتين يوزن بها الصحف المكتوب و قيل يجعل النور في كفة علامة الرجحان و الظلمة في الأخرى علامة النقصان و قيل معناه من كان له يوم القيامة وزن كقوله (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا) (الكهف: 105) "[4].

ويتضح مما تقدّم أن المعايير تمثل الضوابط الكلية والقيم المرجعية التي تُقاس بها الأشياء والأفعال في ضوء الهدي القرآني، بينما الموازين هي الأدوات والآليات التي تُجسّد تلك المعايير في واقع عملي ملموس، فيظهر من خلالها العدل أو الجور، والحق أو الباطل, ومن ثم فإن العلاقة بينهما علاقة تكامل، إذ تُعد المعايير إطاراً

[1] - مجمع البحرين, فخر الدين الطريحي,6 / 325.
[2] - يراجع: صفحة 18-19 رواية بحار الأنوار في معنى الموازين.
[3] تفسير القمي ,علي بن ابراهيم القمي, 2 /71.
[4] - متشابه القرآن و مختلفه ,لابن شهر آشوب، 2 / 112

نظرياً، بينما الموازين تطبيقٌ عمليّ يترجم تلك المعايير في سلوك الأفراد والمجتمعات.

المطلب الثاني: المقاييس:

المقاييس في اللغة, هي جمع مقياس جاء في تاج العروس "والقَيَّاسُ : القَوّاسُ . والقَائسُ : الذي يَقِيسُ الشَّجَّةَ, وجَمْعُ الْمِقْيَاس مَقَاييسُ, ورجُلٌ قَيَّاسٌ : كَثيرُ القَيَاس وهو مَقِيسٌ عليه, وتقول : قبَّحَ اللهُ قوماً يُسَوِّدُونك ويُقايسُونَ برَأْيك, وهذه مسأَلة لا تَنْقَاسُ, وتَقايَسَ القَوْمُ : ذَكَرُوا مآرِبَهُم, وقَايَسَهَمْ إليه : قايَسَهُم به قال : إذا نَحْنُ قَايَسْنَا المُلْوك إلى العُلاَوإن كَرُمُوا لَمْ يَسْتَطِعْنَا المُقَايِسُ وفي التَّهْذيب : المُقَايَسَةُ : تَجْرِي مَجْرَى المُقَاساة التي هي مُعَالَجَةُ الأَمْر الشَّديدِ ومُكَابَدَتُه وهو مقلوبٌ حِينئذ, ويُقال : قَصُرَ مِقْيَاسُكَ عن مِقْيَاسي أَي مِثَالُك عن مِثَالي"[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ت: 395هـ) في بيان المقياس قال: " ومنه القياس وهو تقدير الشيء بالشيء والمقدار مقياس تقول قايست الأمرين مقايسة وقياسا "[2].

وفي المعجم الوسيط " (قايس) الشيء قياسا ومقايسة قدره و الشيء بكذا وإلى كذا قدره به وفلانا إلى كذا سابقه, (قيس) الشيء بغيره وعليه قاسه (اقتاس) الشيء بغيره وعليه قاسه وبأبيه سلك سبيله واقتدى به"[3]

وأضاف المعجم الوسيط ان القياس يعرف بحسب كل علم ففي (اللغة) رد الشيء إلى نظيره, وفي (علم النفس), عمل عقلي يترتب عليه انتقال الذهن من الكلي إلى

---

[1] - تاج العروس من جواهر القاموس, ابو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزبيدي, باب كأس, 1/ 4097, موقع الوراق.

[2] - معجمم مقاييس اللغه , احمد بن فارس بن زكريا, تحقيق عبد السلام هارون , 5 / 40

[3] - المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى واخرون, تحقيق مجمع اللغة العربية, باب القاف, 2 /457.

الجزئي المندرج تحته, كما إذا انتقل الذهن من مفهوم أن زوايا كل مثلث تساوي زاويتين قائمتين إلى أن زوايا هذا المثلث المرسوم أمامي الآن تساوي زاويتين قائمتين, وفي (المنطق) قول مركب من قضيتين, أو أكثر متى سلم لزم عنه لذاته قول آخر, كما إذا قلنا كل ذي أذن من الحيوان يلد والسلحفاة ذات أذن فإن هذا يستلزم القول بأن السلحفاة تلد, وفي (الفقه) حمل فرع على أصل لعلة مشتركة بينهما, كالحكم بتحريم شراب مسكر حملا على الخمر؛ لاشتراكهما في علة التحريم وهو الإسكار, ويأتي المقياس بمعنى المقدار وما قيس به من أداة أو آلة[1].

مما سبق يتضح أن المقاييس تمثل الوسائل العملية التي يُقدَّر بها الشيء ويُعرف وزنه أو مقداره حسًّا أو معنى، في حين أن المعايير هي الضوابط المرجعية والقيم الكلية التي يُحتكم إليها في التمييز بين الحق والباطل أو الصواب والخطأ, فالمقاييس أدوات تطبيقية جزئية، أما المعايير فهي أصول عامة تضبط حركة الإنسان والمجتمع فالعلاقة بينهما علاقة ترابط وتكامل؛ إذ تُترجم المقاييسُ المعاييرَ إلى واقع ملموس، فيتحقق بذلك التوازن بين الأساس النظري والتطبيق العملي في ضوء التوجيه القرآني.

المطلب الثالثً: الأسس:

[1] - ينظر: المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون, تحقيق مجمع اللغة العربية, باب القاف, 2 /457.

جاء في المعجم الوسيط "أسس: يُقَال: هُوَ الأُس والأساس لأصل البِناء، وَجمع الأساس: أسس ...الأَسِيس: أصلُ كلّ شَيْء,... أَسستُ دَارا: إذا بَنَيْتَ حُدودَها ورَفَعْتَ من قواعدها, وَهَذَا تأْسيسٌ حَسَن"[1]

قال تعالى : (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: 109).

يبدو من خلال التعريف, و الآية القرآنية إن الأساس يتشابه مع المعيار من جهة, فهو القاعدة التي يستند عليها المعيار.

جاء في لسان العرب "أسس: الأُسُّ والأَسَس والأَساس: كُلُّ مُبْتَدَإِ شيءٍ, والأُسُّ والأَساس: أَصل الْبِنَاءِ، والأَسَسُ مَقْصُورٌ مِنْهُ، وَجَمْعُ الأُسِّ إساس مِثْلُ عُسّ وعِساس، وَجَمْعُ الأَساس أُسس مِثْلُ قَذال وقُذُل، وَجَمْعُ الأَسَس آسَاسٌ ... وَقَدْ أَسَّ البناءَ يَؤُسُّه أَسّاً وأَسَّسَه تأْسيساً، اللَّيْثُ: أَسَّسْت دَارًا إذا بَنَيْتَ حُدُودَهَا وَرَفَعْتَ مِنْ قَوَاعِدِهَا، وَهَذَا تأْسيس حَسَنٌ, وأُسُّ الإنسان وأَسُّه أَصله، وَقِيلَ: هُوَ أَصل كُلِّ شَيْءٍ"[2].

وفي المصباح المنير" أُسُّ الْحَائِطِ بِالضَّمِّ أَصْلُهُ وَجَمْعُهُ آسَاسٌ مِثْلُ قُفْلٍ وَأَقْفَالٍ وَرُبَّمَا قِيلَ إسَاسٌ مِثْلُ عُسٍّ وَعِسَاسٍ وَالْأَسَاسُ مِثْلُهُ وَجَمْعُهُ أُسُسٌ مِثْلُ عَنَاقٍ وَعُنُقٍ وَأَسَّسْته

[1] - تهذيب اللغة, محمد بن احمد بن الأزهري الهروي, تحقيق: محمد عوض مرعب, باب السين, 13/ 96.
[2] - لسان العرب, ابن منظور, 6 / 6, فصل الالف.

تَأْسِيسًا جَعَلْت لَهُ أَسَاسًا"[1] , ومن خلال ما سبق يمكننا تلخيص أوجه التشابه والاختلاف بين الأسس والمعايير كما يأتي:

1- أوجه التشابه:

أ - في إطار عام: كلاهما يُستعمل كدليل أو إطار لتنظيم الأعمال أو تقييمها، سواء أكان ذلك في المجالات العلمية ام العملية أو الأخلاقية.

ففي التعليم، تكون الأسس المبادئ الفلسفية للتعليم، بينما تُحدد المعايير مؤشرات نجاح الطلاب.

ب - تحقيق الاتساق والجودة: تسعى الأسس والمعايير إلى ضمان التناسق والموثوقية في النتائج.

وفي الصناعة، تُحدد أسس الجودة (مثل التركيز على رضا العملاء)، بينما تُترجم معايير الجودة (ISO) مثل هذه الأسس إلى إجراءات عملية.

جـ - الاستناد إلى قيم أو غايات: كلاهما يعكس قيمًا أو أهدافًا عليا للمنظمة أو النظام.

كما في الأخلاقيات، قد تكون الأسس قيمًا مثل العدالة، بينما المعايير قواعد سلوكية تُطبق هذه القيم.

2- أوجه الاختلاف:

الجانب الأول: من حيث الطبيعة, الأسس هي مبادئ رئيسة عامة, ومجردة, أما المعايير, فهي محددة وقابلة للقياس .

الجانب الثاني: من حيث الغاية, الأسس هي قواعد عامة تجيب عن سؤال الغاية أو العلة, اما المعايير فتجيب عن سؤال الكيف[2].

---

[1] - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: 770هـ), 1/ 14-15.

[2] - المبادئ والسياسات والمعايير والاجراءات, ليزووترز, https://cloudadvisor.medium.com/principles-policies-standards-

المطلب الرابع: القواعد:

جاء في لسان العرب تعريف القواعد لغة "القواعد جمع قاعِدٍ وهي المرأة الكبيرة المسنة, هكذا يقال بغير هاء؛ أَي أَنها ذات قعود, فأَما قاعدة فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً, ويجمع على قواعد فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً ويجمع على قواعد أَيضاً وقعدت النخلة حملت سنة, ولم تحمل أُخرى, والقاعِدَةِ أَصلُ الأُسِّ والقَواعِدُ الإساسُ وقواعِد البيت إساسُه وفي التنزيل: (وإِذ يَرفَعُ ابراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيل) (البقرة 127), وفيه (فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ) (النحل: 26), قال الزجاج القَواعِدُ أَساطينُ البناء التي تَعْمِدُه وقَواعِدُ الهَوْدَج خشبات أَربع معترضة في أَسفله تُركَّبُ عِيدانُ الهَوْدَج فيها"[1].

كما ورد تعريف القاعدة لغة في تاج العروس "والقَاعِدُ هي يقال : في أَرْض فُلانٍ مِن القاعِدِ كذا, وكذا أَصْلاً ذَهَبُوا به إلى الجِنْسِ أَو القاعِدُ من النَّخْل : التي تَنَالُهَا اليَدُ وقال ابنُ الأَعرابيّ في قول الراجز : " تُعْجِلُ إضْجَاعَ الجَشِيرِ القَاعِدِ قال : القاعِدُ : الجُوَالِقُ المُمْتَلِىءُ حُبًّا كأَنَّه من امتلائه قاعِدٌ, والجَشِير : الجُوَالِق, من المجاز : القَاعِدُ من النساءِ : التي قَعَدَتْ عَنِ الوَلَدِ ...وفي التنزيل: (والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) (النور: 60), قال الزجَّاجُ : هن اللواتي قَعَدْنَ عن الأَزواج ...القواعِدُ : جمع قاعِدٍ وهي المرأةُ الكبيرةُ المُسِنَّةُ هكذا يقال بغير هاءٍ أَي ذاتُ قُعُودٍ فأَمَّا قاعِدةٌ فهي فاعِلَة من قولِك قَدْ قَعَدَتْ قُعُوداً ويجمع على قواعِدَ أَيضاً, وقَوَاعِدُ الهَوْدَجِ : خَشَبَاتٌ أَرْبعُ مُعْترِضَة تَحْتَه رُكِّب فِيهِنَّ الهَوْدَجُ, ورَجُلٌ قُعْدِيٌّ بالضمّ والكسر : عاجِزٌ كأَنه يُؤْثِر القُعُودَ وكذلك ضُجْعِيٌّ ضِجْعِيّ إذا كان كثير الاضْطِجَاعِ"[2].

, guidelines-and-procedures-whats-the-difference-6e7a406c279 .2024 -8-14.

[1] - لسان العرب, ابن منظور, 3/ 357.

[2] - تاج العروس من جواهر القاموس, مرتضى الزبيدي, 1/ 2209.

والذي يخصنا في البحث هي القواعد جمع قاعدة بمعنى الأساس فأساس كل شيء قاعدته.

وفي الفروق بين المعايير, والقواعد في سياق البحث في معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم يمكننا تلخيص عدد من النقاط الرئيسة:

1- من جهة المفهوم:

-المعايير: هي مبادئ عامة تُحدد (الصفات أو المواصفات) التي يجب توافرها لتحقيق التقدم الحقيقي، مثل العدل، التوازن، الإحسان قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90)

- أما القواعد: فهي تعليمات تفصيلية تُحدد كيفية تحقيق تلك المعايير، مثل تحريم الظلم، أو وجوب الصلاة والزكاة, قال تعالى:(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: 43), فمن خلال الزكاة يمكن رفع الفقر عن الفقراء, مما يسهم في تطور وتقدم المجتمع .

2- من جهة الغاية:

-المعايير في القران الكريم توضح, وتبيّن معيار التقدم الحقيقي, مثل: معيار التوازن بين الدنيا والآخرة, قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص: 77).

-القواعد في القران الكريم تبيّن طريق الوصول إلى التقدم مثل قاعدة التعاون على البر, (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة: 2).

3- من جهة المرونة:

-المعايير مرنة وقابلة للتأويل على وفق السياق الزمني والمكاني, مثل: معيار الاستخلاف في الأرض يتطلب آليات مختلفة حسب العصر, قال تعالى:(...وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١) [1].

-القواعد ثابتة في الجوهر، ولا تتغير إلا بنص شرعي, مثل: قاعدة تحريم الربا قال تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: ٢٧٥) لا تُعدَّل بتغير الزمن .

4- من جهة المصدر:

-المعايير: تُستنبط من المقاصد الكلية للشريعة كحفظ الدين، العقل، النفس, مثل: معيار التقدم العلمي المستمد من الأمر بالتفكر في الكون, كما في قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة :١٦4)

- القواعد: تُستمد مباشرة من النصوص التشريعية الصريحة مثل قاعدة تقسيم الميراث كما في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ...) (النساء: ١١) [2].

أما في ما يتعلق بأوجه التشابه بين المعايير والقواعد من خلال سياق البحث, فهما كلاهما مكملان لبعضهما فالقواعد تُترجم المعايير إلى أفعال عملية فمعيار العدل مثلا يتحقق عبر قواعد مثل تحريم الظلم قال تعالى: (...اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...) (المائدة: ٨), وكلاهما يُسهم في بناء الحضارة الإنسانية على وفق الرؤية القرآنية .

[1] - ينظر: - تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي, 19 /35.
[2] - ينظر: تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب ,محمد بن رضا القمي,2 /233.

ومما سبق, يمكن القول: المعايير القرآنية (كالتوازن، العدل، الاستخلاف) تُشكل إطارًا لقياس تطور الأمم .

والقواعد القرآنية (كالعبادات، الأخلاق، الحدود) تكون آليات تنفيذ هذا التطور .

كمعيار التقدم الاقتصاديّ في القرآن يقوم على العدل, كما في قوله تعالى: (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: 25)

وقواعد تحقيق هذا المعيار: الزكاة وتحريم الربا, كما في قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) (التوبة: ١٠٣)

فالقرآن يقدم رؤية متكاملة للتقدم فالمعايير تعد البوصلة التي تحدد الاتجاه, اما القواعد فهي الخريطة التي ترسم الطريق.

وهذا التكامل يجعل الأنموذج القرآني قادرًا على مواكبة التحديات المعاصرة من دون التنازل عن ثوابته؛ لأن القران الكريم جاء لكل زمان ومكان, ولم يحدد بزمان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم), بل يعالج مشكلات كل الأزمنة, ويرسم خارطة الطريق ويضع المعايير لتقدم, وتطور المجتمعات ورقيها إذا ما تمسكوا بتعاليم الله (سبحانه وتعالى) المنزلة في كتابه الكريم .

المطلب الخامس: المحدِّدات:

جاء في لسان العرب "حدد: الحَدُّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أَحدهما بالآخر أَو لئلا يتعدى أَحدهما على الآخر وجمعه حُدود وفصل ما بين كل شيئين حَدٌّ بينهما ومنتهى كل شيء حَدُّه ... والحَدُّ المَنْعُ وحدَّ الرجلَ عن الأَمر يَحُدُّه حَدّاً منعه وحبسه تقول حَدَدْتُ فلاناً عن الشر أَي منعته ...وحَدَّده فهو مُحدَّد مثله ... هذا أَمر حَدَدٌ أَي منيع حرام لا يحل ارتكابه وحُدَّ الإِنسانُ مُنِعَ من الظفَر وكلُّ محروم محدودٌ ودون

ما سألت عنه حَدَدٌ أي مَنْعٌ ولا حَدَدَ عنه أَي لا مَنْعَ ولا دَفْعَ قال زيد بن عمرو بن نفيل لا تَعْبُدُنّ إلهاً غيرَ خالقكم وإن دُعِيتُمْ فقولوا دونَهُ حَدَدُ أَي مَنْعٌ " [1].

وتحديد المصطلح بجنسه وفصله, وعلى التَّحديد على وجه التَّحديد بالتَّحديد: بصورة محدّدة ودقيقة، بالضبط, عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ : التَّدْقِيقِ, تَحْديدُ النّسْلِ : حَصْرُهُ وتَحْديدُ الحدودِ : رَسْمُها، تَعْيِينُها، وَضْعُها[2]

وعرّفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي "المحدد: كل ما كان معينا ومحكما, ودقيقا, تقول: المنهج المحدد والمقادير المحددة, والمحدد كذلك هو الموضوع الذي ذكرت جميع خصائصه, ومميزاته حتى صار واضحا وبينا ويرادفه المعرف ويقابله اللامحدود واللامتعين, وفرّقوا بين المُحَدِّد هو العنصر الفكري الذي يتم به التعريف, والمُحَدَّد هو الموضوع الذي تم تعريفه أو تحديده"[3] , والمُحَدِّد هو موضوع بحثنا .

وفي سياق بحثنا يمكن التمييز بين المعايير والمحددات لضمان دقة التحليل من خلال الفروق الرئيسية بينهما مع أمثلة قرآنية توضيحية:

1- من خلال التعريف العام: المعاييرهي مقاييس أو مؤشرات تُستعمل لتقييم جودة شيء ما أو مدى تحقق هدف معين مثل: التقدم، النجاح، الجودة, كمعيار العدل في الحكم :كما في قوله تعال: (انَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٥) [4]

[1] - لسان العرب, ابن منظور, 3 / 140.
[2] - ينظر: معجم المعاني الجامع ,
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/ar/%D9%85%D8%AD%D8%AF%D8%AF%D8%A7%D8%AA
[3] - المعجم الفلسفي, جميل صليبا, 1.
[4] - البرهان في تفسير القرآن , السيد هاشم البحراني, 1 /56.

-أما المحددات, فهي عوامل أو شروط تُحدد الإطار العام أو الحدود التي يجب أن يلتزم بها الفعل, أو النظام, مثل: الزمان، المكان، الموارد، التشريعات, كتحديد الحدود الشرعية في المعاملات كما في قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) (البقرة: ٢٢٩), و الظاهر أن المراد منها كل الأحكام الشرعية المقررة غير الواجبات و المحرمات من أحكام القضاء و الطلاق و النكاح و الارث و غيرها، و هى أكثر الفقه جدا، و بهذا الإعتبار يمكن أن يدخل فيها المباحات و لكن لا يلائمه قوله: (فلا تعتدوها)، مضافا إلى أن ظاهر الحدود ينافي الاباحة، فان المباح غير محدود[1].

2- من جهة الطبيعة :المعايير ذات طبيعة تقييمية (تقيس النتائج), مثل معيار التقوى كمقياس لقبول الأعمال كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧)

-أما المحددات, فذات طبيعة إجرائية (تُحدد الشروط المسبقة أو القيود), كتحديد مواقيت الصلاة كشرط لصحة العبادة(:أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) (الإسراء: ٧٨).

3- من جهة الوظيفة :المعايير توضح, ما الذي يجعل الشيء مُرضيًا أو ناجحًا,

مثل معيار الإحسان في العمل قال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥).

[1] - ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة, الميرزا حبيب الله الخوئي, 21 / 158.

اما المحددات :تُوضح ما الذي يتحكم في إمكانية تنفيذ الشيء؟, مثل تحديد الحلال والحرام كحدود للتعاملات قال تعالى: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) (الأنعام: ١١٩).

4- من جهة المرونة :المعايير قد تكون مرنة, وقابلة للتأويل بالنظر إلى السياق, كمعيار المصلحة العامة, التيسير في الدين كقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: 189) فالمعيار هنا اليسر في الدين, وعدم التعسير, أو الشدة على المسلمين.

أمّا المحددات فهي على الأغلب ثابتة ولا تتغير, إلا بنص, أو دليل مثل تحديد أركان الإسلام كتحديد أركان الصوم في قوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة: 185)

5- من جهة العلاقة بالغاية: المعايير ترتبط بالغاية النهائية (مثل: تحقيق العدالة الاجتماعية كمعيار التكافل في المجتمع في قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة:2)[1].

أما المحددات فترتبط بالمسار التنفيذي (مثل: الضوابط الشرعية للتعاون

كتحديد تحريم الربا كشرط للتعاون المالي كما في قوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: ٢٧٥).

[1] - ينظر: الوافي , الفيض الكاشاني,10 /566.

اما أوجه التشابه بين المعايير والمحددات فكلاهما يُسهم في تنظيم الفعل الإنساني وفق الرؤية القرآنية, فقد تتداخل في بعض السياقات، مثل أن تكون المحددات وسيلة لتحقيق المعايير كتحديد الزكاة محدد مالي لتحقيق معيار العدالة قال تعالى:(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكمْ) (الحشر: 7).

ومما تقدم يمكن القول ان مثال المعيار في القران الكريم هو التقدم الحضاري القائم على العمران كقوله تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: :61).

وإنّ مثال المحددات في القران الكريم, هو الإلتزام بالعدل كقوله تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: ٨)

وكتحريم الإفساد في الأرض كقوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) (الأعراف:56)[1].

المطلب السادس: الضوابط:

الضوابط جمع ضابطة, والضابط لغةً: من الضبط، وهو الشدة والحزم والحفظ، والرجل الضابط هو الشديد الحازم.

والضوابط : في اللغة: جمع ضابط وهي مأخوذة من الضبط، وهو لزوم الشيء وحبسه، قال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل الضابط: هو الحازم القوي الشديد, وفي الاصطلاح الفقهي: قضية كلية فقهية منطبقة على فروع من باب واحد، فالتعريفان سيان إلى قولنا: منطبقة

[1] - ينظر: تفسير العياشي , محمد بن مسعود العياشي, 2 /19.

على فروع، ويفترقان بعد ذلك، فالقاعدة الفقهية تنطبق على فروع من أبواب، بينما ينطبق الضابط الفقهي على فروع من باب واحد[1].

وفي الاصطلاح اختلف فيها العلماء على رأيين:

الرأي الأول: إن القاعدة بمعنى الضابط، ولا يوجد فرق بينهما، وممن قال بذلك الفيومي, وابن الهمام[2]، وقد خالف تاج الدين السبكي إطلاق الضوابط على القواعد والتعريفات وانتقد ذلك، فقال: "وعندي أن إدخالها في القواعد خروج عن التحقيق، ولو فتح الكاتب بابها لاستوعب الفقه وكرره، ورده، وجاء به على غير الغالب المعهود، والترتيب المقصود، فحير الأذهان، وخبط الأفكار"[3].

وقد يكون رأي الفيومي, وابن الهمام[4] وغيرهما من عدم التفريق بين القاعدة والضابط في اللغة, كما قال الدكتور الباحسين: إن بعض العلماء أطلق الضابط على تعريف الشيء، وعلى المقياس الذي يكون علامة على تحقق معنى من المعاني، وعلى تقاسيم الشيء، وعلى أحكام فقهية عادية، وإطلاق الضوابط على هذه الأمور يجعلنا نختار تفسير الضابط بمعنى أوسع مما ذكروه، فنحمل الضابط على معناه اللغوي الدال على الحصر والحبس، فالضابط هو كل ما يحصر ويحبس، سواء أكان بالقضية الكلية، أم بالتعريف، أو بذكر مقياس الشيء، أو بيان أقسامه[5].

---

[1] - ينظر: لسان العرب, ابن منظور، 5/ 457؛و تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي 19/ 439 باب الطاء مادة: ضبط.

[2] - ينظر:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي 2 / 510.

[3] - الأشباه والنظائر للسبكي، 2/ 306.

[4] - محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، المعروف بابن الهمام إمام من علماء الحنفية, عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والموسيقى والمنطق, أصله من سيواس, ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة, توفي بالقاهرة (1457), الضوء اللامع لاهل القران التاسع, شمس الدين السخاوي, ٨/ ١٢٧ - ١٣٢

[5] - ينظر: القواعد الفقهية المبادئ المقدمات: د. يعقوب عبدالوهاب الباحسين، 66.

والرأي الثاني: أن هناك اختلاف بين معنى الضابط وبين معنى القاعدة، وأن هناك فرقًا بينهما، وهو ما جنح إليه جمهور العلماء[1]، وأمّا ابن نجيم[2](*) فذهب إلى نفس الرأي فقال في الفن الثاني من (الأشباه): الفرق بين الضابط والقاعدة: "إن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى؛ والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل"[3].

أما السيوطي (رحمه الله) فقد بيَّن هذا الفرق في الفن الثاني من كتابه "الأشباه والنظائر في النحو"؛ فقال: "مما اشتمل عليه الكتاب .... في الضوابط والاستثناءات والتقسيمات، وهو مرتب على الأبواب لاختصاص كل ضابط ببابه، وهذا هو أحد الفروق بين الضابط والقاعدة؛ لأن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى، والضابط يجمع فروع باب واحد"[4].

وهذا ما ذهب إليه أبو البقاء[5](*) في كتابه الكليات؛ إذ قال بعد تعريفه القاعدة: "والضابط يجمع فروعًا من باب واحد"[6]

---

[1] - وممن قال بهذا القول: السبكي، الأشباه والنظائر: 1/ 11، والزركشي، تشنيف المسامع 3/ 364، والسيوطي، الأشباه والنظائر:1/ 9، وابن نجيم الأشباه والنظائر 137، وابن النجار شرح الكوكب المنير:1/ 30، والكفوي الكليات: 728، والتهانوي كشاف اصطلاح الفنون 886، والبناني، حاشية العلامة البناني على شرح الجلال المحلي 1/ 21، وقد مال إلى هذا القول أكثر المعاصرين؛ ينظر: الندوي، القواعد الفقهية:46، يعقوب الباحسين، القواعد الفقهية, 58.

[2] * ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم بن محمد الحنفي، كان عالِمًا محققًا فقيهًا وأصوليًّا، توفي سنة (970)هـ في مصر من أشهر مؤلفاته: الأشباه والنظائر، البحر الرائق شرح كنز الدقائق؛ ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لعبدالحي بن العماد الحنبلي، 8/ 358، دار ابن كثير، دمشق، ط1 (1406)هـ، الفوائد البهية، ص134، الأعلام، 3/ 64.

[3] - الْأَشْبَاهُ وَالنظَائِرُ, زَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ نُجَيْمٍ، ت (970هـ)، 166 دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط (1400هـ=1980م).

[4] - الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي, 1/ 71.

[5] (*) أبو البقاء: هو أيوب بن السيد شريف موسى الحسيني، أبو البقاء من أهل (كفا) بالقرم، من قضاة الأحناف توفى وهو قاض بالقدس، ت (1094 هـ)، من تصانيفه: (تحفة الشاهان) تركي في فروع الحنفية و(الكليات) في اللغة.
ينظر: هدية العارفين 1 / 229، ومعجم المؤلفين 3 / 31، والأعلام للزركلي 1 / 383.

وعموماً الضابط في الاصطلاح الفقهي: "هو ما انتظم صورًا متشابهة، في موضوع واحد من أبواب الفقه، يكشف عن حكم الجزئيات التي تدخل تحت موضوعه"[1], وبحث هذا الفرق العلامة تاج الدين السبكي[2](*) (ت ٧٧١هـ), بعد أن ذكر تعريف القاعدة، قائلا: "ومنها ما لا يختص كقولنا: (اليقين لا يزال بالشك)، ومنها ما يختص كقولنا: (كل كفارة سببها معصية فهي على الفور)، والغالب فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطًا"[3]، وقيل: "ما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة"[4]، وغيره الكثير من التعريفات لا يسع المقام لذكرها فهي كلها توضح معنى الضوابط في الاصطلاح الفقهي وتبين أنها حكم كلي يكشف عن جزئيات متعددة.

ومثال الضابط القواعد الفقهيه: (الكفارة سببها معصية فهي على الفور)، و(الأصل في الماء الطهارة)، و(ما لا يمكن الاحتراز عنه من النجاسات يعفى عنه)[5]

وفي سياق البحث, يمكننا تمييز أهم نقاط التشابه, والاختلاف بين المعايير والضوابط, فهو أمرٌ أساسي لفهم آليات تحقيق التقدم على وفق الرؤية القرآنية. فسنستعرض الفروق الرئيسة مع أمثلة توضيحية:

---

6 - الكليات, لأبي البقاء، فصل القاف، القسم الرابع، ٧٢٨.

1 - الكيلاني، عبدالرحمن، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي: 42، عبدالعزيز محمد عزام، القواعد الفقهية: 28.

2 (*) ابن السبكي (تاج الدين): هو عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي، أبو نصر قاضي قضاة عصره، ولد في القاهرة سنة (727)هـ، وانتقل مع والده إلى دمشق فسكنها وتوفي فيها (771)هـ، من مصنفاته: طبقات الشافعية الكبرى، جمع الجوامع.
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين؛ خير الدين الزركلي، 4/ 184، ط3 (1389هـ - 1969م) بيروت، معجم المؤلفين 6/ 225-226.

3 - الأشباه والنظائر، للسبكي، 1/ 11.

4 - الأشباه والنظائر للسبكي, 1/ 11.، الكليات للكفوي 728.

5 - ينظر: البياتي، القواعد الفقهية الكبرى: 17.

التعريف العام:

1. سبق تعريف المعايير: هي مقاييس نوعية أو كمية تُستخدم لتقييم جودة شيء ما أو مدى تحقق هدف معين (مثل: التقدم، النجاح، العدالة), ويمكن تمثيل هذا في القران الكريم بقوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣) فيكون هنا في هذه الآية القرآنية معيار التقوى مقياس للتكريم الإنساني.

2. الضوابط: هي آليات تنظيمية, أو إجرائية تُحدد كيفية تنفيذ الأعمال أو الحدود التي يجب الالتزام بها لضمان تحقيق المعايير.

مثل ضابط المنع عن الاعتداء في الحروب كما في قوله تعالى: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠)[1].

الفروق الجوهرية:

1. من جهة الطبيعة: - المعايير تقييمية تُركز على قيمة, أو جودة النتائج, مثل: معيار الإحسان في العمل كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠).

- أما الضوابط إجرائية فتُركز على الكيفية أو الحدود في أثناء التنفيذ.

مثل ضابط التوثيق في الديون كما في قوله تعالى: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) (البقرة: ٢٨٢).

[1] - تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب, محمد بن محمد رضا القمي, 2 /263.

2. من جهة الهدف: - المعايير تبين ما الذي يُعَدّ تقدمًا حقيقيًّا؟.

كمعيار التوازن بين الروح والمادة (الآخرة والدنيا) كما في قوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص: ٧٧).

- أما الضوابط, فتبين كيف نضمن عدم الانحراف عن المسار الصحيح؟".

مثل ضابط تحريم الغش كما في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) (المطففين: ١).

3. من جهة المرونة: المعايير قد تكون مرنة.

-أما الضوابط, فهي ثابتة غالبًا، ولا تتغير إلا بدليل (مثل ضوابط العبادات), كما في ضابط عدد ركعات الصلوات المفروضة.

4. من جهة المصدر: المعايير تُستنبط من المقاصد العليا للشريعة (كحفظ الدين، العقل، النفس), مثل معيار العدالة الاجتماعية كما في قوله تعالى: (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥).

-أما الضوابط, فتُستمد من النصوص التفصيلية أو القواعد الفقهية (مثل ضابط أحكام الميراث) كما في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ...) (النساء: ١١)[1].

ثالثًا: أوجه التشابه :

- كلاهما يُسهم في تنظيم السلوك البشري على وفق المنهج القرآني.

- الضوابط تُعدّ أدوات لتحقيق المعايير (ضوابط الزكاة تحقق معيار العدالة الاقتصادية).

[1] - تفسير العياشي, محمد بن مسعود العياشي, 1/ 225.

و يمكن أن نقول إنّ المعايير هي البوصلة التي تحدد الاتجاه الصحيح للتقدم, إما الضوابط فهي السياج الذي يمنع الانحراف عن هذا الاتجاه, ويمكن تمثيل ذلك من القرآن الكريم في المعايير (مثل معيار التقدم العلمي المبني على التفكر في الخلق) كما في قوله تعالى: (إِنَّ فى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتى تَجْرى فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ تَصْريفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤)[1].

- وفي الضوابط (مثل ضابط النهي عن إتباع الظن في العلم), كما في قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء: ٣٦)

[1] - ينظر: الوافي , الفيض الكاشاني, 1/ 86.

الفصل الثّاني

معايير التّقدّم والتّطور الدّينيّة و الثقافيّة في القرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: معايير التقدم والتطور الدينية في القران الكريم

المطلب الأول: الإيمان

المطلب الثاني: التوحيد

المطلب الثالث:الأخلاق

المطلب الرابع: التوازن بين الدنيا والآخرة

المبحث الثاني: معايير التقدم والتطور الثقافية في القران الكريم

المطلب الأول: الثقافة القرآنية

المطلب الثاني: العلم والمعرفة

توطئة:

من الثابت اليقيني أنّ التقدم والتطور الحضاري الشامل لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل مرجعيات الإسلام, العقدية والثقافية والتاريخية, فأروع ما يبشر به مشروع التطور الإسلامي في الحياة, هو الدعوة إلى حضارة إنسانية تستلهم الوجدان, وتحيي الروح وتكرم الإنسان في عالم أصبحت فيه هذه القيم غريبة ومنبوذة.

إنّ فكرة النهوض, والتقدم والتطور الإسلامي في القران الكريم تعني تفعيل وجداني عملي لرؤية متسقة مع العالم والكون والمجتمع, والإنسان ينطلق من منظور قرآنيّ, وتصاغ على أساسها ذات الأمة وهويتها الحضارية, إذ يتجلى من اجتماع هذه الرؤية وجهاد الأمة, سياسات رشيدة ناجحة, تعيد بناء واقعها من جديد في المجالات كلها, الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية, وتقترح وسائل لتحقيق أهدافها ومطامحها, فالنهوض الإسلاميّ يتطلب طموح وعمل من أجل الوحدة والتقدم[1]

[1] - ينظر: المشروع النهضوي العربي, محمد عابد الجابري, 12.

المبحث الأول: معايير التقدم والتطور الدينية في القران الكريم

إنّ الدين الإسلامي هو الأساس في عملية بناء وتقدم المجتمعات الإسلامية فالدين الإسلامي هو الحياة ولا حياة إلا بالدين الإسلامي , ومن غير الدين يصبح الناس في عداد الموتى, إذ قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُم) (الأنفال:24), فالحياة الحقة لا تكون الا في ظل الإسلام فهو منهج الحياة الذي رسمه القرآن الكريم[1], ومن اجل بيان ذلك لابد من التطرق للاتي:

الفرق بين الإسلام والإيمان في القرآن الكريم:

قبل الدخول في تفصيل محور الايمان لابد للبحث من المرور على الفرق بين الاسلام والإيمان, حتى يتضح للقارئ الفرق بينهما, فيُظهر القرآن تمييزًا دقيقًا بين المفهومين، على الرغم من ترابطهما الوثيق، وسنبين ذلك في النقاط التالية :

أولاً: المعنى اللغوي والشرعي:

الإسلام في المعنى اللغوي هو الاستسلام والانقياد والخضوع لله[2] وفي المعنى الشرعي هو المنهج الكامل الذي أنزله الله للإنسان (عقيدةً، شريعةً، أخلاقًا)[3].

أما الإيمان في المعنى اللغوي, فهو التصديق والاطمئنان, ولا يختلف عنه المعنى الشرعي, فهو التصديق القلبي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[4].

---

[1] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد , عامر الكفيشي, 22-23.
[2] - الموسوعة الفقهية الكويتية, مجموعة مؤلفين, 7 /315.
[3] - ينظر: العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي, 2 /126.
[4] - التعريفات, الجرجاني , 1/ 12.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام"(الإيمان تصديق بالقلب , وإقرار باللسان, وعمل بالأركان)"[1].

ثانيًا: الفروق الجوهرية بينهما في القرآن:

1- من حيث السعة والضيق:

الدين أعمّ وأشمل, والدين الإسلامي: هو مِلّة الإسلام، بما تضمّنه من عقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين، من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد (صلّى الله عليه وآله).

وهذه الرسالة الخالدة والدين الكامل نصّ الكتاب عليها قال تعالى:(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: 19), فبعد أن جاء الإسلام، وهو الدين الكامل الضامن لكل متطلبات الإنسان الفطرية في هذه الحياة الدنيا، وكذلك متطلباته للعيش بسعادة في الآخرة، فهو يضمن سعادة الدنيا ايضاً، فلا يقبل الله من الناس ديناً غيره، قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل عمران: 85), فيشمل الدين الشرائع السماوية كلها, أما الإيمان فهو أخصّ, قال تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) (الحجرات: 14), فالإيمان أعمق من مجرد الإسلام الظاهري (كالنطق بالشهادتين من دون استقرار القلب), فالمنافقون أظهروا الإسلام (الصلاة، الزكاة) (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى) (النساء: 142), لكنهم بلا إيمان: (وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) (التوبة: 54).

2- من حيث الثمرة العملية :

[1]- بحار الانوار , العلامة المجلسي, 66 / 68.

الإيمان, يَستلزم العمل الصالح, قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (البقرة: 277), أما الإسلام, فيَشمل العبادات والمعاملات والحدود, قال تعالى:(أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: 13), فغاية الدين ومبلغه ومنتهاه هو كما قال أمير المؤمنين(عليه السلام): (غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود)[1].

3- من حيث التدرج :

الإسلام يُسبق بالإيمان, قال تعالى: (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فإخوانكم فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلأيَٰتِ لِقَوم يَعلَمُونَ * وَإِن نَّكَثُواْ أَيمَنَهُم مِّن بَعدِ عَهدِهِم وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُم فَقَتِلُواْ أَيِمَّةَ ٱلكُفرِ إِنَّهُم لَا أَيمَنَ لَهُم لَعَلَّهُم يَنتَهُونَ) (التوبة:11-12), فالدين هو الإقرار باللسان بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله) فمن قال ذلك فهو مسلم حُقِن دمهِ، ومالهِ، وعِرضهِ، إلّا أن يُطالب بحق, وبعد ذلك يأتي الإيمان: وهو إقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان، وتصديقٌ بالجَنان، فمن أقرّ بالشهادتين، والتزم العمل بأركان الإسلام من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍ وغيرها من الأحكام، مُعتقداً بذلك في قلبه، فهو مؤمن, وقال رسول الله(صلّى الله عليه وآله): (الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان)[2], وقال(صلّى الله عليه وآله) حين سُئل ما الإيمان: (أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والموت والحياة بعد الموت)[3].

[1] - مستدرك الوسائل, الميرزا النوري, 12/ 185.
[2] - الخصال، الشيخ الصدوق, 178.
[3] - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 56 /260.

وبعد بيان الفروقات المطلوبة, ينطلق البحث لبيان محورية الإيمان في التطور والتقدم ومعاييرها في القران الكريم عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإيمان أساس التقدم والتطور في القرآن الكريم:

الإيمان في اللغة هو التصديق بالقلب، وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان, وقيل: من شهد وعمل, ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل, واعتقد فهو فاسق، ومن أخلّ بالشهادة, فهو كافر, والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف، هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود، هو إيمان المنافقين[1].

والإيمان في القرآن ليس مجرد شعورٍ روحي، وإنما هو القوة المحركة لعمارة الأرض وتحقيق التقدم الشامل (المادي والمعنوي), ويُقدّم القرآن رؤيةً متكاملة تربط بين صلاح القلب وعمران الأرض، وتُظهر أن التخلف الحضاري ناتجٌ من انفصال التقدم المادي عن الجذور الإيمانية, وسنبين ذلك في النقاط الآتية:

أولا: التأصيل ألقراني لعلاقة الإيمان بالتقدم:

1- أية التكريم الإلهي المرتبطٌ بتسخير الموجودات للإنسان:

قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: 70).

إذ تدل الآية على إن التكريم يشمل, تمكين الإنسان من تسخير الموارد (كالبرّ في الزراعة والصناعة والإعمال الأخرى, والبحر كصناعة السفن والغواصات

[1] ينظر: التعريفات, الجرجاني , 1 / 12.

والاستفادة من المأكولات البحرية فضلا عن السفر بالبحر) لتحقيق الرفاهية والسعادة، وهو تفويضٌ إلهي لتحقيق التقدم بإعطاء القدرة والاختيار[1].

2. آية الاستخلاف والتمكين في الأرض:

قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُون) (النور: 55), وقال تعالى:(الَّذينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج :41)

إذ تدل هذه الآية على إن الوعد بالاستخلاف مشروطٌ بالإيمان والعمل الصالح، مما يربط التقدم الحضاري بالاستقامة الأخلاقية, وقد جاء في الكافي عن الإمام الصادق(عليه السلام): (أستخلفكم لعلمي و ديني و عبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتى يبعث النبي الذي يليه- (يعبدونني لا يشركون بي شيئا), يقول يعبدونني بإيمان لا نبي بعد النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) فمن قال غير ذلك- فأولئك هم الفاسقون فقد مكّن ولاة الأمر بعد النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) بالعلم و نحن هم فاسألونا فإن صدقناكم فأقروا و ما أنتم بفاعلين- أما علمنا فظاهر و أما إبان أجلنا الذي يظهر فيه الدين منا, حتى لا يكون بين الناس اختلاف فإن له أجلا من ممر الليالي و الأيام إذا أتى ظهر و كان الأمر واحدا, و ايم الله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف و لذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد (صلى الله عليه واله وسلم) علينا و لنشهد على شيعتنا و لتشهد شيعتنا على الناس أبى الله عز و جل أن يكون في حكمه اختلاف أو بين أهل علمه تناقض)[2].

---

[1] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي, 6 / 662.

[2] الكافي, محمد بن يعقوب الكليني, 1/ 251.

3. تعاضد العلم والإيمان لرفعة الإنسان:

قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: 11), والرفعة تشمل المكانة الاجتماعية والمادية، ولا تتحقق إلا بالجمع بين الإيمان والعلم, فالإيمان القلبي يدفع لإلتزام الدين[1], قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: 2).

إما التقدم المادي المنفصل عن الإيمان, فإنه يؤدي إلى انهيار, كما حصل في قوم سبأ, قال تعالى: (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) (سبأ:16), فقد جاء في تفسير القمي لهذه الآية " و كانت لهم جنتان عن يمين و شمال- عن مسيرة عشرة أيام فيها يمر المار- لا يقع عليه الشمس من التفافهما- فلما عملوا بالمعاصي و عتوا عن أمر ربهم و نهاهم الصالحون- فلم ينتهوا بعث الله على ذلك السد الجرذ- و هي الفأرة الكبيرة- فكانت تقلع الصخرة التي لا يستقيلها الرجل و يرمي بها، فلما رأى ذلك قوم منهم هربوا و تركوا البلاد- فما زال الجرذ يقلع الحجر حتى خربوا ذلك السد فلم يشعروا حتى غشيهم السيل و خرب بلادهم- و قلع أشجارهم"[2].

ولابد من الإشارة إلى أن الصحوة الإيمانية لا تقوم في جوهرها على الاعتقاد المجرد، ولا تتحقق بمجرد إشباع العالم بالمواعظ والخطابات, والكتابات العقدية فحسب، وإنما هي إيمانٌ مقترنٌ بحركة إيمانية، يتحرك وفق منهج بخطواتٍ ثابتةٍ نحو أهدافٍ محددة، ليُحدث تأثيراتٍ عميقةً في نسيج الجماعة المؤمنة، دافعًا إياها نحو الإبداع والتحصيل الحضاري.

[1] - ينظر: إسلامية المعرفة, محمد عمارة, 15.

[2] - تفسير القمي , علي بن ابراهيم القمي, 2 / 200- 201.

وهذا هو المنظور الذي أرسته الرؤية القرآنية في قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمرون بالمعروف وَتنْهون عن المُنكر وتُؤمنُونَ باللهِ) (آل عمران: ١١٠). فمن خلال الآيات السابقة يتبين لنا أهمية العلم المقرون بالإيمان؛ إذ لابد من تعضيد العلم بالإيمان لتحقيق التقدم المتكامل.

ويستند هذا النهوض والتقدم إلى ركيزتين أساسيتين:

أولًا: الطاقة العقدية الفاعلة:

فوجود طاقةٍ إيمانيةٍ حقيقيةٍ في الأمة، تستنهض بها ذاتها، ثم تُضيء للإنسانية كلها، إذ يتحمل المؤمنون مسؤولية تبليغ رسالة التوحيد, فهذه الطاقة ليست شعورًا سلبيًّا، وإنما هي قوة دافعة نحو العطاء الكونيّ.

ثانيًا: الحركة المنهجية المنضبطة:

وهي وجود فعلٍ إيمانيٍّ متجسدٍ في نسقٍ عمليٍ، يتمثل في مبدأي (التعاون على البر والتقوى والنهي عن المنكر) كما في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (آل عمران: ١٠٤)، ضمن ضوابط شرعية رصينة, فلو كان الإيمان مجرد اعتقادٍ قلبيٍ، لما اختصت الأمة بالخيرية والريادية التي نصت عليها الآية[1].

فما ميز هذه الأمة عن سابقتها من الأمم المؤمنة هو حركية الإيمان المنظمة، المترابطة بمنهجية محكمة، والمتحلّية بالنشاط الواعي، مما أكسبها مكانتها الحضارية الشاهدة على البشرية, فالحركة الإيمانية تمثل تجسيدًا للنسق الرباني الذي يقود الأمة نحو البناء والازدهار، ويجعلها كيانًا شهيدًا على مسرح التاريخ الإنساني. فالتقدم الحضاري في الرؤية القرآنية مرهونٌ بهذا التوازن, قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣).

[1] ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 511-512.

المطلب الثاني : معيار التوحيد أساس للتقدم والتطور في القرآن الكريم:

فقد جاء في كتاب العين للفراهيدي تعريف التَّوْحِيد في اللغة بأنه: "الإيمانُ بالله وحدَهُ لا شَريكَ له، واللهُ الواحدُ الأحَدُ ذو التَّوَحُّدِ والوَحْدانيّةِ"[1].

والتوحيد في الاصطلاح: "إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والالوهية والاسماء والصفات"[2]

والتوحيد في القرآن ليس مجرد عقيدةٍ روحية، إنما هو المحرك الجوهري للتقدم الحضاري الشامل, يُقدّم القرآن رؤيةً تربط بين إفراد الله بالعبادة وعمارة الأرض، وتُثبت أن التخلف ناتجٌ عن الشرك الذي يُفكّك المجتمعات ويُبدّد الطاقات[3], ويمكن بيان ذلك على النحو الاتي:

أولاً: التأصيل القرآني للتوحيد وأثره في التقدم:

وضع القران الكريم أسس وقواعد تثبت أهمية دور التوحيد في تقدم وتطور المجتمعات الإسلامية ومنها :

1- التمكين والاستخلاف في الأرض مرهون بالتوحيد:

قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنى لا يُشْرِكُونَ بى شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ) (النور: 55).

---

[1]- العين, الخليل بن احمد الفراهيدي, 1 /230

[2] - شفاء العليل, ابن القيم, 366.

[3] - ينظر: الشخصيات الإسلامية, محمد عزيز الحبابي, 27-30.

فالوعد بالاستخلاف مشروطٌ بالإيمان بالتوحيد والعمل الصالح, و من استخلفه الله تعالى في الأرض فهو الخليفة لا غيره, و في الآية تنبيه على أنها في النبي محمد وأهل بيته (صلى الله عليهم وسلم) وليست فيمن سواهم؛ لأن من ادعى الخلافة من غيرهم إنما استخلفه الناس، و اختاره الخلق، و لم يستخلفه الله تبارك و تعالى، و قد قال الله عز من قائل: (كما استخلف الذين من قبلهم), و من استخلفه الله كان مطهرا من الأدناس، متميزا بالعصمة من الناس، و ليس ذلك من صفة من تصدى للأمر[1].

وقد جاء في بحث للسيد محمد باقر الصدر(*)[2](رحمه الله) إن الإسلام منهج للحياة ولكن يردد المثقفون الغربيون والمستغربون أن الإسلام دين وليس انتصاراً وانه عقيدة وليس منهجاً للحياة وانه علاقة بين الإنسان وربه ولا يصلح أن يكون أساساً لثورة اجتماعية, وقد فات هؤلاء أن الإسلام ثورة لا تنفصل فيها الحياة عن العقيدة ولا ينفصل فيها الوجه الاجتماعي عن المحتوى الروحي ومن هنا كانت ثورة فريدة على مر التاريخ, فالتوحيد هو جوهر العقيدة الإسلامية وبالتوحيد يحرر الإسلام الإنسان من عبودية غير الله (لا إله إلا الله) ويرفض كل أشكال الإلوهية المزيفة على مر التاريخ وهذا هو تحرير الإنسان من الداخل ثم يقرر كنتيجة طبيعية لذلك تحرير الثروة والكون من أي مالك سوى الله تعالى وهذا هو تحرير الإنسان من الخارج وقد ربط الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بين الحقيقتين حين قال (العباد عباد الله والمال مال الله) وبذلك حطم الإسلام كل القيود المصطنعة والحواجز التاريخية التي كانت تعوق تقدم الإنسان وكدحه إلى ربه وسيره الحثيث نحوه سواء تمثلت هذه القيود والحواجز على مستوى آلهة ومخاوف وأساطير وتحجيم للإنسانية بين يدي قوى أسطورية أو تمثلت على مستوى ملكيات تكرس السيادة على الأرض

[1] ينظر: الثاقب في المناقب, محمد بن على الطوسى , 119.

[2] - بحث صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي, للسيد محمد باقر الصدر, أهدي إلى الشعب الايراني بمناسبة اختياره للجمهورية الإسلامية .

لطاغوت فرداً كان أو فئة أو طبقة على حساب الناس وتحول دون نموهم الطبيعي وتفرض عليهم بالتالي علاقات التبعية والاستعباد[1].

2. الشرك سبب التفرق والانهيار:

قال تعالى: (...وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا...) (الروم: 31-32).

إن تعدد الآلهة (الشرك بالله) يولد الانقسامات الاجتماعية ويُضعّف القدرة على البناء الجماعي, لذلك فان التوحيد يُعد من معايير التقدم والتطور المهمة؛ لان التفرقة في العبادات والإشراك بالله تشتت وتفتت المجتمع فلابد من دين واحد يوحد المجتمع , وبالتأكيد لن نجد ذلك في غير الإسلام والتوحيد بالله سبحانه تعالى[2] .

و لعل ما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاختلاف و الافتراق ليس بدعاً في هذه الأمة التي كان أصلها واحدا فاختلفوا و تفرقوا، إنما الاختلاف- بمعناه العام- موجود مذ كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين فاختلفوا، فمنهم من آمن، و منهم من كفر، كما لم يكن النبي (صلى الله عليه و آله) بدعا من الرسل، و كان الاختلاف بين الإسلام و الكفر موجودا منذ بزوغ فجر الرسالة المحمدية؛ إلا أن هذا الاختلاف الجديد هو اختلاف في دائرة الإسلام من بعد ما جاءهم العلم و البيان من الله، و بالتحديد في خليفة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و وارثه، المنصوص عليه من الله تعالى للأمة الإسلامية، و الذي هو- أي هذا الاختلاف و التفرق- في حد الشرك بالله[3].

---

[1] - ينظر: صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي, بحث للسيد محمد باقر الصدر, 3, دار التعارف للمطبوعات , ط1, 1979م.

[2] - ينظر: أسس التقدم عند مفكري الإسلام, فهمي جدعان, 206.

[3] ينظر: عوالم العلوم و المعارف والأحوال- من الآيات والأخبار والأقوال -الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام, عبد الله بن نور الله الاصفهاني, حديث الغدير, 24.

ثانيًا: مظاهر التقدم المنبثقة عن التوحيد:

ويمكن بيانه من خلال الأتي:

1. التحرر الفكري أساس الابتكار:

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ) (آل عمران: 64).

تشير هذه الآية القرآنية إلى أن التوحيد والتحرر من عبادة الأوثان والأساطير يُحرر العقل من مساوئ الكثرة, ووحشة الفرقة, ومرديات الاختلاف, ويرد إلى التوحد والتجمع والتالف ,وتهيئة العقل للبحث العلمي، ويؤدي بالتالي إلى ازدهار العلوم الإسلامية, وبناء المجتمع الإسلامي[1].

2. العدل الاجتماعي ثمرة الإقرار بالربوبية:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90).

يمكن الإفادة من هذه الآية القرآنية, إن التوحيد والمساواة في العبودية لله سبحانه وتعالى وإتباع الأوامر الإلهية بالعدل بين الناس, تقضي على الطبقية، والفوارق بين إفراد المجتمع الواحد, وتجعل الكفاءة معيار التقدّم[2].

ثالثاً: امثلة قرآنية لتقدم الأمم بالتوحيد:

1- النبي إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) (البقرة: 127).

يمكن الإفادة من هذه الآية القرآنية, أن بناء الكعبة (أول مركز توحيدي) كان نواةً لوحدة العرب, فبينما هما (إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام) يقومان بإرساء قواعد أعظم انجاز ديني عبر تاريخ البشرية كانا بنفس الوقت يتضرعان إلى الله سبحانه وتعالى بكل محبة وخشوع وإخلاص(ربنا واجعلنا مسلمين لَكَ) أي: لنسلم لك في كل أقوالنا

[1] - ينظر: أسس التقدم عند مفكري الإسلام, فهمي جدعان, 207

[2] - ينظر: المدرسة القرآنية, السيد محمد باقر الصدر, 197-198.

وأفعالنا وعلاقاتنا ومواقفنا وأفكارنا ومشاعرنا؛ لنذوب في عمق رضاك ومحبتك؛ ليكون إسلامنا حركة في وجودنا في الباطن والظاهر حتى ننطلق في خط الصراط المستقيم الذي ينتهي إليك في مواقع رحمتك ورضاك[1].

ودعاء النبي إبراهيم (عليه السلام) (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) (البقرة: 126) أسس لاستقرار مكة الاقتصادي والاجتماعي.

2. تحول مكة بعد الفتح:

في قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) (النصر: 1-2).

يمكن الإفادة من هذه الآية القرآنية في موضوع البحث إن مكة تحولت من مركز وثني إلى عاصمة لدولة تقود الحضارة الإسلامية بعد أن أمنت بالله سبحانه وتعالى ونبذت الإشراك بالله وعبادة الأوثان, فالتوحيد يحرر الذات من الجمود والتحجر وينتقل بها إلى ساحات التنمية الشاملة والإبداع والتجديد, فعقيدة التوحيد تسهم في بناء الذات وتطويرها من خلال تخليتها من كل أنواع الشرك والعبوديات, وإنشاء العقل الاستدلالي الذي لا يقبل بفكرة دون تمحيص ولا يؤمن بعقيدة من دون برهان, للارتفاع به إلى أعلى مراكز الحضارة الإنسانية وإنقاذه مما يعانيه من ألوان التشتت والتبعية والضياع[2].

وقد شخص السيد جمال الدين الأفغاني (ت:1897)- منذ القرن التاسع عشر الميلادي- أن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في انقسام أهله وتشتتهم واختلاف أرائهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف, ودعا بكل وسيلة إلى إعادة لحمة الجامعة

[1] - ينظر: تفسير من وحي القران, محمد حسين فضل الله, 3 / 31.
[2] - ينظر: الإسلام يقود الحياة, السيد محمد باقر الصدر, 159.

الإسلامية, وبها يكون الخروج من دائرة الضعف, واليأس إلى دائرة الظهور بمظهر القوة لدفع الكوارث[1].

المطلب الثالث: معيار الأخلاق والتربية في القران الكريم:

الأخلاق هي الغاية الأسمى التي يتحرك باتجاهها الإنسان السوي قولا وعملا, وهي الأرضية الخصبة التي تقف عليها الفطرة السليمة , مما جعلها مطلبا ومقصدا عقلياً وشرعياً, وعقلائياً, ولذلك لا خلاف في ضرورة تحصيلها , وإنما الكلام في تشخيصها وفي كيفية تحصيلها , وكيفية بنائها للإنسان, ورفعه نحو التقدم والتطور كونها من معايير التقدم والتطور التي ذكرها القران الكريم.

لذلك كانت الأخلاق ضرورية في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية في كافة إبعادها الفلسفية والعرفانية فهي الطرق نحو الكمال والسعادة الحقيقية في خضم التيه الكبير الذي تعيشه الإنسانية في تشخيص مصداق من مصاديق معايير التقدم والتطور , وأن الفطرة الإنسانية السليمة من أهم مجسات التشخيص الصائب لحقيقة الأخلاق فهي تدعونا إلى إصلاح النفس وإعلان التوبة وشروطها , وبيان الاستغفار وشروطه, وتحديد معاني وضوابط المشارطة والمراقبة والمحاسبة , لاجتناب مفاسد الأخلاق, وللتخلص من مكائد الشيطان, وأن من مصاديق ذلك علاقة أهل البيت (عليهم السلام) بإصلاح النفس وتهذيبها, والتي تشكل عمودا أساسيا في ضبط سلوك الإنسان, كونهم يمثلون التجربة العملية الحقة للقيم النبيلة والأخلاق الحميدة, التي عمادها الصدق في النية والقول والعمل, وصولا للتقوى التي تهب لأهلها مفتاح الغيب والملكوت, ثم التعرض إلى مدخلية الشهامة والشجاعة في نيل المقامات العليا والكمالات الأسمى في السير, وما للسخاء من علاقة وثيقة بالسخاء والسمو, كونه منفذاً حقيقياً للخلاص من حاكمية المادة وسلطتها على النفس وهذا ما يدعونا للتزود

[1] - ينظر: أسس التقدم عند مفكري الإسلام, فهمي جدعان, 226.

بالصبر؛ لأنه الزاد المعنوي الطاهر والدواء الساحر في سفرنا الإلهي, لنيل مقام الرضا بما كان وما يكون من القضاء الإلهي, فذلك هو عين التمحض في الإيمان[1].

ويستنبط من القرآن الكريم إن التقدم الحقيقي للإنسان والمجتمع لا يقتصر على التطور المادي أو العلمي فحسب، إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأخلاق والقيم الإنسانية السامية, فحتى العلم بدون أخلاق يشبه شجرة بلا جذور؛ قد تزهر لحظةً، لكنها سرعان ما تذبل, وفيما يأتي توضيح لهذا الرابط الجوهري من خلال آيات القرآن الكريم وتعاليمه:

1- الأخلاق: أساس الإيمان والعمل الصالح:

يؤكد القرآن أن الإيمان لا يكتمل إلا بالأخلاق الحسنة، ويمكن بيان ذلك في قوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (سورة البقرة: الآية 177).

تؤكد هذه الآية أن أساس الإيمان والعمل الصالح لا يقتصر على العبادات الظاهرة (كالصلاة أو الصوم)، بل يشمل الأخلاق والسلوكيات الإنسانية الراقية مثل: الإيمان بالله واليوم الآخر, والبذل والعطاء (مساعدة المحتاجين), و الوفاء بالعهود, والصبر في الشدائد.

وهذه القيم الأخلاقية هي جوهر التقوى والبر الحقيقي، مما يجعلها ركيزةً أساسية في بناء الإيمان والعمل الصالح, وهو الذي يسهم بدورة في تقدم ورقي المجتمعات.

[1] - ينظر: أخلاقنا – أبحاث السيد كمال الحيدري, د. طلال الحسن , ص7.

والإيمان هو التصديق بالقلب وللتصديق شروط لا يتم التصديق إلا بها وهي المذكورة بهذه الآية المباركة(الإيمان بالله تعالى واليوم الأخر والملائكة والكتاب...) فمن أقام بهذه الشروط فهو مؤمن مصدق[1].

إما في قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (سورة الماعون: الآيات 1-3).

فهذه الآيات تُظهِر ارتباط الإيمان بالسلوك الأخلاقي والاجتماعي بشكل جليّ, فالتكذيب بالدين (أي إنكار الحساب والجزاء) لا يقتصر على الجحود العقلي، إنما يترجم إلى أفعالٍ تُخِلُّ بالأخلاق الإنسانية، مثل قسوة القلب على اليتيم, وعدم الحث على إطعام المحتاجين, ما يؤكد أن الإيمان الحق لا ينفصل عن القيم الأخلاقية والرحمة بالضعفاء، وأن العمل الصالح هو ثمرةٌ لصدق الإيمان.

فقد جاء في تفسير نور الثقلين في تفسير هذه الآيات عن الامام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، و إنّما هو شيء ظاهر انما حقن الله بها دمه و سمى بها مسلما، و لو لم يردها لم تقبل له صلوة، و ان عليكم في أموالكم غير الزكاة، ... هو القرض يقرضه و المعروف يصنعه و متاع البيت يعيره و منه الزكاة)[2].

وفي بحار الأنوار عن الإمام علي (عليه السلام) يقول: "(إنا أهل بيت أمرنا أن نطعم الطعام و نؤدي في النائبة و نصلي إذا نام الناس)"[3].

وكما في قوله تعالى: (...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...) (المائدة : ٢).

---

[1] - ينظر: تفسير ألقمي , 1 /31

[2]- تفسير نور الثقلين، عبد على بن جمعة الحويزي، 5 /679.

[3] - بحار الأنوار, المجلسي, 71 /360.

فالتعاون على الخير والفضيلة هو من جوهر الأخلاق الذي يُبنى عليه المجتمع المتقدم, وقد استدل الإمام علي (عليه السلام) قبل استشهاده بهذه الآية في وصيته لابنه الحسن(عليه السلام) قائلا: (و قولوا للناس حسنا كما أمركم الله, و لا تتركن الأمر بالمعروف, و النهي عن المنكر فيولي الله الأمر أشراركم و تدعون فلا يستجاب لكم, عليكم يا بني بالتواصل و التباذل و التبار، و إياكم و النفاق و التقاطع و التدابر و التفرق, و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب)[1].

2- العلم المقرونٌ بالتقوى والأخلاق:

يشدّد القرآن على أن طلب العلم يجب أن يصاحبه خشية الله وتقواه، كما في دعوة النبي سليمان (عليه السلام) في قوله تعالى: (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لى وَ هَبْ لى مُلْكاً لا يَنْبَغى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب) (ص:35).

فالعلم النافع هو المقرون بالأخلاق والتقوى الذي يُستعمل في خدمة الإنسانية, وليس للاستكبار, أو الإضرار، كما حدث مع قارون الذي أنعم الله عليه بالعلم والمال فاستخدمهما للطغيان، فكان مصيره الهلاك كما في قوله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) (القصص: ٨١).

وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه نهى أن يختال الرجل في مشيه مستشهدا بهذه الآية فقال: (من لبس ثوبا فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنم فكان قرين قارون لأنه أول من اختال فخسف الله به و بداره الأرض و من اختال فقد نازع الله عز و جل في جبروته)[2].

[1] - ينظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي ؛ 2 /927.
[2] - ينظر: من لا يحضره الفقيه , محمد بن علي ابن بابويه 4 / 13.

3- أمثلة قرآنية في الأخلاق الفاضلة:

ذكر القران الكريم نماذج للأخلاق القرآنية الفاضلة, يجب الاقتداء بهم لبناء مجتمع قراني متقدم فهم القدوة الأخلاقية الحسنة والتي تُعدّ احد معايير التقدم والتطور في المجتمعات, ولابد للبحث من المرور على بعض هذه الشخصيات الأخلاقية:

- سيد الخلق والمرسلين النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) : ويكفي شرفاً للرّسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) ، أنّ الله تعالى وصفه في القرآن الكريم بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤).

فكانت أخلاقه مثالاً للتسامح والعدل، حتى مع الأعداء.

وأنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لخّص رسالته في قوله: (إنّما بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق)[1], وذلك لما في ظلال الأخلاق من حياة كريمة، وراحة وجدان، وسعادة أبدية[2].

- الإمام علي (عليه السلام) : أفضل الناس خلقاً بعد رسول الله بشهادة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) جاء في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : "و سألته عن الإمامة فيمن تجب و ما علامة من تجب له الإمامة فقال: إن الدليل على ذلك, و الحجة على المؤمنين, و القائم بأمور المسلمين و الناطق بالقرآن و العالم بالأحكام أخو نبي الله و خليفته على أمته و وصيه عليهم و وليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى المفروض الطاعة بقول الله عز و جل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم) (المائدة. 59), الموصوف بقوله عز و جل: (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون) (المائدة:55), و المدعو إليه بالولاية المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) عن الله عز وجل ألست أولى بكم منكم بأنفسكم قالوا: بلى, قال: (فمن كنت مولاه

[1] - مستدرك الوسائل, الميرزا حسين النوري الطبرسي, ب 6 ح 12701, 11 /187.
[2] - ينظر: من أخلاق العلماء - للسيد محمد الشيرازي , 1 / 1.

فعلي مولاه اللّهم وآل من والاّه و عاد من عاداه و انصر من نصره, و اخذل من خذله و أعن من أعانه علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين و أفضل الوصيين و خير الخلق أجمعين بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) و بعده الحسن بن علي ثم الحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) و ابنا خيرة النسوان أجمعين, ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم محمد بن الحسن ع إلى يومنا هذا واحدا بعد واحد و هم عترة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) المعروفون بالوصية و الإمامة لا تخلو الأرض من حجة منهم في كل عصر و زمان و في كل وقت و أوان و هم العروة الوثقى و أئمة الهدى و الحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض, و من عليها و كل من خالفهم ضال مضل تارك للحق و الهدى وهم المعبرون عن القرآن و الناطقون عن الرسول ص من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر وطول السجود وقيام الليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة و حسن الجوار)"[1], وهؤلاء كلهم أئمة الهدى وقادة الأمة وكلهم أمثلة حقه للأخلاق الفاضلة التي يبنى عليها المجتمع.

- **النبي يوسف** (عليه السلام)**:** تحلّى بالعفة والأمانة كما في قوله تعالى بلسان نبي الله يوسف (عليه السلام) : (...مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٣- 24).

ففي هذه الآية يبين لنا الله سبحانه وتعالى عظيم أخلاق نبيه يوسف (عليه السلام), إذ بعد أن اتخذت زوجة العزيز كل ما يلزم للحصول على رغبتها منه أجابها قائلا: (إنه ربي أحسن مثواي), يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في أهله, وفي الوقت نفسه

[1]- عيون أخبار الرضا عليه السلام, محمد بن علي بن بابويه, 1 /54- 55.

أن سيده الحق الله جل جلاله قد أحسن مثواه بما سخّر له فكيف يخونه فيما حرم عليه, وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثان فالظلم بِوَضْع الشيء في غير موضعه يخيب في سعيه, ويخسر في دنياه, وأُخراه, فكيف أرضى لنفسي ولَكَ بذَلك, فكانت أخلاقه سببًا في رفعته وتوليته خزائن الأرض[1].

4- الأخلاق وحماية المجتمع من الانحراف:

يحذّر القرآن من الانجراف وراء التقدم المادي دون ضوابط أخلاقية, ففي قوله تعالى:(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم: ٤١).

فقد قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مستشهدا بهذه الاية: (إذا ظهرت في أمتي عشر خصال عاقبهم الله بعشر خصال قيل: و ما هي يا رسول الله؟ قال: إذا قللوا الدعاء نزل البلاء, و إذا تركوا الصدقات كثر الأمراض, و إذا منعوا الزكاة هلكت المواشي, و إذا جار السلطان منع القطر من السماء, و إذا كثر فيهم الزناء كثر فيهم موت الفجأة, و إذا كثر الربا كثرت الزلازل, و إذا حكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى سلط عليهم عدوهم, و إذا نقضوا عهد الله ابتلاهم الله بالقتل, و إذا طففوا الكيل أخذهم الله بالسنين, ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[2].

فمن خلال الآية القرآنية والحديث النبوي, يتبين لنا أن الفساد البيئي والاجتماعي, هو نتاج غياب القيم الأخلاقية في استخدام العلم والتكنولوجيا, وما لذلك من دور مهم كبير في عرقلة عجلة التقدم والتطور الذي يرجوه الدين وتسعى لتحقيقه الشريعة الغراء.

5- مساهمة الأخلاق في بناء المجتمع:

يمكن بناء المجتمع على النحو الصحيح من خلال الصفات القرآنية الآتية:

[1] - ينظر: أيسر التفاسير, الجزائري, 2 /205.

[2] - ينظر: جامع الأخبار, محمد بن محمد الشعيري, 180.

أ- العدل: أساس استقرار المجتمعات، كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠), فقد ورد في تفسير العياشي "(خرج علي(عليه السلام) على أصحابه و هم يتذاكرون المروة فقال: أين أنتم أ نسيتم من كتاب الله و قد ذكر ذلك قالوا: يا أمير المؤمنين في أي موضع قال: في قوله: (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذى القربى- و ينهى عن الفحشاء و المنكر) فالعدل الإنصاف، و الإحسان التفضل)"[1], فمن خلال العدالة والانصاف بين افراد المجتمع يمكن تحقيق تقدم واستقرار المجتمع وتقوية الروابط بين افراده, كما يبعدهم عن الوقوع في المنكرات.

ب- الصدق: يُبنى عليه الثقة بين الأفراد، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩), فالصدق من اهم الصفات التي تعزز العلاقات بين أفراد المجتمع وتقوي الروابط الاجتماعية, ومن خلاله ينمو لدينا مجتمع يمتاز بصلابته وقوة تماسكه, فإعلاء الصدق يولد لدينا مجتمع ديني متماسك.

ج - التواضع: يمنع الاستكبار العلمي، كما في قصة بلقيس التي آمنت بالله, قال تعالى: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل: ٤٤), فبلقيس ملكة سبا أنموذج حي ومشرق لكيفية منع التواضع للاستكبار, وكيف الخضوع للحق والاعتراف بالخطأ ينهي التكبر ويؤدي إلى التحول الايجابي, فملكة عظيمة تملك عرشا وجيشاً قوياً وشعباً مطيعاً خضعت لله ولنبيه سليمان(عليه السلام), وقبلت الحق عندما رأته واضحا بدل التمسك بالكبرياء, واعترافها بظلمها لنفسها , انقذها من الوقوع في هاوية الاستكبار التي حذرت منها رسالة سليمان , وفتح لها باب الهداية والإيمان, وجعل ذكرها خالداً في القران كمثال للحاكمة المتواضعة.

[1] - تفسير العياشي , 2 /267, نقلا عن البرهان 2/ 381.

فالقرآن الكريم يقدّم رؤية متكاملة للتقدم تجمع بين العلم والأخلاق، فالعلم هو أداة، والأخلاق هي البوصلة التي توجهه نحو الخير, ومن هنا، فإن أي تطورٍ لا يراعي القيم الإنسانية يكون هشًّا وزائفًا، لأن الأخلاق هي الضمانة الوحيدة لاستمرار الحضارة الإنسانية وازدهارها.

كما قال النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم): "(إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)"[1].

فإذا انتفت الأخلاق، تحوّل العلم إلى سلاح مدمر، ومن دون العلم، تظل الأخلاق حبيسة النوايا الطيبة, وهما معا من أهم معايير التقدم والتطور في المجتمعات.

6- الضرورة الأخلاقية في الحياة الاجتماعية:

يكمن البعد الاجتماعي في الأخلاق في ضرورة الالتزام بها, فإن المجتمع لا يحيا حياة هانئةً من دون عنصر الأمان, فإذا غاب الأمن انعدمت الحياة, ولذلك إذا ما تصورنا مجتمعاً يعيش بلا أخلاق حميدة فانه سائر إلى الزوال, وهذه الأخلاق قد يتم تعويضها في الدول المدنية بالقوانين الوضعية, ولكن هذا يعني القوة والبطش, فيكون عدم المخالفة خوفا من البطش, وليس لوجود رادع نفسي أو أخلاقي؛ لذلك عند وجود فرصة كحرب, أو ضعف للقانون يحصل التعدي على القانون وعدم الالتزام بأي صفة أخلاقية, فيحصل القتل والإرهاب والنهب والسلب, كما سجل في بعض الدول المتقدمة: إن انقطاع التيار الكهربائي ليلاً لساعات قليلة أدى إلى سرقات واسعة النطاق, وكذلك في بعض الدول العربية عند سقوط النظام, هذا ما لم تتسلح الأمم بالأخلاق, لكي يكون الداعي لعدم ارتكاب الخطيئة, هو الاعتقاد الراسخ بكون الأخلاق تمثل قيمة إنسانية وضرورة دينية[2].

وجاء في حديث عن أمير المؤمنين(عليه السلام) انه قال : (لَو كُنّا لا نَرجو جنّةً ولا ناراً ولا ثواباً ولا عِقاباً، لكان يَنبغي لَنا أن نُطالِبَ بِمكارِمِ الأخلاقِ فإنّها ممّا تَدُلُّ على سبيلِ

---

[1]- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام, العلامة محمد باقر ألمجلسي, 68/ 382.

[2]- ينظر: أخلاقنا- السيد كمال الحيدري, طلال الحسن, 39-40.

النجاحِ)[1], وهذه الرواية عن باب مدينة العلم (عليه السلام) تؤكد أيضا إن الأخلاق هي سبيل النجاح والتقدم في الدنيا قبل أن تكون علامة للإيمان ومفتاح للجنان, ويبيّن لنا هذا الحديث أهمية الأخلاق وفضائلها، إذ هي ليست سبباً في النجاة في الآخرة فحسب، وإنما هي سبب لصلاح الدّنيا كذلك[2].

قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: 34)

وقال رسول الله محمد(صلى الله عليه واله وسلم): (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده, فحَسْبُ أحدكم أن يتمسك بخُلقٍ مُتصلٍ باللهِ)[3] .

ومن هنا يتضح لنا ضرورة الأخلاق على المستوى الاجتماعي, وإسهامها في تقدم وتطور المجتمعات فهي من معايير التقدم والتطور التي أشار إليها القران الكريم كما سبق بيانه في الآيات القرآنية الكريمة, كما أنها من أسباب الأمن المجتمعي المهمة.

المطلب الرابع: التوازن بين الدنيا والآخرة:

القرآن يُرسّخ مفهومًا فريدًا يجمع بين عمارة الأرض والاستعداد للآخرة، من دون إفراطٍ أو تفريط, هذا التوازن يُجنب الأمة الانزلاق نحو المادية الجافة, أو الرهبانية المُعطِّلة، ويجعل التقدم الحضاري جزءًا من العبادة, فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وخلق به الغرائز, والنفس الإمارة بالسوء, فجعل النفس الإنسانية تميل إلى حب الغرائز والشهوات, فيميل الإنسان للشهوات الجنسية مثل الحيوانات, لكن ميّزه الله سبحانه وتعالى عن الحيوانات, بأن خلق له العقل الذي يزجرهُ عن الشهوات إلا

---

[1] - مستدرك الوسائل, الميرزا حسين النوري الطبرسي, ح21, 11/ 193 ؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير, محمد عبد الرؤوف المناوي, 6/ 3.

[2] - ينظر: الأخلاق في القرآن , ناصر مكارم الشيرازي, 2 /8.

[3] - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر, ابن ابي فراس المالكي, 2 / 122, ؛ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر, الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني, ح27, 52.

بحدود العقل وضمن الضوابط والشروط الدينية -فلا يمارس النكاح مثلا إلا بعقد الزواج الشرعي, ولا يأكل إلا الطعام الحلال, ففرّق الإنسان عن الحيوان بالعقل الذي يميز بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام, وبين الزنا والزواج الشرعي وبين كافة الأمور العقلية الأخرى الصحيحة من غير الصحيحة, فيسمح بالفعل الحسن ويزجر عن الفواحش, والمحرمات والأفعال غير الصحيحة؛ لان الإنسان المؤمن المعتقد بالله سبحانه وتعالى يجب أن يطيع أوامره عقلاً ويوازن بين الدنيا والآخرة, فلا يفعل المحرم ولا يمتنع عن الحلال, وكذلك لا يقضي حياته كلها في العبادة مثلا ويترك أعمال الدنيا, فالموازنة تكون بان يعبد الله سبحانه وتعالى ويؤدي واجباته ويقيم إعمال الدنيا كذلك؛ لان العمل من العبادة كذلك ويؤجر عليه المؤمن فهذا التوازن يرفع المؤمن نحو الكمال, فكلما أطاع المؤمن ربه وردع شهواته وزجر نفسه تقدم ورفع قدره ومنزلته في الحياة الدنيا والآخرة .

وهذه الموازنة بين العقل والنفس هي الموازنة بين الدنيا والآخرة, بين الإيمان والعمل؛ لأن المؤمن يجب أن يطيع الله سبحانه وتعالى ويسعى في حوائج الدنيا ويجب أن لا تشغله الأمور الدنيوية عن الإيمان وعبادة الله سبحانه وتعالى والعمل لأخرته, كما لا يجب أن يقضي حياته في العبادة والتضرع وينسى أمور دنياه وأعماله وطلب الرزق الحلال الذي يعينه على عبادته, بل يجب الموازنة بين أعماله الدنيوية وعبادته وأعماله لأخرته كما في الآيات القرآنية ويمكن بيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: آيات تُؤسس للتوازن بين المادي والروحي:

1. الدنيا مزرعة الآخرة: كما في قوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (القصص: 77), هذه الآية جاءت في سياق قصة قارون، وفيها وجّه الله الإنسان إلى استثمار ما أنعم عليه من مال وجاه في أعمال الخير والأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الفوز بالآخرة، ولكن دون أن ينسى نصيبه من متاع الدنيا.

والآية تضع قاعدة متوازنة في حياة المؤمن؛ إذ تدعو إلى إعمار الدنيا بالعمل الصالح من دون إغفال التمتع بالنعم التي وهبها الله, وهذا التوازن هو أساس الحياة الإسلامية السوية، إذ لا يغرق الإنسان في الدنيا ولا يهملها بالكامل.

وفي الأحاديث النبوية كما في قول النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) : (أعظم الناس هماً المؤمن يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته)((1)).

يؤكد هذا الحديث النبوي على مبدأ التوازن في حياة المسلم، حيث ينبه إلى ضرورة عدم التضحية بأحد الجانبين على حساب الآخر. فالرسول (صلى الله عليه وآله) يرفض التوجه الذي يهمل الدنيا بذريعة الدين، كما يرفض الانغماس في الدنيا على حساب الالتزامات الدينية, فقد جاء في الاثر عن الإمام الحسن (عليه السلام) : (اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً وَ اِعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً)[2], فهذه الأحاديث تعكس النظرة الإسلامية الشاملة التي تحث على إعطاء كل جانب حقه, فالعيش الكريم والعمل الدنيوي لا يتعارض مع التدين، و إن الجمع بينهما هو المسار السليم في الإسلام, فالانفصال التام بين الدنيا والدين ليس من منهج الإسلام، بل التكامل بينهما هو الأساس, وهو الطريق نحو بناء المجتمع التقدمي.

2. الدعوة للاستفادة من نعم الله دون طغيان:

-قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: 31).

يمكن الإفادة من مضمون هذه الآية القرآنية بأن الاعتدال في استخدام الموارد (كالطعام والشراب) يحقق الاستدامة، على حين الإسراف يُفقد البركة ويُدمر البيئة,

[1]- ميزان الحكمة, محمد الريشهري, 2 / 93, نقلا عن كنز العمال 702.

[2] - بحار الأنوار, المجلسي, 44/ 138؛ كفاية الاثر في النص على الأئمة ألاثني عشر, علي بن محمد الخزاز القمي, 226.

وأن الإسلام يرفض التطرف في التعامل مع الحياة الدنيوية والدينية, فالمسلم المثالي هو من يوازن بين أداء الواجبات الدينية وبين إعمار الحياة الدنيوية، مما يعكس التكامل في المنهج الإسلامي الذي يضمن التقدم الروحي والمادي في آن واحد.

وفي الرواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "(يا علي إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك ، فإن المنبت - يعني المفرط - لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع ، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرما واحذر حذر من يتخوف أن يموت غدا)"[1].

هذا الكلام الشريف الوارد عنهم (عليهم السلام) يشير إلى حالة من التوازن الفكري والروحي والعقائدي فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالدنيا والآخرة.

فالدنيا بطبيعتها وماديتها تجعل الإنسان يركن إليها وينسى أمر آخرته وأن هناك ثواب وعقاب وجنّة ونار، فتراه يسعى لتحقيق رغباته وشهواته بأي ثمن كان, وكذلك من أراد أن يسعى إلى الآخرة فتراه ينكفئ عن الدنيا ويزوي بنفسه بجو من العبادة والذكر بما يجعله يعطل حياته برمتها.

وكلا الطريقتين خاطئتين, إنما المطلوب هو حالة من التوازن بين ما يتعلق بالدنيا وما يتعلق بالآخرة، فمتطلبات الدنيا مثل السعي للمعيشة وبناء المسكن وتوفير وسائل العيش الكريم، إذ ينبغي على الإنسان أن يسعى في تحصيلها كأنه يعيش إلى الأبد، وأن هذه الأمور ينبغي توفيرها لا محالة، ولكن بالكسب الحلال الطيب والمشروع, ولا ينسى عبادة ربه وأمور أخرته.

وكما نجد ذلك في سيرة الأنبياء (عليهم السلام) إذ كانوا يوازنون بين العمل والعبادة, والدعوة للإيمان.

3. التحذير من فتنة الدنيا:

[1] - ورد الحديث بصيغ عدة مع اختلاف في العبارة وبالمضمون نفسه , ونسب الى رسول الله (صلى الله عليه واله) والى بعض الأئمة كالإمام الحسن والإمام الكاظم وبهذا النص رواه الصادق عن علي (عليه السلام) عن النبي(ص) كما في الكافي, الشيخ الكليني, 2/ 87.

قال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ) (الحديد: 20).

فالدنيا وسيلةٌ للوصول إلى الآخرة، وليست غايةً في ذاتها, وأنّ الانشغال بها عن الغاية الكبرى (عبادة الله), يُفقد الحياة معناها.

ثانيًا: تطبيقات التوازن في قصص القرآن:

1. قصة سليمان (عليه السلام):

في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي) (ص: 35). جاء في عيون اخبار الرضاu " عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي ع قال: إن سليمان بن داود قال ذات يوم لأصحابه إن الله تبارك و تعالى قد وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي سخر لي الريح و الإنس و الجن و الطير و الوحوش و علمني منطق الطير و آتاني من كل شيء"[1]

فعلى الرغم من أنّه (عليه السلام) نبي من أنبياء الله, لم يمنعه ذلك من الجمع بين المُلك العظيم (السلطة المادية) والتضرع إلى الله (الارتباط الروحي), فتحقيق التقدم المادي (كبناء القصور وتسيير الجيوش) لا يمنع من الإيمان, و الحفاظ على التواضع.

2- قصة ذي القرنين:

قال تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) (الكهف: 84).

كما ورد في تفسير الأمثل إن ذا القرنين مَكنهُ الله سبحانه وتعالى من أسباب الوصول لكل الأشياء: العقل، العلم الكافي، الإدارة السليمة، القوّة والقدرة، الجيوش والقوى البشرية، فضلاً على الإمكانات المادية, أي إنَّهُ مُنحَ كل الأسباب والسبُل المادية والمعنوية الكفيلة بتحقيق الأهداف المنشودة[2].

---

[1] - عيون أخبار الرضا عليه السلام, محمد بن علي بن بابويه القمي, 1 / 265.

[2] - ينظر: الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل , ناصر مكارم الشيرازي , ج 9, ص 350.

فالإيمان بالله لا يمنع التمكين المادي (كبناء السدود) والسعي لتحيق العدل الاجتماعي (حماية الضعفاء من يأجوج ومأجوج), واستعمال القوة لتحقيق الأمن من دون طغيان؛ مما يساعد في تقدم وبناء المجتمع.

3. قصة قارون:

قال تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) (القصص: 81).

تشير هذه الآية إلى أنّ الطغيان المادي (الافتخار بالثروة واستعباد الناس) يؤدي إلى الهلاك, والتحذير من فصل الثروة عن القيم الأخلاقية, جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه عن قارون "من اختال كان قرين قارون لأنه أول من اختال فخسف الله به و بداره الأرض و من اختال فقد نازع الله عز و جل في جبروته "[1], فالتكبر والغرور والخيلاء من مسببات الغضب الإلهي , والخروج من الرحمة الإلهية , فالمنظور القرآني يدعوا إلى تقوى الله ومراعاة الجانب الروحي في كافة جوانب الحياة المادية.

ثالثًا: مقارنة بين المنظور القرآني والنظرة المادية

من جانب المنظور القرآني: ويمكن بيانها على النحو الاتي

1- الغاية من الحياة: عمارة الأرض مع تقوى الله، كما في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: 56).

2- مصدر السعادة: الرضا الداخلي الناتج عن العمل الصالح، كما في قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل: 97).

3- علاقة الإنسان بالطبيعة: الانتفاع مع الحفاظ على التوازن البيئي، كما في قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) (الأعراف: 56).

[1] - من لا يحضره الفقيه, محمد بن علي بن بابويه القمي, 4 / 13.

من جانب النظرة المادية الحديثة:

- الغاية من الحياة: تحقيق الرفاهية المادية كغاية نهائية، مما يؤدي إلى الاستهلاك الجائر.

- مصدر السعادة: الربح المادي والترفيه، مما يُفقد الحياة المعنى الروحي.

- علاقة الإنسان بالطبيعة: استغلال الموارد من دون مراعاة الاستدامة، مما يُهدد الأجيال القادمة.

رابعًا: معايير تحقيق التوازن (من القرآن):

ويمكن بيانها على النحو الاتي:

1. الشكر على النعم:

قال تعالى: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: 7).

الشكر يدعم الاستدامة، على حين الجحود يُفقد النعم, وتقديره أعلمكم أنكم متى شكرتموني على نعمي، واعترفتم بها زدتكم نعمة إلى نعمة[1].

2. الأخذ بالأسباب مع التوكل:

- (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (الأحزاب: 3).

- الجمع بين التخطيط المادي (الأسباب ومسبباتها) والثقة في الله.

3. عدم التنازل عن المبادئ:

-(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) (البقرة: 41), " و لا تشتروا بآياتي المنزلة لنبوة محمد(صلى الله عليه واله وسلم) و إمامة علي υ و الطاهرين من عترته ثمنا قليلا بأن تجحدوا نبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) و إمامة الإمام علي υ و تعتاضوا منها عوض الدنيا فإن ذلك و إن كثر فإلى نفاد و خسار و بوار"[2]

[1] - ينظر: التبيان في تفسير القران, محمد بن الحسن الطوسي, 6 /271.

[2] - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة , علي الإسترآبادي، 56.

تؤكد هذه الآية الكريمة على رفض التجارة في القران الكريم ويمكن الافادة منها في منع الفساد المالي, أو الأخلاقي حتى لو كان مربحًا.

خامسًا: آثار التوازن على التقدم الحضاري:

- اقتصاديًا: استغلال الموارد من دون إسراف (كقصة أصحاب الجنة في سورة القلم الذين دمَّر الجشع بستانهم).

قال تعالى: (إِنَّا بَلَونَٰهُم كَمَا بَلَونَا أَصحَٰبَ ٱلجَنَّةِ إِذ أَقسَمُواْ لَيَصرِمُنَّهَا مُصبِحِين * وَلَا يَستَثنُونَ * فَطَافَ عَلَيهَا طَائِف مِّن رَّبِّكَ وَهُم نَائِمُونَ * فَأَصبَحَت كَٱلصَّرِيمِ* فَتَنَادَواْ مُصبِحِينَ *أَنِ ٱغدُواْ عَلَىٰ حَرثِكُم إِن كُنتُم صَرِمِينَ * فَٱنطَلَقُواْ وَهُم يَتَخَفَتُونَ *أَن لَّا يَدخُلَنَّهَا ٱليَومَ عَلَيكُم مِّسكِين * وَغَدَواْ عَلَىٰ حَرد قَدِرِينَ *فَلَمَّا رَأَوهَا قَالُو ا۟ إِنَّا لَضَالُّون *بَل نَحنُ مَحرُومُونَ *قَالَ أَوسَطُهُم أَلَم أَقُل لَّكُم لَولَا تُسَبِّحُونَ *قَالُواْ سُبحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَلِمِينَ *فَأَقبَلَ بَعضُهُم عَلَىٰ بَعض يَتَلَوَمُونَ *قَالُواْ يَوَيلَنَا إِنَّا كُنَّا طَغِينَ *عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبدِلَنَا خَيرا مِّنهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَغِبُونَ *كَذَلِكَ ٱلعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلأَخِرَةِ أَكبَرُ لَو كَانُواْ يَعلَمُونَ) (القلم: 17-33)

- اجتماعيًا: تقليل الفوارق الطبقية عبر تطبيق الزكاة (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ).

- روحيًا: تحقيق السكينة النفسيةَ (الَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: 28)).

المبحث الثاني: معايير التقدم والتطور الثقافية في القران الكريم

ويمكن التطرق فيه على النحو الأتي:

المطلب الأول : معيار الثقافة القرآنية وإسهامها في تطور المجتمع:

يشير القرآن الكريم إلى الثقافة لا بوصفها مصطلحًا لفظيًا، وأنما بكونها منظومة معرفية وأخلاقية تُسهم في بناء الإنسان والمجتمع, وتتمثل الثقافة في المفهوم القرآني بجملة من المفردات كالعلم، والعقل، والتفكر، والتدبر، والحكمة، والبيان، وهي مفردات ترتبط بتكوين الوعي الإنساني وتوجيهه, وتُعدّ الثقافة القرآنية أحد المعايير الأساس في بناء المجتمعات المتقدمة والمتوازنة، إذ لا يمكن تصور تطور حضاري مستقر من دون قاعدة ثقافية راسخة قائمة على الهداية، والعقلانية، والقيم.

ويمكن بيان أهمية المعايير الثقافية في تطور المجتمع عبر النقاط الآتية:

أولًا: مفهوم الثقافة في ضوء القرآن الكريم:

لا يرد لفظ (الثقافة) في القرآن بصيغته الاصطلاحية المعاصرة، إلا أنّ دلالاته المعنوية والفكرية تتجلى عبر عدة مفاهيم قرآنية، أبرزها:

1- العلم: قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر: 9).

وهي دعوة صريحة لإدراك التفاوت بين من يملك الوعي والمعرفة, ومن يفتقدهما، مما يؤسس لمجتمع علمي مثقف, جاء في مجمع البيان " لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب، والذين لا يعلمون ذلك (إنما يتذكر أولو الألباب) أي:

إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: نحن الذي يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب" [1].

2- التفكر والتعقل: كما في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم:

21), جاء في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي "أنهم إذا تفكروا في الأصول التكوينية التي يبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة و الأنوثة الداعيتين إلى

[1] - ينظر: تفسير مجمع البيان , الطبرسي, 8 / 389.

الاجتماع المنزلي و المودة و الرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني, ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع و استكمال الإنسان في حياتيه الدنيا و الأخرى عثروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر به عقولهم و تدهش به أحلامهم"[1].

وفي التفسير الكبير للرازي تشير هذه الآية إلى أهمية إعمال الفكر على إنها جزء من الثقافة الإيمانية.[2]

وقوله تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (البقرة: 242)

إذ يربط القرآن استخدام العقل بالتقدم المعرفي والثقافي فتشير الآية إلى إن إتباع الآيات والدلائل والمعايير التي وضعها القران الكريم تساعد على تقدم وتطور المجتمع.

3- الحكمة والبيان: قال تعالى عن تعليم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (البقرة: 129), فالبيان يُعد أداة الثقافة في إيصال المعرفة والحكمة وممارستها؛ لان المجتمع لا ينهض الا بالتعلم والتعليم ونشر الثقافة والوعي والحكمة من العلماء والحكماء إلى المتعلمين, فالإنسان لا يولد عالما وحكيما وإنما العلم والحكمة هي ملكة مكتسبة من خلال التعلم في الحياة اليومية والقراءة والمطالعة ومجالسة العلماء.

وقال تعالى: (الرَّحْمنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ *خَلَقَ الْإِنْسانَ *عَلَّمَهُ الْبَيانَ) (الرحمن: 1-4).

جاء في تفسير الآية عن الإمام الصادق (عليه السلام)" ذاك علي بن أبي طالب (عليه السلام)علمه بيان كل شيء مما يحتاج إليه الناس"[3]

[1] - تفسير الميزان , العلامة الطباطبائي , 16 /87.
[2] التفسير الكبير، الرازي, 124/25.
[3] - البرهان في تفسير القرآن , السيد هاشم البحراني, 5 / 229, حديث 10295.

ثانيًا: الثقافة القرآنية ودورها في بناء الإنسان:

الثقافة كما يرسمها القرآن ليست مجرد تراكم معرفي، إنما هي بناء متكامل لشخصية الإنسان في أبعاده الثلاثة:

1. البعد العقلي: عبر الحث على العلم والتفكر واستخدام العقل.

2. البعد الأخلاقي: من خلال تربية النفس على القيم القرآنية كالصدق، العدل، الإحسان.

3. البعد الاجتماعي: بتشجيع التعاون والتكافل والمساواة.

قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: 13)

فتؤكد هذه الآية القرآنية على إن معيار التفاضل بين الناس ثقافي قيمي، وليس عرقيًا أو ماديًا[1], وما دام معيار التفاضل هو العلم والحكمة والأخلاق والتقوى , فلابد تبادل الاحترام والتعاون وتشجيع التكافل والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع؛ لأنه أساس بناء المجتمع وتقدمه ورقيه.

ثالثًا: الثقافة القرآنية وأثرها في تطور المجتمع:

للثقافة القرآنية دور واضح وجلي في بناء وتقدم وتطور المجتمع وذلك من خلال الأتي:

1. نشر الوعي الاجتماعي والتربوي: القرآن يُعلي من شأن الوعي الجماعي، كما في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) (آل عمران: 104).

[1] ينظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، 18 /327 ؛ ينظر: تفسير جامع البيان، الطبري، 26 /332.

تشير هذه الآية القرآنية إلى إن الدعوة إلى الخير ونشر الوعي الاجتماعي والتربوي يساعد في بناء الوعي الجماعي للمجتمع, ونشر العلم والثقافة بين أبناء المجتمع الواحد, من شأنه إن يساهم في تقدم وتطور المجتمع ألقراني[1].

2. تحصين المجتمع من الجهل والانحراف: فالثقافة القرآنية تنشئ مجتمعًا يقظًا، واعيًا، كما في قوله: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء: 36)

إذ تحذر الآية من تبني الأفكار من دون تحقيق أو علم لأنه يؤدي إلى تفكك المجتمع فتشير إلى ضرورة النقد العلمي, وثقافة التحقق من المعلومات وعدم التصديق بالإشاعات والمصادر غير الموثقة[2].

وفي تفسير الميزان قوله تعالى: (هُوَ الَّذى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ) (الجمعة: 2), " قوله: (يتلو عليهم آياته) أي آيات كتابه..., صفة للرسول,

وقوله: (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) التزكية تفعيل من الزكاة بمعنى النمو الصالح الذي يلازم الخير والبركة فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة فيكملون بذلك في إنسانيتهم فيستقيم حالهم في دنياهم وآخرتهم يعيشون سعداء ويموتون سعداء, وتعليم الكتاب بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أشكل من ذلك، ويقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن، والتعبير عن القرآن تارة بالآيات وتارة بالكتاب للدلالة على أنه بكل من هذه العناوين نعمة يمتن بها"[3], فلما للعلم من اثر كبير في تحصين

[1] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، 2 /542 ؛ ينظر: التفسير الكبير، الرازي، 92/8.
[2] ينظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، 184/13 ؛ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 250/10.
[3] - الميزان , العلامة الطباطبائي, 19 / 265.

المجتمع ودفع عجلة التقدم أمر به القران الكريم وحث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على تعليم الناس وأمرهم بالتعلم.

3. تحقيق العدالة والكرامة الإنسانية: الثقافة القرآنية تقوم على العدالة والقيم، لا على القوة أو المال فالثقافة القرآنية تسعى إلى إقامة مجتمع متوازن عادل[1]، كما في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90), فأمر الله سبحانه وتعالى في العدل والإحسان؛ لأنها من أهم مزايا الثقافة القرآنية التي تسهم في بناء مجتمع متطور.

رابعًا: أمثلة قرآنية للثقافة القرآنية:

1- لقمان الحكيم مثالاً على التربية الثقافية المتكاملة، فتعد الحكمة جزءًا من البنية الثقافية التربوية[2], كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (لقمان: 12), وقد ورد في وصاياه لابنه ترسيخ لثقافة العقيدة، والأخلاق، والاعتدال, اذ قال في بعض وصاياه : "يا بني إن الدنيا بحر عميق و قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله و اجعل شراعها التوكل على الله و اجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله و إن هلكت فبذنوبك... وورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك و خفك و عمامتك و خبائك و سقائك و خيوطك و مخرزك... و كن لأصحابك موافقا إلا في معصية الله عز و جل يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك و أمورهم و أكثر التبسم في وجوههم و كن كريما على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبهم و إذا استعانوا بك فأعنهم و استعمل طول الصمت و كثرة الصلاة و سخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد و إذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم و اجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تتثبت و تنظر و لا تجب في مشورة حتى

[1] - ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، 355/6.
[2] - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 14 / 59.

تقوم فيها و تقعد و تنام و تأكل و تصلي و أنت مستعمل فكرتك و حكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم و اسمع لمن هو أكبر منك سنا و إذا أمروك بأمر و سألوك شيئا فقل نعم و لا تقل لا فإن لا عي و لؤم)[1].

2- يوسف (عليه السلام) مثالاً للثقافة العملية والعلمية، إذ جمع بين الإيمان والتخطيط والقيادة والإدارة[2]، كما في قوله: (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) (يوسف: 55).

مما تقدم يتبين أن معيار الثقافة في القرآن الكريم ليس مجرد ترفٍ معرفي أو تزيين اجتماعي، إنما هو عنصر أساس في نهضة الإنسان والمجتمع, والثقافة القرآنية تقود نحو الوعي، والحكمة، والتوازن، وتحقيق العدالة والتطور الحقيقي؛ لأنها تنطلق من منظومة قيمية متكاملة تجعل من الفرد فاعلًا, ومن المجتمع منتجًا ومسؤولًا.

المطلب الثاني: معيار العلم والمعرفة في القران الكريم:

العلم في القرآن ليس مجرد تحصيل معلومات، إنما هو منهج حياة يُؤسس لفهم السنن الكونية والاجتماعية، ويُعد ركيزةً أساسيةً لنهضة الأمم وتقدمها, فهنالك عدد من الآيات القرآنية تؤسس لأهمية العلم, وأخرى تُبيّن أثره في الفرد والمجتمع, وبناء الأمة وسنبين هذا في النقاط الآتية:

أولا : آيات تُؤسس لأهمية العلم:

1- الآيات الأولى المُنزلة (بداية الوحي):

[1] - تفسير مجمع البيان ,الطبرسي , 8 /73.

[2] - جامع البيان، الطبري، 80/13.

جاء في سورة العلق قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: 1-5).

فالأمر بالقراءة (التي تُشير إلى العلم) جاء قبل أي تكليف شرعي آخر، مما يُؤكد أن العلم هو أول خطوة في بناء الحضارة, و الربط بين العلم والخالق (بِاسْمِ رَبِّكَ) يُعطي العلم بُعدًا أخلاقيًا وروحيًا، فلا انفصال بين العلم والإيمان, وذكر "القلم" رمزًا للتدوين والانتقال من الشفاهية إلى الكتابة، وهي خطوة حضارية كبرى.

والمعنى أنه تعالى تفضل على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم، لما في ذلك من كثرة الانتفاع لخلقه، فقد ذكر القران القلم في آياته الكريمة وسوره المباركة.[1]

2- التميّز بين العالم والجاهل:

قال تعالى: (...قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...) (الزمر:9) ,

التفريق بين الفئتين يدل دلالة واضحة على أن التقدم الحضاري مرتبط بانتشار العلم, وقد ذكر سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن, إن العلم الحق, هو المعرفة, وهو إدراك الحق وتفتح البصيرة, والاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود, وليس العلم هو المعلومات المجردة, المفردة, المنقطعة, التي تزحم الذهن ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس, وهذا هو المسار إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة, والقنوت لله, وحساسية القلب، واستشعار الخوف من الآخرة، والتطلع إلى رحمة الله وفضله, ومراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة؛ هذا هو الطريق، ومن ثم يدرك اللّب ويعرف وينتفع بما يرى, وما يسمع وما يجرب, وينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات والتجارب

[1] - ينظر: التبيان في تفسير القران, محمد بن الحسن الطوسي, 10 / 364.

الصغيرة, فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة، والمشاهدات الظاهرة، ولا يسعون نحو التقدم الحقيقي, فهم مجرد جامعو معلومات وليسوا بالعلماء[1].

3- العلم سبيل لرفعة الأمة:

جاء في قوله تعالى: (...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...) (المجادلة: 11).

الارتقاء بالعلم ليس فرديًا فحسب، إنما هو رفعةٌ للمجتمع ككل, فللعلم شأن عظيم، وأثر كبير في حياة المجتمع الإنساني، ولذلك اهتم به العقل و القرآن[2], والعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، جاء في الحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم) [3].

ثانيا: أنواع العلم المُحفَّز في القرآن الكريم:

1- علم الكون والطبيعة:

قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران: 190).

جاء في الارشاد للشيخ المفيد عن هذه الآية الكريمة, عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) مما حفظ عنه في وجوب المعرفة بالله عز و جلّ و بدينه قوله: (وجدت علم الناس في أربع أحدها أن تعرف ربك, و الثاني أن تعرف ما صنع بك, و الثالث أن تعرف ما أراد منك و الرابع أن تعرف ما يخرجك عن دينك)[4], و يرى الشيخ المفيد رحمه الله ان هذه ألاقسام تحيط بالمفروض من المعارف؛ لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربّه جلّ جلاله, فإذا علم أن له إلها وجب أن يعرف

[1] ينظر: تفسير في ضلال القران , سيد قطب, 6 /227.
[2] ينظر: المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام, محمد بن جرير الطبري, 9.
[3] - ينظر: كتاب الكافي, الشيخ الكليني, 1/ 30. حديث1 , باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه.
[4]- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد, محمد بن محمد بن النعمان المفيد, 259.

صنعه, و إذا عرف صنعه عرف به نعمته, فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره, فإذا أراد تأدية شكره وجب عليه معرفة مراده, ليطيعه بفعله, و إذا وجب عليه طاعته وجب عليه معرفة ما يخرجه عن دينه ليتجنبه فتخلص له به طاعة ربه, و شكر إنعامه, فالتفكُّر في الكون مدخلٌ لفهم القوانين العلمية التي تُسهم في التطور[1].

وفي قوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (الجاثية: 13), فتسخير الكون للعلماء دليل على أهمية العلم والبحث العلمي.

2- علم الاجتماع :

في قوله تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: 21).

جاء في تفسير الاية: " اي و في أنفسكم آيات إذ ما في العالم شيء الا و في الإنسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة و المناظر البهية و التركيبات العجيبة و التمكن من الافعال الغريبة و استنباط الصنايع المختلفة و استجماع الكمالات المتنوعة"[2], فدراسة النفس البشرية تُسهم في بناء مجتمعات متوازنة, من خلال فهم طبيعة الإنسان وكيفية تعامله مع المجتمع وفهم رغباته وميوله واتجاهاته.

3- علم التاريخ واستشراف المستقبل:

قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران: 137).

في هذه الآية المباركة يشير سبحانه وتعالى إلى إن التاريخ مخبرٌ تجريبي؛ لاستخلاص عوامل نجاح الحضارات وتقدمها أو انهيارها, فان الاهتداء بالسنن والقوانين التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى من اجل دمج الفرد بالمجتمع, ليمارس

[1] - ينظر: كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي, 1/ 220.
[2] - تفسير الصافي , الفيض الكاشاني, 5 / 70.

سلطانه كانسان في بناء الواقع الاجتماعي, فينتج شعور للفرد المتلاحم مع الكيان الاجتماعي الذي يعيش فيه[1]

ثالثا : التطبيقات العملية لتأثير العلم في قصص القرآن:

ورد في القران الكريم العديد من التطبيقات والاستعمالات للعلم في مختلف المجالات وأشار سبحانه وتعالى إلى أهمية العلم في الحياة وكيفية استغلاله من اجل تسهيل الحياة اليومية , وكيف استغل بعض الأنبياء والصالحين العلم وسخروه لخدمتهم وخدمة الناس ودفع الشر, وسنبينها فيما ياتي:

1- قصة النبي سليمان (عليه السلام):

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (سبأ: 12).

نفد من هذه الآية القرآنية انه يمكن استخدام العلم في تسخير الطبيعة (الريح، المعادن), والجمع بين الحكمة الإلهية والإبداع البشري, فقد استعمل النبي سليمان عليه السلام العلم وسخره في أعماله وأعمال آمته اليومية من تسخير الكائنات الحية والجمادات وكل ما يمكن للأمة الاستفادة منه.

2- قصة ذي القرنين:

في قوله تعالى: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) (الكهف: 96).

فقد ورد في تفسير العياشي عن الإمام علي (عليه السلام) إن ذا القرنين: "آتاه الله من كل شيء علما- يعرف به الحق و الباطل...فاحتفر له جبل حديد- فقلعوا له أمثال اللبن، فطرح بعضه على بعض فيما بين الصدفين، و كان ذو القرنين هو أول من بنى ردما على الأرض، ثم جمع عليه الحطب و ألهب فيه النار، و وضع عليه المنافيخ

[1] - ينظر: حتى يغيروا ما بأنفسهم, جودت سعيد, 85.

فنفخوا عليه، فلما ذاب قال: آتوني بقسر و هو المس الأحمر قال: فاحتفروا له جبلا من مس- فطرحوه على الحديد فذاب معه و اختلط به، قال: (فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً) (الكهف: 97), يعني يأجوج و مأجوج، (قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)(الكهف: 98)"[1].

ويمكن أن نستفيد من هذه الآية, أن التخطيط الهندسي والعلمي في بناء السدود هو إلهام رباني, كما يمكن الإفادة منها بكونها إشارة علمية على أن الاستثمار في البيئة التحتية أساس للتقدم العلمي.

3- قصة النبي موسى والخضر (عليهم السلام)**:**

في قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: 65), تشير هذه الآية القرآنية إلى وجود علوم باطنية لا تتعارض مع العلوم الظاهرة, وأن العلم النافع قد يكون غيبيًا أو ماديًا.

جاء في كتاب علل الشرائع " إن موسى لما كلمه الله تكليما و أنزل عليه التوراة و كتب له في الألواح من كل شيء موعظة و تفصيلا لكل شيء و جعل آيته في يده و عصاه و في الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و فلق البحر و غرق الله عز و جل فرعون و جنوده و عملت البشرية فيه حتى قال في نفسه ما أرى أن الله عز و جل خلق خلقا أعلم مني فأوحى الله عز و جل إلى جبرئيل يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك و قل له إن عند ملتقى البحرين رجلا عابدا فاتبعه و تعلم منه فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربه عز و جل فعلم موسى أن ذلك لما حدثت به نفسه فمضى هو و فتاه يوشع بن نون ع حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر ع يعبد الله عز و جل كما قال عز و جل في كتابه فوجدا عبدا

[1] تفسير العياشي, محمد بن مسعود بن عياش السلمى, 2 /343.

من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال له الخضر إنك لن تستطيع معي صبرا لأني وكلت بعلم لا تطيقه و وكلت أنت بعلم لا أطيقه قال موسى له بل أستطيع معك صبرا فقال له الخضر إن القياس لا مجال له في علم الله و أمره"[1].

فرغم علم النبي موسىυ الواسع, تبين ان الخضر υ يملك علما أوسع وأعمق منه, يتضح من هذا ان بحر العلم الواسع لا يمكن ان يقف عند حد او عند إنسان ففوق كل ذي علم عليم.

رابعا - مقارنة العلم في المنظور القرآني مع النظرة المادية الحديثة:

1- من جانب مصدر العلم

في المنظور القرآنيّ وحي إلهي وإلهام رباني (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: 5).

أما في النظرة الماديّة الحديثة فهي تعد تجربة بشرية محضة, دون أي تدخل الهي او سماوي او الهام رباني .

2- من حيث الغاية:

في المنظور القرآني: هو تكامل بين الهداية وعمارة الأرض وترسيخ العقيدة وتحقيق العدالة وتقوى الله وترقية الإنسان في مداركه وسلوكه فهو وسيلة وغاية, وهو عبادة عقلية وروحية, ومفتاح لكل تقدم قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ والله بِكُلِّ شَيءٍ عليمٌ) (البقرة: 282)

اما في النظرة المادية الحديثة, فيعدون الغاية من العلم هي: السيطرة على الطبيعة و الربح المادي؛ لذلك قالوا بالانتقال من الدين إلى العلم[2].

3- من جانب الأخلاق:

[1] - علل الشرائع , محمد بن علي ابن بابويه, 1 / 60.
[2] - ينظر: مقدمة في علم الاستغراب, حسن حنفي , 228-229.

في المنظور القرآني: العلم مقترن بالتقوى لا ينفصل عنها، بل هو وسيلة لبلوغها، ودليل على صدقها, فالعلم في القرآن ليس مجرد تراكم معلومات، بل هو إدراك يُثمر خشية، وتبصّر يُورث طاعة, قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: 28)، أي أن أهل العلم هم أكثر الناس خشية لله، لأنهم يدركون عظمة الخالق، وآثار قدرته في الخلق والتشريع, والتقوى في جوهرها وعي دائم بالله، والعلم يزيد هذا الوعي, بل إن الله جعل من ثمار التقوى العلم نفسه، فقوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) (البقرة: 282)، يدل على أن التقوى تفتح أبواب الفهم والهداية، وأن العلاقة بين العلم والتقوى علاقة تبادلية: العلم يقود إلى التقوى، والتقوى تُثمر العلم النافع, فالمنظور القرآني يُرشدنا إلى أن العالم التقي هو الأنموذج المثالي، وأن العلم بلا تقوى خطر، يُنتج جدالًا عقيمًا أو استكبارًا، بينما العلم المرتبط بالتقوى يُنتج صلاحًا وإصلاحًا، ويمثل جوهر الرسالة الربانية.

في المنظور المادي : فقد ينفصل العلم عن القيم الأخلاقية والإنسانية (كالأسلحة النووية) فهو تطور وتقدم سلبي يؤدي إلى انهيار الأمة وزعزعة الأمن والاستقرار بدلاً من بناء المجتمع.

خامسا- معايير تفعيل العلم في المجتمع من القرآن:

1- تحرير العلم من الاستغلال السلبي:

القرآن الكريم شدد على تحرير العلم من الاستغلال السلبي، ورفض بشدة استخدامه لأغراض دنيوية ضيقة، أو لتحقيق مصالح شخصية أو سلطة أو فساد, فالعلم في القرآن أمانة، يُراد به وجه الله وخدمة الناس، لا التفاخر أو التحكم بالآخرين.

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا...) [الأعراف: 175]، وقد نزلت في بلعم بن باعور الذي أوتي اسم الله الأعظم وأوتي العلم, في إشارة إلى من

استغل العلم وترك العمل به، فكان عاقبته الهلاك[1], جاء في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للسيد الخوئي مستشهدا بهذه الآية : "أن العالم مهما خطر بخاطره عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره، فقد يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد، و ذلك لمكان علمه, و قد ضرب الله مثلا للعالم العامل بغيره تارة بالحمار و أخرى بالكلب فقال: (و اتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين...) إلى قوله (...فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) نزلت في بلعم بن باعور فقد اوتى اسم الله الأعظم"[2].

وفي بحار الأنوار عن الامام جعفرالصادق عن أبيهυ عن الامام عليυ قال: "إياكم و الجهال من المتعبدين و الفجار من العلماء فإنهم فتنة كل مفتون"[3]

فالقرآن يُحرّر العلم من كونه وسيلة للسلطة أو المال، ويربطه بالقيم: بالعدل، بالحق، وبالنية الخالصة, فالعلم الذي يُستغل للظلم أو الفساد يُعتبر انحرافًا عن غايته الإلهية، ويُحاسَب صاحبه على ذلك.

2- ربط العلم بالعمل:

ربط القرآن الكريم بين العلم والعمل ربطًا وثيقًا، فالعلم بلا عمل لا يُثمر، والعمل بلا علم قد يُضل قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: 28)، إشارة إلى أن العلم الحق يقود إلى الخشية والطاعة, كما ذمّ الله من يعلم ولا يعمل، كقوله: (مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

[1] - ينظر: البرهان في تفسير القرآن, سيد هاشم البحراني , 2 /615.
[2] - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة, الميرزا حبيب الله الخوئى, 9 /98.
[3] - بحار الأنوار, العلامة ألمجلسي , 2 /106.

الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمينَ) (الجمعة: 5)، جاء في تفسير البرهان: "الحمار يحمل الكتب و لا يعلم ما فيها و لا يعمل كذلك بنو إسرائيل قد حملوا مثل الحمار لا يعلمون ما فيه و لا يعلمون به"[1], فالعبرة ليست بالعلم فقط، بل بتطبيقه, فالقرآن الكريم، لا يُفصل العلم عن العمل، بل يُقدَّم العلم ليُترجم إلى سلوك نافع, والمؤمن الحقيقي هو من يتعلّم ليعمل، ويعمل بما يعلم, قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) (الأعراف: 170)، فالتمسك بالعلم (الكتاب) يقترن مباشرة بالعمل (الصلاة), كما أثنى الله على (الذين ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (البقرة:25)، وهذا الاقتران تكرّر كثيرًا، للدلالة على أن العلم وسيلة للعمل، وليس غاية بحد ذاته, والقرآن يحذر من انفصال العلم عن العمل، لأنه يُفضي إلى الرياء أو الجدال العقيم، ويجعل صاحبه أشبه بمن يحمل عبئًا لا يدرك معناه, قال تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) (سبأ: 13), فالعلم من دون تطبيق يُصبح نقمة.

3- نشر العلم دون احتكار:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) (البقرة: 159), فنظراً لأهمية العلم منع الله سبحانه وتعالى احتكارَ العلم, وأمرَ بنشره, فالعلم في القرآن له مكانة عظيمة، وقد حرَّم الله احتكاره لما فيه من نفع عام, قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: 187)، وفي ذلك توجيه صريح إلى وجوب نشر العلم وعدم كتمانه, فاحتكار المعرفة يُعد خيانة للأمانة، والعلم إنما يُثمر إذا انتفع به الناس, وقد دلّ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على هذا بقوله: "من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"[2]، فكل

[1] - البرهان في تفسير القرآن, هاشم البحراني, 5 / 376.
[2] - بحار الأنوار, العلامة المجلسي, 2/ 78.

عالم مأمور بأن يُعلّم ويهدي الناس، لأن العلم رسالة لا مِلك شخصي، ووسيلة لإصلاح البشرية لا وسيلة للتسلّط أو التميّز الفردي, ومما سبق يتضح للبحث أهمية العلم في القران الكريم وإسهامه في التقدم والتطور, إذ يدفع بعجلة التقدم للمجتمع نحو البناء والكمال.

المطلب الثالث: معيار الإشارات العلمية في القران الكريم وإسهامها في تعزيز مفاهيم التقدم والتطور:

يتميز القران الكريم بشموليته واحتوائه على جوانب الحياة كلها، من العقيدة والأخلاق إلى التشريع والتاريخ، فضلا عن إشارات علمية دقيقة تثبت عمق ودقة وإعجاز القران الكريم, ومن خلال دراسة هذه الإشارات العلمية، يتضح مدى تأثيرها في معايير التقدم والتطور التي تضمّنها القرآن، والتي تجاوزت قدرات البشر في عصر الوحي، وكشفت عن حقائق علمية تم اكتشافها حديثاً، الأمر الذي يرسّخ فكرة التكامل بين الوحي والعلم .

وقد كشف العلماء المسلمون، من مختلف المذاهب، عن هذه الإشارات ونبّهوا إلى أهميتها في إثبات شمولية القرآن, وإعجازه العلمي، وفهم تطور المعرفة البشرية في ضوء النص القرآني, فلابد من التطرق للإشارات العلمية في البحث؛ لأهميتها في الدراسات الإسلامية التي تجمع بين الجانب العقائدي, والعلمي, لذلك سوف ابحث مفهومها, ثم ابين أثرها في التطور والتقدم, على النحو الآتي:

أولًا: مفهوم الإشارات العلمية في القرآن الكريم:

تعرف الإشارات العلمية, بأنها النصوص القرآنية التي تشير إلى حقائق علمية أو ظواهر كونية أو بيولوجية أو فيزيائية، والتي تتطابق مع ما توصّل إليه العلم الحديث في ميادينه المختلفة ويمكن فهمها من خلال تفسير القران بالقران او بالروايات[1].

إنّ الإعجاز العلمي في القرآن يتجلّى في إشارات دقيقة إلى الظواهر الكونية والطبيعية قبل أن يكتشفها العلم، مما يدل على أن القرآن هو كتاب هداية, وليس مجرد نص ديني، وإنما هو كتاب علمي يحمل دلائل على وحدانية الخالق عن طريق الإشارات الكونية[2].

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي, ١٢/ ١٠٤ .
[2] - ينظر:بحار الأنوار, المجلسي، ٩٠ / ٢٩٨.

و أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى أن القرآن يحمل في طياته أسراراً علمية، وأن فهمها يساعد في تقدير مدى عظمة النص الإلهي، ويدفع الإنسان نحو العلم والمعرفة,

"وان القران ظاهره أنيق, وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تُكشف الظلمات الآبه".[1]

ثانيًا: أهمية الإشارات العلمية في معيار التقدم والتطور:

تحتل الإشارات العلمية في القرآن مكانة خاصة من حيث كونها تمثل جسراً بين الدين والعلم، وتسهم في إيضاح أن القرآن الكريم ليس نصاً جامداً، إنما يتفاعل مع تطورات المعرفة الإنسانية، ويوجّه الإنسان إلى التفكر والبحث العلمي .

إن الإشارات العلمية في القرآن تمثل رؤية شاملة, وتدعو إلى الاجتهاد في فهم الكون والطبيعة، وتؤكد على أن الدين والعلم متكاملان ولا يتعارضان[2].

وتُعدّ الإشارات العلمية من المظاهر البارزة التي توضح التطور في فهم النص القرآني عبر العصور، إذ كانت معارف الإنسان في عهد الوحي محدودة، وكان القرآن بمنزلة نبراس للعقل والبحث العلمي[3].

ثالثًا: نماذج من الإشارات العلمية في القرآن الكريم

1- نشأة الكون:

ورد في سورة الأنبياء قوله تعالى :

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) (الأنبياء: 30),

تفسر بعض الدراسات العلمية هذه الآية على أنها إشارة إلى حالة (الاتحاد) أو (الرتق) التي كانت عليها المادة قبل الانفجار العظيم، الذي يُعّد بداية الكون.

[1] - نهج البلاغة، الشريف الرضي, الخطبة ١٨.
[2] - زهرة التفاسير, محمد بن احمد بن مصطفى أبو زهرة, 32.
[3] - تفسير الإمام الرضا (ع), محمد جواد ألمروجي الطبسي, 2/ 210.

فقد جاء في مجمع البحرين إن التعبير القرآني عن السماء والأرض (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) ، يتفق مع النظرية العلمية الحديثة التي تتحدث عن الانفجار العظيم وتؤكد على إن الكون نشأ في بدايته بانفجار كبير، مما يبرهن على أن القرآن سبق العلم الحديث بمئات السنين, ففي مجمع البيان "الرتق: ضد الفتق و هو الالتيام, وقيل كانت السماوات سماء واحدة و الأرض أرضا واحدة ففتقهما الله و جعل سبع سماوات و سبع أرضين, و قيل كانت السماء مع الأرض جميعا ففتقهما الله بالهواء الذي جعله بينهما"[1].

وفي تاج العروس" قال ابن عرفة: أي: كانتا مصمتتين منضمتين لا فرجة بينهما، ففتقناهما بالمطر و النبات، و قال الأزهري: أراد كانت سماء مرتتقة، و أرضا مرتتقة، ففتق الله السماء فجعلها سبعا، و من الأرض مثلهن، و قال الليث: كانت السموات رتقا: لا ينزل منها رجع، و كانت الأرض رتقا: لا يكون فيها صدع، حتى فتقها الله بالماء و النبات رزقا للعباد"[2].

ولكن لم يوافق أغلب المفسرين على هذا الرأي, فقد ذهب معظمهم إلى عكس ذلك تماماً, بالاستناد إلى رواية الإمام الباقر(عليه السلام) في جواب أحد علماء أهل الشام عندما سأله عن قول الله تعالى: (أولم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما) (الأنبياء: 30) "فقال له أبو جعفر (عليه السلام):(فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقا ملتزقتان ملتصقتان ففتقت إحداهما من الأخرى) فقال: نعم، فقال أبو جعفر (عليه السلام) (استغفر ربك فإن قول الله (كانتا رتقا) يقول: كانت السماء رتقا لا تنزل المطر و كانت الأرض رتقا لا تنبت الحب فلما خلق الله تعالى الخلق و بث فيها من كل دابة

[1] - مجمع البحرين, فخر الدين بن محمد ألطريحي, 5/ 166.
[2] - تاج العروس من جواهر القاموس, مرتضى الزبيدي, 13 /160.

فتق السماء بالمطر و الأرض بنبات الحب) فقال الشامي: أشهد أنك من ولد الأنبياء و أن علمك علمهم"[1].

و على الرغم من أن تفسير الإمام الباقر(عليه السلام) هنا مختلف, غير أن التفسير يحمل إشارة علمية, وهي: إن الأرض كانت لا تحتوي على حياة وهذا ما ثبت في العلم الحديث بعد أن ذكره القران الكريم في آيات كثيرة.

2- مراحل خلق الجنين :

تتحدث سور قرآنية عديدة عن مراحل خلق الإنسان في رحم أمه، ومنها قوله تعالى :

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (العلق: 2), وقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُّم جَعَلْناهُ نُطْفَةً فى قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) (المؤمنون: 12- 14).

فالعلقة تعني الشيء المعلق، وهي وصف دقيق للجنين في مراحله الأولى التي تثبت فيه في رحم الأم، وهذه الحقيقة أثبتها الطب الحديث, وعلى الرغم من أنها لم تكن معروفة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا إن القران الكريم ذكرها في أكثر من موضع كإشارة علمية[2].

3- بناء السماء والتمدد الكوني :

في قوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات: 47).

[1] - الوافي , محمد محسن الفيض الكاشاني, 26 /470.

[2] - ينظر: تفسير المنار, محمد رشيد رضا, 150/3.

يشير العلماء إلى أن (التمدد) يعني توسع الكون، وهو اكتشاف حديث في علم الفلك, وأن هذا التوسع لا يمكن تفسيره إلا بفهم علمي متقدم، والقرآن بهذا يوجه الإنسان للتأمل في خلق الله[1].

4- الزوجية في الكائنات:

قال تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: 49), هذه الآية تُشير إلى قانون الإزدواجية في الخلق، وهو ما أثبته العلم في الذرة والمادة والطاقة, إن هذه الآية تتضمن إشارة إلى قاعدة عامة في التكوين، وهي أن كل شيء مخلوق يتضمن نوعًا من الزوجية، سواء كان في الماديات أم في المعنويات، وقد فُسِّرَتْ بالذكر والأنثى أو الإيجاب والسلب[2].

وفي تفسير الصافي للفيض الكاشاني : عن الرضا (عليه السلام) في خطبة (و بمضادته بين الأشياء عرف ان لا ضد له و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة و اليبس بالبلل و الخشن باللين و الصرد بالحرور مؤلفا بين متعادياتها مفرقا بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها و بتأليفها على مؤلفها)[3], والمراد بالزوجين: المتضادان أو المتكاملان، وقد تشمل الذكر والأنثى أو النور والظلمة، وذلك من بديع صنع الله في خلقه, فأن هذه الآية تشير إلى وجود تناظر ثنائي في مكونات الكون، وأنها توافق المبدأ العلمي القائل بأن كل جسيم له نظير.

5- الجبال:

في قوله تعالى: (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) (النبأ: 7).

[1] - ينظر: معرفة القران, مرتضى مطهري, 122.
[2] - ينظر: الميزان في تفسير القران, العلامة الطباطبائي, 17/ 75.
[3] - ينظر: تفسير الصافي, الفيض الكاشاني, 5/ 73.

إشارة علمية إلى أن الجبال لها جذور تمتد في طبقات الأرض، مثل الأوتاد التي تثبت الخيمة[1], وهو ما أثبته العلم الحديث.

وفي شرح كتاب الروضة من الكافي لابن قارياغدي: المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها، لا مجموع كرة الأرض, ويكون الجبال أوتادا لها, أي أنها حافظة لها عن الميدان والاضطراب بالزلزلة ونحوها، والتي تحدث إما بحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله تعالى، أو بغير ذلك من الأسباب التي يعلمها مبدعها ومنشئها[2].

وأيده بما رُوي في الأخبار: "أن ذا القرنين لما انتهى إلى السد، جاوزه، فدخل الظلمات، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع, فقال له ذو القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن، موكل بهذا الجبل، فليس من جبل خلقه الله- عز وجل- إلا وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله- عز وجل- أن يزلزل مدينة، أوحى إلي، فزلزلتها"[3].

وهذا يتناسب مع ما أكده العلم الحديث من أن الجبال لها جذور تحت الأرض قد تصل إلى ثمان أضعاف حجم الجبل الظاهر فوق سطح الأرض, فالجبال الكبيرة (خاصة التكتونية منها) لها أساس عميق تحت الأرض يُعرف بـ (جذر الجبل)، وهو امتداد للقشرة القارية الأقل كثافة في داخل الوشاح الأكثر كثافة، لتحقيق التوازن بين الكتلة المرتفعة فوق السطح, والكتلة الغائرة تحته[4].

رابعًا: أهمية الإشارات العلمية في القران الكريم:

الإشارات العلمية في القرآن الكريم تؤثر بشكل كبير في القارئ والباحث في العلوم القرآنية, فهي تسهم في التقدم والتطور من خلال عدة نقاط مهمة منها:

---

[1] - ينظر: نهج البلاغة للإمام علي (ع)، الشريف الرضي, خطبة ٩١.

[2] - ينظر: البضاعة المزجاة (شرح كتاب الروضة من الكافي لابن قارياغدي), 2 /433.

[3] - بحار الأنوار، العلامة ألمجلسي , 4/ 250؛ 57/ 107.

[4] - ينظر: موقع البوابة نيوز, https://www.albawabhnews.com/4552058

1- تعميق الإيمان: إذ يزداد المؤمن يقيناً بأن القرآن, هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

2- تحفيز البحث العلمي: إذ تشجع الباحثين على الدراسة المتأنية للنصوص الدينية, وتوظيف العلم لفهمها.

3- تمثل جسر للحوار بين الدين والعلم: مما يساعد على مواجهة التطرف الفكري والازدواجية بين العلم والدين.

لذلك فان التفاعل بين القرآن والعلم هو أساس منهج فكري متوازن، يحقق تقدماً علمياً مع الحفاظ على القيم الروحية, وأن الإشارات العلمية في القرآن الكريم تكوّن ركيزة مهمة ضمن معايير التقدم والتطور في النص القرآني، فهي تمثل جسراً يربط بين العلم والدين، وتؤكد على أن القرآن كتاب متجدد يُناسب كل عصر، كذلك ترشد الباحثين إلى ضرورة الجمع بين المعرفة الدينية, والعلوم التجريبية في فهم هذا الكتاب العظيم.

الفصل الثالث

معايير التّقدّم والتّطور

السياسيّة والاجتماعيّة و الاقتصاديّة

في القرآن الكريم

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعايير السياسية

المطلب الأول: الجهاد

المطلب الثاني: الشورى

المطلب الثالث: العدل والحوكمة الرشيدة

المبحث الثاني: المعايير الاجتماعية:

المطلب الأول: التعاون

المطلب الثاني: القدوة الحسنة

المطلب الثالث: الإخلاص

المبحث الثالث : المعايير الاقتصادية

المطلب الأول: العمل والإنتاج

المطلب الثاني: التجارة

المطلب الثالث: التنمية المستدامة

الفصل الثالث

معايير التقدم والتطور السياسية والاجتماعية والاقتصادية في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم مرشدًا شاملًا لحياة الإنسان، لا يقتصر تأثيره على الجانب الروحي فحسب، إنما يمتد ليشمل كافة جوانب الحياة السياسية, والاجتماعية، والاقتصادية، وفي هذا الفصل سنبحث المعايير القرآنية التي تمثل الأسس التي يعتمد عليها بناء المجتمعات المتقدمة في هذه المجالات، وتبيّن كيف أن القرآن يقدم رؤية شاملة ومتوازنة تدمج بين القيم الأخلاقية والمتطلبات المادية، مما يجعلها ملهمة وفعّالة في تحقيق التقدم والازدهار.

وسأبين في هذا الفصل المعايير السياسية في القرآن الكريم التي تقوم على الشورى والحوكمة الرشيدة, الجهاد, والعدل, وحماية حقوق الإنسان, وهذه المعايير تضمن للمجتمع الإسلامي نظامًا سياسيًا متوازنًا قائمًا على الشورى والعدالة، بما يحقق استقرارً للدولة وتقدمها.

ولا تقتصر المعايير القرآنية على الجوانب والسياسية فحسب، إنما تمتد إلى الأهم وهي المعايير الاجتماعية التي تشمل التعاون، والتكافل الاجتماعي، والقدوة الحسنة، والأمر بالمعروف, والنهي عن الفحشاء, والفساد, والسوء, والمنكر,وغيرها والتي تُعد من العوامل الأساسية التي تساهم في بناء مجتمع متماسك ومترابط، يعزز من قيم الأخوة والمساواة[1].

كما سأركز في هذا الفصل على المعايير الاقتصادية التي حددها القرآن، مثل تحري الحلال، العدالة في توزيع الثروات، ومكافحة الظلم، بما في ذلك حظر الربا والتجارة غير العادلة, والتنمية المستدامة؛ لان هذه المعايير تهدف إلى خلق اقتصاد إسلامي يقوم على التوازن والكفاءة، ويعزز التكافل الاجتماعي بين الأفراد.

[1] - ينظر: الدين والحضارة, مجموعة باحثين, اعداد: محمد حسين كياني ,80.

كما سأسعى في هذا الفصل إلى تحليل دور هذه المعايير في تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكيف يمكن تطبيقها في واقعنا المعاصر, كما يناقش تأثير هذه المعايير في بناء مجتمعات متكاملة، تقوى فيها العدالة الاجتماعية، ويستقر فيها النظام السياسي والاقتصادي، مما يعزز من استقرار الأمة الإسلامية وتقدمها كما يأتي:

المبحث الأول:

المعايير السياسية وأثرها في التقدم والتطور في القران الكريم:

تُعّد المعايير السياسية في القرآن الكريم من الأسس الرئيسة التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام, وقد قدم القرآن الكريم نهجًا شاملًا يتسم بالعدل والشورى والمساواة، إذ وضح العديد من القيم والمبادئ التي يجب أن تسود في المجتمعات الإسلامية لضمان استقرارها وتقدمها.

وتُعدّ السياسة في الإسلام جزءًا من الدين، وهي تتبع القيم الإيمانية التي توجه حياة المسلمين سواء أكان ذلك على مستوى الحياة الشخصية أم العامة, وفي الوقت الذي يحث فيه القرآن الكريم على العدل والمساواة بين الناس، فإنه يدعو كذلك إلى الشورى والتمثيل السياسي العادل الذي يضمن حقوق الأفراد، ويؤسس لنظام حكم قائم على الشفافية والمصداقية[1].

ويُعّد العدل السياسي في القرآن أساسًا في إرساء نظام حكومي صالح، يساعد في بناء دولة قوية ومستقرة, كما أن الشورى تُعد من أبرز المبادئ التي تم التأكيد عليها في العديد من آيات القرآن الكريم، (۔ وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُم) (الشورى: 38) ,

مما يبرز أهمية مشاركة المجتمع في اتخاذ القرارات السياسية، وتحقيق الحكم الرشيد الذي يصب في مصلحة الأمة[2].

ويسلط هذا المبحث الضوء على المعايير القرآنية التي تؤطر لمفهوم السياسة في الإسلام، بدءًا من المبادئ الأساسية مثل الجهاد, والعدل والشورى، مرورًا بتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وصولًا إلى كيفية إدارة الشؤون العامة في الدولة الإسلامية على وفق لما جاء في النصوص القرآنية, لكي تتضح صورة البحث فإنه ينبغي التطرق إلى المطالب الآتية:

---

[1] - ينظر: حوار من اجل الديمقراطية, علي خليفة الكواري, 123.

[2] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 393.

المطلب الأول: معيار الجهاد في سبيل الله وأثره في التقدم والتطور في القرآن الكريم:

يُعّد الجهاد من أهم وأبرز معايير التقدم والتطور السياسية في القران الكريم, لما له من أهمية في دفع الاعتداء عن بلاد المسلمين وترسيخ عقيدة التضحية من اجل الوطن وبث روح التعاون والتكافل الاجتماعي مما يبعث في ترسيخ الإيمان ودفع عجلة تقدم المجتمع.

أولا: أهمية الجهاد في سبيل الله في القرآن الكريم:

الجهاد في الإسلام ليس مجرد قتال في المعركة، إنما هو مفهوم شامل يمتد إلى بذل الجهد والعمل الصالح في سبيل الله، سواء الدفاع عن الدين أو في مجالات أخرى مثل العلم، الدعوة، والتنمية, والجهاد يعكس مفهوم التضحية, والعمل الجاد من أجل تحقيق الأهداف العليا في حياة المسلمين، وهو من أبرز وسائل نشر الحق وإعلاء كلمة الله.

قال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج: 78).

إذ يوضح الطبري في تفسيره لهذه الآية أن الجهاد في سبيل الله يشمل بذل الجهد في جميع مجالات الحياة من العبادة والإنفاق في سبيل الله، وليس مقتصرًا على القتال فقط. هذه الآية تدعو المسلمين إلى الالتزام بالنهج الذي سلكه الأنبياء في تحقيق رسالة الإسلام[1].

[1] - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير الطبري, 18 /688.

وجاء في بعض التفاسير كذلك أن الجهاد لا يعني الحرب فحسب، إنما يشمل الجهد في نشر العلم كذلك، والدعوة، والمحافظة على قيم الإسلام, ويُعد الجهاد وسيلة لتعزيز الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية[1].

ومما سبق من تفاسير للآية يتضح أن الجهاد في سبيل الله هو عمل مستمر في جميع جوانب الحياة، ويشمل كل جهد يُبذل لتحقيق أهداف الإسلام السامية, ومن خلاله ، يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم وتحقق الازدهار في جميع المجالات.

ثانيا: أثر الجهاد في سبيل الله في التقدم والتطور:

الجهاد في سبيل الله في القرآن الكريم لا يقتصر على الحرب دفاعًا عن الدين فحسب، إنما يشمل العمل الجاد من أجل نشر المعرفة، العدالة، والتحرر من الظلم. الجهاد في سبيل الله يمثل انطلاقة للأفراد والمجتمعات لتحقيق تطور مستدام، بدلاً من الاعتماد فقط على الجهود المادية.

قال تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: 60)

ففرض الجهاد في الإسلام يعد من الأمور التي تعزز قوة المسلمين وتماسكهم, وله اثر كبير في الدفاع عن الدين والنفس والعرض و فرض الجهاد عزا للإسلام والمسلمين[2], وهذه الآية تشير بصورة مباشرة إلى أهمية توطيد المعايير العسكرية للتقدم والتطور.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا) (النساء: 71).

[1] - ينظر: مجمع البيان , الطبرسي, 4/ 293.

[2] - ينظر:شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، 19/ 87.

قال الجوهري: "الحذر: التحرز"[1] وجاء في تفسير الكشاف للزخمشري في ذيل قوله تعالى: (خذوا حذركم), إن الحذر بمعنى، الأثر و الأثر، يقال: أخذ حذره، إذا تيقظ و احترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه و يعصم بها روحه، و المعنى: احذروا و احترزوا من العدو و لا تمكنوه من أنفسكم[2] و قال العلامة المازندراني: فخذ حذرك، الحذر- بالكسر و يحرك-: الاحتراز، و لا يحصل ذلك إلا بمحاسبة النفس قبل الموت و حملها على فعل ما ينبغي و ترك ما لا ينبغي[3].

أن هذه الآية تشير إلى استعداد الأمة الإسلامية للقتال عند الحاجة، و تشير كذلك إلى ضرورة التحلي بالصبر والعمل الجماعي في مجالات أخرى، مما يعكس أن الجهاد يشمل عدة أبعاد وليس القتال فقط.

كما أن الآية تتحدث عن الجهاد في كافة مجالات الحياة من خلال بذل الجهد المستمر والمشاركة الفعالة في تحقيق التقدم, فالجهاد لا ينحصر في القتال، إنما يشمل كذلك العمل لإصلاح المجتمع وتطويره.

وقد أشار القران الكريم إلى القتال في سبيله قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) (الصف: ٤).

فهذه الآية تحث المسلمين على الجهاد من خلال قتال الأعداء وتشير إلى ضرورة اللحمة والتكافل بقوله -صفاً- مما يعني أن الجهاد في الإسلام بأشكاله المختلفة، يساهم في التقدم والتنمية من خلال العمل المشترك والاجتهاد الجماعي، سواء في ميادين الحرب أو في ميادين أخرى مثل التعليم، التنمية الاقتصادية، وتحقيق العدالة الاجتماعية؛ لكي يسهم في بناء المجتمع الإسلامي, فخلاصة القول إن الجهاد هنا

[1] - الصحاح في اللغة، الجوهري, 2 / 626.
[2] - ينظر: الكشاف , محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري, 1/ 541.
[3] - ينظر: شرح أصول الكافي , محمد صالح المازندراني, 11/ 407.

ليس مجرد صراع عسكري، إنما هو نهضة شاملة تعيد تعريف التقدم عبر تحويل الطاقات الروحية إلى إنتاجية, وتوظيف الموروث القيمي لخدمة التنمية المستدامة, مما يجعل (السعي للتقدم) واجباً أخلاقياً ودينياً.

قال الإمام علي(عليه السلام)"الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه".[1]

وهذا مما يدل على عظيم منزلة الجهاد في سبيل الله وما له من اجر عظيم فجعله الله سبحانه وتعالى لخاصة أوليائه, فالجهاد سواء في الحرب او في ميادين الحياة الأخرى, يشكل المفهوم المتكامل الذي يرفض ثنائية - الصراع ضد الحداثة - ويقدم نموذجاً للتطور الجذري القائم على الهوية والانفتاح معاً .

ثالثا: أنواع الجهاد في سبيل الله وإسهامها في بناء المجتمع الإسلامي:

الجهاد ليس مجرد واجب ديني إنما هو قوة دافعة لبناء مجتمع قوي ومتقدم, والقرآن الكريم يُظهر أن الجهاد في سبيل الله هو وسيلة لحماية الأمة الإسلامية ودعمها في مواجهة التحديات، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية, وهناك عدة أنواع من الجهاد ذكرها القران الكريم وهي كما يلي:

1- الجهاد الأكبر: جهاد النفس:

قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت: ٦٩).

فتشير الآية الكريمة إلى إن جهاد النفس مقدّم على جهاد السيف، وهو أساس تزكية الفرد والمجتمع[2], فيُظهر القرآن الكريم بان الجهاد في سبيل الله لا يقتصر على القتال، إنما يشمل بذل الجهد والعمل الصالح في جميع جوانب الحياة من أجل تحقيق التقدم والنمو المستدام.

2- جهاد الأعداء:

[1] - نهج البلاغة, الشريف الرضي، من الخطبة ٢٧.

[2] - ينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٦٧/ ٢٥.

قال تعالى: (وَما لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصيرا) (النساء: ٧٥).

وقال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدير) (الحج:٣٩), لقد كانت بعض معارك الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لرد العدوان وحماية الأمة الإسلامية، كمعركة بدر, فالجهاد في سبيل الله يُعّد وسيلة لرفع الأمة الإسلامية وحمايتها من الأعداء، مع دعم مفهوم التعاون والتضحية في سبيل الله لبناء مجتمع قوي ومتماسك قادر على التقدم والازدهار في كافة مجالات الحياة[1].

رابعا: الضوابط القرآنية للجهاد:

وضع القران الكريم ضوابط خاصة للجهاد في سبيل الله فحدده بضوابط وقواعد خاصة وأمر النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بالالتزام بها وتوضيحها للمسلمين وتتمثل بالاتي:

1- الدفاع وعدم الاعتداء:

قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدينَ) (البقرة: ١٩٠), جاء في تحرير الوسيلة للسيد الخميني ان الجهاد في سبيل الله مشروط بعدم الاعتداء، ويجب رد الاعتداء بنفس الوسائل التي يعتدى بها على المسلمين من دون ظلم وحرمة قتل النساء والأطفال, ويشير السيد الخميني كذلك إلى وسائل أخرى للجهاد كالوسائل السياسية أو الاقتصادية كقطع الروابط

[1] - ينظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، ١/ ١٣٥.

السياسية والتجارية, ويجب على كافة الدول الإسلامية التوحد في هذه القرارات بما يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين ويساعد في بناء الدول الإسلامية وصد الاعتداءات الخارجية[1].

كما فصلّ السيد الخميني (رحمه الله) الدفاع على قسمين إذ قال: "في الدفاع وهو على قسمين: أحدهما الدفاع عن بيضة الإسلام وحوزته، ثانيهما عن نفسه ونحوها.

والقول في القسم الأول مسألة 1 - لو غشي بلاد المسلمين أو ثغورها عدو يخشى منه على بيضة الإسلام و مجتمعهم, فانه يجب عليهم الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والنفوس.

مسألة 2 - لا يشترط ذلك بحضور الإمام (عليه السلام) وإذنه ولا إذن نائبه الخاص أو العام، فيجب الدفاع على كل مكلف بأية وسيلة بلا قيد وشرط.

مسألة 3 - لو خيف على زيادة الاستيلاء على بلاد المسلمين وتوسعة ذلك وأخذ بلادهم أو أسرهم وجب الدفاع بأية وسيلة ممكنة"[2].

إما السيد الخوئي فقد عد الجهاد الدفاعي واجباً في عصر الغيبة ، والهجومي موقوفاً على إذن الإمام[3].

2- حماية الحريات الدينية:

عندما جاء الإسلام أمر الله سبحانه وتعالى نبيه (محمد صلى الله عليه واله) بتبليغ الإسلام بدون إجبار احد على الإيمان به كما جاء في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦).

فالجهاد ليس لإكراه الناس على الدين، إنما لتحريرهم من الطغاة[4].

كما يتطلب الجهاد تحلي الفرد والمجتمع بالإصرار والصبر والعمل الجماعي، إذ يتم تفعيل هذه القيمة في تعزيز العدالة، والتنمية البشرية، والازدهار الاقتصادي. فيُعد

[1] - ينظر: تحرير الوسيلة، السيد الخميني، ١ 485-٤٨٦.
[2] - المصدر السابق نفسه, 485.
[3] - ينظر: منهاج الصالحين, السيد الخوئي، ١/ ٣٤٨.
[4] - ينظر: علل الشرائع , الشيخ الصدوق، ٢/ ٣٢٠.

الجهاد في سبيل الله بمثابة ركيزة أساسية لبناء مجتمع إسلامي قوي ومتقدم، يمكنه مواجهة التحديات المعاصرة وتحقيق التطور المستدام.

ومما سبق يتضح إن الجهاد في الرؤية القرآنية هو:

1- أداة لحماية القيم الحضارية: العدل، الحرية، الاستقلال.

2- ضمانة ضد الاستعمار الفكري والمادي, وحتى الاستعمار العسكري.

3- محرك للتقدم: عبر تطهير المجتمع من الفساد والتبعية.

ونلحظ كذلك أن جلاء التوجيه القرآني والتأكيد الرباني على ضرورة اعتماد منظومة عسكرية خاصة تكون أساسا للتطور والتقدم من الناحية العسكرية.

المطلب الثاني: معيار الشورى في القرآن الكريم (مقارنة مع الديمقراطية):

الشورى في القرآن ليست مجرد آلية سياسية، إنما هي قيمة أخلاقية وعملية تضمن مشاركة الجميع في صنع القرار، وتُجنب الاستبداد الذي يُعيق تقدم الأمم, فالشورى في القرآن الكريم تعد من المبادئ الأساسية التي تشكل إطارًا للحكم الرشيد والعدالة في اتخاذ القرارات, وهي عملية جماعية تهدف إلى استشارة الآخرين من أصحاب الخبرة والعلم، وذلك لتحديد أفضل الخيارات المتاحة في أي شأن من شؤون الأمة، سواء كان سياسيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا, والحوكمة الرشيدة تعني إدارة الموارد والسلطة بإنصاف وشفافية, وقد اجمع المسلمون على إن الشورى في إدارة الشؤون العامة من أولى المبادئ الدستورية التي يتشكل بها مفهوم الأمة أو المجتمع السياسي.

وقد بيّن مفهوم الشورى في اللغةً بأنها مأخوذة من شَوْر العسل أي استخراجه من موضعه، كناية عن استخلاص الرأي بعد التشاور[1].

وفي الاصطلاح الشرعي: استطلاع رأي الأمة مباشرةً أو عبر ممثليها (أهل الحل والعقد) في الشؤون العامة؛ لاستخراج الرأي الأصوب[2].

ويمكن بيان هذا المطلب على النحو التالي:

أولاً: أصالة مبدأ الشورى:

1- الأمر الإلهي للنبي (صلى الله عليه واله)بالشورى:

قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فإذا عزمت فتوكل على الله إن اللَّهَ يُحِب المُتَوَكِلِينَ) (آل عمران: 159).

[1] - ينظر: لسان العرب, ابن منظور، مادة (ش ور)، 235/4.

[2] - ينظر:الشورى طبيعة الحاكمية في الإسلام, مهدي فضل الله، 53.

الأمر الإلهي للنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بالمشاورة رغم عصمته (صلى الله عليه واله وسلم) المطلقة من قبل السماء، يدل على أهمية الشورى في الحكم الإسلامي حتى مع وجود القائد الإلهي الحكيم المسدد, فرغم كون النبي محمد (صلى الله عليه واله) يمثل القيادة السياسية والاجتماعية والروحية في إن واحد فقد كان (صلى الله عليه واله وسلم) القائد العسكري والموجه الاجتماعي والمبلغ الأوامر الله وتشريعاته, ومن وحيه تنزل آيات القران الكريم, وهو الحاكم المطلق والقاضي بين الخلائق, الذي لا يحتمل وجود الخطأ في تصرفاته أو النقص في تبليغاته , ورغم ذلك أمره الله عز وجل بالتشاور مع المسلمين من اجل أن يعلمنا أهمية الشورى في الحكم الإسلامي[1].

ويبين ذلك الشيخ المفيد(ت:413هـ) في قوله:"إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم و لحاجة دعته إلى مشورتهم ... كان أكمل الخلق باتفاق أهل الملة و أحسنهم رأيا و أوفرهم عقلا و أكملهم تدبيرا ... والآية بينة يدل متضمنها على ذلك أ لا ترى إلى قوله تعالى (و شاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم و مشورتهم و لو كان إنما أمره بمشورتهم للاستعانة برأيهم لقال له فإذا أشاروا عليك فاعمل و إذا اجتمع رأيهم على شيء فأمضه فكان تعلق فعله بالمشورة دون العزم الذي يختص به ...فأما وجه دعائهم إلى المشورة عليه (صلى الله عليه واله) فإن الله أمره أن يتألفهم بمشورتهم و يعلمهم بما يصنعونه عند عزماتهم ليتأدبوا بآداب الله عز و جل فاستشارهم لذلك لا للحاجة إلى آرائهم " [2]

والتطبيقات العملية في السيرة النبوية للشورى كثيرة والتي جاء القرآن يؤصلها, ومنها في غزوة الخندق (الأحزاب)، أخذ النبي بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق، وهي خطة دفاعية لم يكن العرب يعرفونها, وهذا تطبيق للشورى في الأمور الحربية والفنية، وأخذ الرأي الصائب حتى لو كان من غير العرب.

[1] - ينظر: عند ما يحكم الإسلام , رائد قاسم, /272-273.

[2] - الفصول المختارة من العيون والمحاسن, محمد بن محمد المفيد,31 - 32.

واللافت للنظر في مسالة الشورى لم يحدد الشارع آلياتها التفصيلية، إنما تركها للأمة لتطويرها حسب ظروف الزمان والمكان، كما ظهرت في عهد الخلافة بأشكال متعددة, فالمهم أن نوفر الضمانات والأساليب التي تجعل الشورى حقيقة مرعية [1], ومما يجدر الإشارة إليه هنا إن المشاورة (فيما ليس فيه عهد الهي) تطييبا لنفوس المسلمين وإشراكهم في الأمر حتى تكون سنة من بعده, أما التفويض الكامل للرسول (فيما فيه وحي صريح) فليس فيه مجال للمشاورة.

2- صفة للمؤمنين:

قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (الشورى: 38).

تشير الآية الكريمة إلى جعل القرآن الشورى سمةً ملازمةً للمجتمع المؤمن، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستجابة لله سبحانه وتعالى, فالأمر بالمشورة في القران ليس لمجرد الاستئناس، إنما لإشراك الأمة في القرار وصنع السياسات العامة, وهي تعبير عن المشاركة الفعالة في النظام السياسي والاجتماعي، ويجب أن تكون أساسًا لاتخاذ القرارات في كل مناحي الحياة, وهي وسيلة لتحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد.

وان الشورى في الإسلام تعني اتخاذ القرار الجماعي بمشاركة الجميع، بعيدًا عن التفرد أو الاستبداد, وهي آلية لتمكين الأمة من المشاركة في صياغة السياسات واتخاذ القرارات الهامة التي تمس حياتهم اليومية.

كما إن الشورى هي مبدأ أساس لنجاح النظام السياسي في الإسلام، إذ يتم اتخاذ القرارات بناءً على مشورة متبادلة بين الأفراد، مما يضمن استجابة أكبر لاحتياجات

[1] - ينظر: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث , محمد الغزالي ، 113.

المجتمع, في هذا السياق، يُعّد قرار الشورى أكثر اتزانًا وحكمة لأنه ينبني على تجارب وآراء متعددة.[1]

3- الشورى في القضايا الأسرية:

قال تعالى: (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) (البقرة: 233).

ادخل القران الكريم الشورى حتى في داخل الأسرة الواحدة, مما يعزز أهميتها ويعلم المسلم إقرار مبدأ التشاور حتى في الشؤون الخاصة (كالطلاق بين الزوجين كما في الآية القرآنية)، مما يُعزز ثقافة الحوار ويساعد على التفاهم والتكافل الأسري.

ثانيا: أفضلية الشورى على الديمقراطية:

مما لا شك فيه إن مبدأ الشورى القرآنية أفضل بكثير من الديمقراطية البشرية, مع إن الديمقراطية قد تشابه في بعض مفاصلها أو ربما تتبع الشورى, لان الشورى كما مر هي رأي أهل الحل والعقد (تكامل أراء) , بينما الديمقراطية ألحديثه تشرك كل الناس كلهم سواسية في اختيار مرشح عنهم(تجميع أصوات), ومما لا شك فيه إن المجتمع يحوي الجاهل والمتعلم , فمنهم من لا يعرف الاختيار أصلا مما يسبب جعل من ليس آهلا للمسؤولية في سدة الحكم أحيانا, فالفرق بينهما جوهري كبير بين إن يكون لك رأي تصرح به وبين إن تنتخب من يمثلك ولا تملك أي خيار بعدها[2].

ويمكن بيان أفضلية الشورى من خلال الأبعاد التكاملية التالية[3]:

1- البعد الإيماني: الشورى وظيفة أخلاقية تغييريه تنطلق من الذات لتدخل في صميم المركب الحضاري للأمة, وهي جزء من منظومة مفاهيمية عبادية تُعزز حضور الإنسان في المجتمع واحتماله مسؤولية المشاركة الجادة في التنمية لأجل

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القرآن, العلامة الطباطبائي، ٤/ ١٠٢.
[2] - ينظر: المشروع الحضاري الإسلامي, محمد حسين فضل الله، 173-174.
[3] - ينظر: الديمقراطية من منظور المشروع الحضاري, فهمي هويدي, 458.

الصالح العام، في إطار الضوابط الشرعية, فكما أنّ المسلم مُلزَم بأداء الصلاة والصيام، فهو مُلزَم بأداء وظيفة الشورى في شؤون الأمة، من باب النصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- البعد ألقيمي: الشورى وظيفة قيمية اجتماعية تتداخل فيها قيم: الحرية، واحترام الفكر، والالتزام بالأخلاق، وإرساء روح التحاور، وتشجيع التنافس الشريف، والاستفادة من الخبرات، والتعاون لخدمة الأهداف العليا, وهذه قيمٌ تفتقر إليها الديمقراطية الغربية، إذ شهد التاريخ "كثيراً من الطغاة الذين عَبَّدوا الناس باسم الديمقراطية عندما طَوَّقُوا رداءها بحسب مقاساتهم الخاصة، وهو ما لم يحدث في تاريخ الشورى الإسلامية التي إمّا أن تكون شورى حقيقية، وإمّا أن لا تكون.

3- **البعد الإجرائي:** جوهر الشورى يختلف جوهرياً عن الديمقراطية: فالديمقراطية "تجميع أصوات"، بينما الشورى (تكامل آراء), والفرق بينهما: أنّك في ظل الشورى ينبغي أن تكون لك كلمة في كل ما يجري في البلد، أما في الديمقراطية فأنت تدلي بصوتك لصالح مرشح كل 4-5 سنوات، ثم ينوب عنك طوال مدة المجلس النيابي دون أن تكون لك علاقة بتقرير أي شيء, لك فقط – في نهاية المدة – أن تصوت له أو ضده, أما في الشورى فينبغي أن يكون لك دائماً قول في الشأن العام، دون انتظار سنوات.

ثالثا: مقارنة نقدية مع الديمقراطية الغربية:

أوجه الاختلاف الجوهري:

1. المصدر والغاية:

- الشورى: تستمد شرعيتها من الوحي، وتهدف إلى التكامل الروحي والمجتمعي.

- الديمقراطية: نتاج بشري يركز على الحرية المطلقة حتى لو تعارضت مع القيم، فتوفر الحرية للطاعة والفسق والإيمان والكفر على حد سواء[1].

2. الحرية وحدودها:

[1] - ينظر: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث , محمد الغزالي، 165.

- في الشورى (الإسلام): الحرية مقيدة بالضوابط الشرعية.

- في الديمقراطية: تحاول أن تقدم للإنسان مطلق الحرية ولو على حساب تكامله وتكامل الآخرين؛ لتبقيه مجرد وجود مستهلك غير فاعل[1].

3. الممارسة العملية:

- الشورى: مشاركة دائمة عبر الحوار وتكامل الآراء.

- الديمقراطية: لا يمارس الفرد وظيفتها إلا بحدود ما يحقق له مكاسب شخصية؛ لأنها كمفهوم لا تحمل الأبعاد الإيمانية[2].

4- النتائج التاريخية:

- الشورى الإسلامية: حولت جمعاً من البدو المتفرقين في صحراء الجهل والفقر... إلى محطمين لأعتى القوى الاستعمارية، وواهبين النضج للحضارات الإنسانية.

- الديمقراطية الغربية: لم تحصد البشرية منها إلا الطغيان والظلم والفساد والإرهاب واستعباد الشعوب[3].

رابعا: موقف المفكرين المسلمين من الديمقراطية:

انقسم المفكرون المسلمون في موقفهم من الديمقراطية إلى ثلاثة اتجاهات:

1- اتجاه الرفض المطلق:

- محمد قطب: يرى إن الديمقراطية حكم جاهلي؛ لأن الحكم إما لله وإما للجاهلية, و كل حكم غير حكم الله فهو جاهلية[4].

2- اتجاه القبول:

- راشد الغنوشي: يرى انها آلية تمكن المواطنين من ممارسة الحريات الأساسية، خاصة السياسية[5].

3. اتجاه التصالح النسبي:

---

[1] - مجلة المنهاج, مركز الغدير للدراسات , 77.

[2] - ينظر: الشورى طبيعة الحاكمية في الإسلام, مهدي فضل الله، ، 53.

[3] - ينظر: العودة إلى الذات , علي شريعتي ، 23.

[4] - ينظر: العلمانيون والإسلام, محمد قطب ، 24.

[5] - ينظر: الحريات العامة في الدولة الإسلامية, راشد الغنوشي، ص75.

- محمد مهدي شمس الدين: يرى ان رفض الديمقراطية بإطلاق فيه مغامرة، وقبولها بإطلاق يلغي دور الإسلام[1]

- محمد الغزالي: يرى ان من خصائص الديمقراطية الحديثة إنها عدت المعارضة جزءاً من النظام العام للدولة , وان للمعارضة زعيماً، فهي تقترب من تعاليم الخلافة[2].

- محمد حسين فضل الله: "نرفضها في التشريع (فالتشريع لله)، لكننا نقبل آلياتها السياسية كاختيار الحاكم، شريطة ألا تفصل الدين عن الدولة".[3]

خامسا: التكاملية الإسلامية:

الشورى ليست آلية معزولة، إنما هي جزء من (التكاملية الإسلامية) وهي منظومة قيم (إيمان، تعاون، عدل، شورى) وممارسات سلوكية تُبنى بها المشاريع المجتمعية المتقدمة, تتميز بأنها:

- تربط لحمة الدولة (الشعب بالأرض و بالحكومة).
- تحقق الثوابت الإسلامية في واقع الأمة.
- تجسد التكامل الذاتي للفرد والتكامل الإنساني للمجتمع.
- تُشكل سقف التحرك البشري في الاعتقاد والسلوك

وهذه التكاملية بأبعادها تجسّد الأفق العام الذي يتحرك الإسلام فيه؛ لإنجاز مشروع تكامل البشرية ورقيها[4].

سادسا: تطبيقات الشورى في قصص القرآن :

1- قصة طالوت :

[1] - ينظر: مجلة العالم, محمد مهدي شمس الدين، لندن، العدد 430، 1992.
[2] - ينظر: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث , محمد الغزالي،164.
[3] - المشروع الحضاري الإسلامي, محمد حسين فضل الله، 173-174.
[4] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 406-407.

في قوله تعالى: (وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَليم) (البقرة: 247).

فقبول قرار الله سبحانه وتعالى بعد النقاش (عند اختيار طالوت ملكًا عليهم رغم اعتراضاتهم الأولى), فيمكن أن نفد من هذه الآية انه بعد إخبار بني إسرائيل من قبل نبيهم, إن الله تعالى قد عيّن عليهم طالوت ملكا بعد إن طلبوا منه أن يعين عليهم ملكا, قابلوا القرار بالاعتراض لعدم قناعتهم بطالوت؛ لأنه ليس بغني وليس من أبناء الملوك, وطلبوا من نبيهم دليل –أية ملكه- قال لهم نبيهم سيرجع إليكم بتابوت تحمله الملائكة , فرغم أنهم هم من طلبوا من الله سبحانه وتعالى أن يعين لهم ملكا إلا أنهم قابلوه بالاعتراض والسؤال , ومع ذلك جاراهم الله سبحانه وتعالى ولم يفرض عليهم بدون دليل فبعد أن طلبوا دليل على ملكه أرسل لهم الآية والدليل عليه مما يدل على أهمية قرار الجماعة وعدم فرض الأمر على الناس , إنما التشاور واحترام رأي الأخر له الأولوية في التطبيق, وهذا لا يعني إن الله تعالى ترك الاستخلاف لهم , إنما أن الله تعالى لم يستخلف أحدا باختيار الأمة، و إنما دل على ذلك بمعجز أو نص يستند إلى معجز، فيجب كون المستخلفين بها كذلك[1].

2- قصة بلقيس ملكة سبأ:

في قوله تعالى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) (النمل: 32).

تمثل في هذه الآية أنموذجاً للقيادة التي تعتمد على المشورة الجماعية في اتخاذ القرارات المصيرية, فقد جاء في بحار الأنوار في تفسير هذه الآية "يا أيها الملأ أفتوني في أمري -أي أشيروا علي بالصواب- ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون -أي ما كنت ممضية أمرا حتى تحضرون- و هذا ملاطفة منها لقومها قالوا لها في ,

[1] -ينظر: تقريب المعارف, أبو الصلاح الحلبي, 375.

الجواب نحن أولو قوة, أي أصحاب قوة و قدرة و أهل عدد و أولو بأس شديد -أي و أصحاب شجاعة شديدة- و الأمر إليك -أي إن الأمر مفوض إليك في القتال و تركه- فانظري ما ذا تأمرين -أي ما الذي تأمريننا به لنمتثل- فإن أمرت بالصلح صالحنا و إن أمرت بالقتال قاتلنا, قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها -أي إذا دخلوها عنوة عن قتال و غلبة أهلكوها و خربوها- ,و جعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها و كبراءها كي يستقيم لهم الأمر و المعنى أنها حذرتهم مسير سليمان"[1].

من هنا يظهر انه على الرغم من علمها وحكمتها لم تترك المشاورة مع قومها وأقنعتهم بان لا فائدة من القتال مع نبي الله سليمان (عليه السلام) لان جيشه قوي, فخلاصة الكلام أن المنظومة الإدارية لمفهوم الحكم في المنظار القرآني, والتي تستند إلى الشورى كأداة لتحقيق معايير التطور والتقدم وأثرها في توطيد أسباب الاستقرار والاستقلال ليس على نحو المجتمع فحسب وإنما على نحو الفرد كذلك.

[1] - بحار الأنوار , العلامة المجلسي, 14 / 119.

المطلب الثالث:معيار العدل والحوكمة الرشيدة في القرآن الكريم

يُعّد العدل والمساواة من القيم الأساسية التي رسّخها القرآن الكريم كأساس متين لبناء مجتمعٍ إنساني متوازن, فهما الركيزتان التي تقوم عليهما العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، إذ يعززان التكافل الاجتماعي، ويضمنان الحقوق للجميع دون تمييز أو ظلم.

فالقرآن الكريم يؤكد على ضرورة الحوكمة الرشيدة من خلال تطبيق العدالة والمساواة في جميع الشؤون، سواء كانت إدارية، اقتصادية أو اجتماعية, فالحوكمة الرشيدة هي ضمان لحقوق الأفراد، وتوزيع عادل للموارد، وضمان الشفافية والمصداقية في إدارة شؤون الأمة.

والعدل في القرآن ليس مجرد مبدأ أخلاقي، إنما هو أساس استقرار المجتمعات وشرطٌ ضروري للتقدم الحضاري, ويُقدِّم القرآن رؤيةً شاملة للعدل تشمل الأفراد، الحكام، والأقليات, فالعدل الصفة الإلهية ذات المدلول الاجتماعي الأكبر فهي تعطي وتغني وتوجه المسيرة البشرية[1].

الأسس القرآنية للعدل:

فصّل القران العدل في آيات عدة ووضع أسساً له, فذكر القران الكريم العدل كأمر الهي مطلق في موضع, وذكره في بعض المواضع الأخرى مخصصاً مع النفس ومع القربى, وذكر العدل في الحكم والقضاء, وسنفصل ذلك من خلال النقاط الاتية:

أولا: العدل كونه أمراً إلهياً مطلقاً:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90)

إن الأمر بالعدل جاء مُطلقًا فهولا يقتصر على المسلمين أو فئة معينة, كما جاء أنّ العدل مقدَّم على الإحسان, مما يدل على أنه أساس بناء المجتمع, فالعدل عماد إصلاح المجتمع، والإحسان كماله.

[1] - ينظر: المدرسة القرآنية, السيد محمد باقر الصدر, 197-198.

وفي تفسير الطبري يفسّر الآية بأنها تشمل الدعوة إلى إقامة العدل في كل شيء، لأنها صفة الله وأحد أسمائه الحسنى[1].

وفي تفسير الميزان، يوضّح العلامة الطباطبائي أن الآية تشير إلى أن العدل هو فرض عام يشمل جميع الأحوال، وهو الركيزة الأساسية في شريعة الله التي تضمن حقوق الأفراد وتنظم العلاقات بينهم[2].

وفي قوله تعالى: (...وَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...) (المائدة: 8).

يؤكد القران الكريم هنا أن العدل هو السبيل الأقرب إلى التقوى، وأن تطبيقه هو مقياس الإيمان الحقيقي.

ثانيا:العدل مع النفس والقربى:

قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) (المائدة: 8).

فالقران الكريم يأمر بالعدل مع النفس عدم التحيز للنفس والحكم للمصلحة الشخصية وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والنهي عن ظلم الآخرين, حتى لو كانوا أعداءً, فالعدل كفيل بمنع الحروب والصراعات التي تُعيق التقدم, وهو واجب مع كل أحد، حتى الأعداء[3].

وفي سورة النساء جاء نفس معنى الآية السابقة تقريبا بتفصيل وجوب العدل حتى مع النفس والأهل والأقرباء, قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقيراً فَاللَّهُ أَوْلى

[1] - ينظر: جامع البيان، الطبري, 10/ 290.
[2] - ينظر: الميزان في تفسير القران, العلامة الطباطبائي، 12/ 210؛ م.ن 327.
[3] - ينظر: الجامع لأحكام القرآن, القرطبي، 10/ 152.

بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبيراً) (النساء: 135).

أن هذه الآية توجب على المؤمنين أن يكونوا قوامين بالعدل، أي يحكمون ويشهدون به حقًا، بغض النظر عن المصالح الشخصية، وهو أساس تطبيق العدل في المجتمع.

وفي قوله تعالى: (...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...) (الأنعام: 152).

أن الأمر بالعدل حتى مع الأقرباء إذ تؤكد الآية على موضوع المساواة ورفض التحيز، ويعّد ذلك من أعظم مظاهر العدالة الاجتماعية.

وخلاصة القول أن العدل يجب أن يكون مطلقًا حتى لو كان على الأقارب، فلا يجوز الانحياز أو المحاباة في الحكم؛ لان المظالم الاجتماعية تهدم أساس المجتمع وتفسده[1].

ثالثا: العدل والحوكمة الرشيدة أساس الاستقرار السياسي:

العدل والحوكمة الرشيدة في القرآن الكريم تلعبان دورًا محوريًا في دفع الأمة نحو التقدم والتنمية المستدامة, من خلال الشورى، يتم ضمان مشاركة الجميع في اتخاذ القرارات، مما يعزز من شعور الأفراد بالمسؤولية ويُحسن من اتخاذ القرارات, في المقابل، والحوكمة الرشيدة تضمن توزيعًا عادلًا للموارد، مكافحة الفساد، وتعزيز الشفافية، مما يعزز الاستقرار السياسي والاقتصادي.

والعدل في الحكم من أهم الأسس القرآنية للعدل قال تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: 58)

فالعدل والمساواة في القرآن الكريم ليستا مجرد مفاهيم نظرية، إنما هما إطار عملي يُنظّم العلاقات بين الأفراد، ويضع أسسًا للحكم العادل، بعيدًا عن المحاباة والظلم.

[1] - ينظر: المجتمع والتاريخ, سلسلة تراث واثار الشهيد مرتضى مطهري, 1 /151.

فالنصوص القرآنية توجب العدل حتى مع من نكره وحتى لو كان به مصلحة المقابل، مما يدل على أن العدالة فوق المصالح الشخصية، وأنها مبدأ شامل يحكم جميع التصرفات.

كما أن الالتزام بالعدل يحقق المساواة في الحقوق والواجبات، وهو ما يرسخ السلم الاجتماعي ويعزز الوحدة الوطنية, ولهذا، فإن تحقيق العدل والمساواة هو الأساس في بناء الدولة والمجتمع الإسلامي الناجح, والحكم العادل يُقلل الفوضى ويُعزز الثقة في النظام، مما يجذب الاستثمارات ويُحفز التنمية, فالحكم بالعدل يمنع الظلم ويُصلح الأرض.

ومن هنا يظهر أن هذه الآية تشدد على أهمية الحوكمة القائمة على العدالة، إذ يجب على الحكام أن يكونوا أمناء على الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل, وهذه الحوكمة الرشيدة تمنع الظلم وتضمن حقوق الأفراد[1].

وكذلك تشير الآية إلى أن الأسس التي يجب أن يقوم عليها الحكم الرشيد، من أهمها, العدل في الحكم والأمانة في إدارة الشؤون العامة, هذه القيم تؤدي إلى بناء مجتمع يتمتع بالاستقرار والازدهار.

كما ان الآية تُظهر أهمية الحوكمة الرشيدة في ضمان تحقيق العدالة بين الناس وحماية حقوق الأفراد, فالحوكمة الرشيدة في القرآن الكريم تقوم على أساس من العدل، الأمانة، والشفافية، ومراعاة الحقوق والأوليات وهي بذلك تساهم في تحقيق استقرار المجتمع وتحقيق تقدم شامل في مختلف المجالات[2].

والعدالة في الحكم تعزز من الشفافية في المجتمع، مما يساعد في تقليل التفاوت الاقتصادي والاجتماعي, كما أن تطبيق الشورى يعزز من القوة الجماعية ويسهم في تعزيز المشاركة السياسية، مما يؤدي إلى استقرار سياسي واقتصادي، ويحقق في النهاية التقدم والتنمية المستدامة.

[1] - ينظر: العدل الإلهي , مرتضى مطهري, 68- 69.

[2] - ينظر: العدل الإلهي , مرتضى مطهري, 68- 69.

كما تُعد العدالة والحوكمة الرشيدة من أسس النظام السياسي في القرآن الكريم، إذ تلعبان دورًا أساسيًا في تعزيز العدالة، والشفافية، والمشاركة الفعّالة من جميع أفراد المجتمع, وهذه المعايير تُسهم بصورة كبيرة في تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي، وبالتالي تساهم في تقدم المجتمعات الإسلامية وتطورها, من خلال تفعيل الشورى والحكم بالعدل، ويمكن للأمة الإسلامية من خلال ذلك أن تبني مجتمعًا متوازنًا ومستقرًا، قادرًا على مواجهة تحديات العصر وتحقيق التنمية المستدامة[1].

العدل في الرؤية القرآنية:

يمكن تلخيص العدل في الرؤية القرانية من خلال النقاط الآتية[2]:

1. أساس الملك: بالعدل تُبنى الدول وبالجور تُهدم
2. ضمانة التقدم: إذ ينمو الاقتصاد في ظل الأنظمة العادلة.
3. نموذج متكامل: يجمع بين الحقوق المادية والمعنوية.

الأثر الحضاري للعدل:

يُظهر الأثر الحضاري للعدل مجموعة من المقومات التي تعمل على تقوية المجتمع وهي:

1- الاستقرار السياسي: العدل أساس الحكم، فإذا شعر الناس بأن حقوقهم مصونة وأن القرارات والقوانين تطبَّق على الجميع بلا تمييز، يزداد احترامهم للدولة ورضاهم عن قيادتها, وهذا يحدّ من الظلم والفساد، ويمنع نشوء الثورات والاضطرابات الداخلية, لذلك نرى أن الدول التي يسودها العدل تكون أكثر استقراراً وأطول عمراً، بينما الظلم يولِّد الفوضى ويؤدي إلى انهيار الكيانات السياسية مهما بلغت قوتها.

2- الازدهار الاقتصادي: العدل يخلق بيئة آمنة للاستثمار والعمل والإنتاج، لأنه يضمن حماية الملكية الفردية ويشجع على التنافس الشريف, كما أنه يمنع الاحتكار

[1] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 331.
[2] - ينظر: مبادئ السلام والبراءة في القانون الدولي الإسلامي, فاضل المالكي, 44-46.

والاستغلال ويُتيح فرصاً متكافئة للجميع, هذا يفتح الباب أمام الإبداع والتطور الصناعي والتجاري، فينمو الاقتصاد وتزدهر الأسواق, وفي المقابل، الظلم يؤدي إلى الفقر والتراجع الاقتصادي لأن الناس يفقدون الحافز للعمل عندما لا يجنون ثمار جهدهم.

3. التماسك الاجتماعي: حين يُطبق العدل، يشعر كل فرد أنه جزء محترم من المجتمع، وأنه لا يُظلم بسبب طبقته أو عِرقه أو مذهبه, هذا يزرع الثقة المتبادلة ويعزز قيم التعاون والتكافل, أما الظلم فيزرع الأحقاد والانقسامات التي تهدد وحدة المجتمع وتماسكه.

تقليل الجرائم وزيادة روابط التكافل الاجتماعي ينشر الثقة بين الدولة والمجتمع[1].

وبالتالي يتضح لنا محورية العدل في القران الكريم, وكيف أنه يعد معياراً مهماً رئيساً من معايير التطور والتقدم التي اقرها القران الكريم ودعا الأمم عموما والأمة الإسلامية على الخصوص إلى لزوم اعتماده كي تحضى البلاد والعباد على مقومات السعادة والرفاهية.

[1] - ينظر: القران والعقل الحداثي, روح الله الموسوي, 84- 90.

المبحث الثاني: معايير التقدم والتطور الاجتماعية في القران الكريم:

يمثل البُعد الاجتماعي حجر الأساس في بناء المجتمعات المتقدمة، إذ يؤثر بصورة مباشرة على استقرارها وتطورها، ويعكس مدى تماسكها وقدرتها على مواجهة التحديات, وفي القرآن الكريم، نجد تشريعات وتعاليم غنية تهدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والرحمة، والتكافل، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك ومتطور[1].

ويركز هذا المبحث على دراسة معايير التقدم والتطور الاجتماعية التي نص عليها القرآن الكريم، من خلال استعراض النصوص التي تناولت الأسرة، حقوق الأفراد، والعدالة الاجتماعية، ودور التكافل، وأهمية الحفاظ على الروابط الاجتماعية, كما يسلط الضوء على الآليات التي يدعو إليها الإسلام لتحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة، والتي تمثل ركيزة أساسية للتقدم الحقيقي في أي مجتمع.

يهدف المبحث إلى فهم كيف ساهمت هذه المعايير في بناء مجتمع إسلامي متين قادر على التقدم والتطور، من خلال تعزيز قيم التضامن، الاحترام المتبادل، والتكافل بين أفراده، الأمر الذي يعكس رؤية شاملة ومتوازنة للتنمية الاجتماعية في الإسلام.

وسيسلط البحث الضوء على المعايير الاجتماعية من منظور قراني، مع بيان أهميتها ودورها في بناء مجتمع متماسك ومتقدم، مستندين في ذلك إلى آيات القرآن الكريم ، والتفاسير المعتبرة, وكذلك إلى آراء العلماء والمفكرين في هذا المجال, وذلك من خلال المطالب الآتية:

[1] - ينظر: كتاب التكامل الاجتماعي للإنسان , سلسلة تراث واثأر الشهيد مرتضى مطهري, 335-337.

المطلب الأول: معيار التعاون والتكافل الاجتماعي في القرآن الكريم:

التعاون والتكافل ليسا مجرد فضائل أخلاقية، إنما هما أسسٌ لتماسك المجتمع وضمان عدالة توزيع الموارد، مما يُحفز الإنتاج ويُقلل الفقر، وهو ما يُسهم مباشرةً في التقدم الحضاري, فيشكل التعاون والتكافل الاجتماعي أساساً جوهرياً في بناء مجتمع متماسك ومستقر، ويؤدي دوراً محورياً في دفع عجلة التنمية والتقدم في الإسلام، فليس التعاون مجرد فعل إنساني عابر، إنما هو مبدأ إيماني راسخ يربط بين الفرد والمجتمع، ويدعو إلى التضامن والمساندة في الخير والبر, ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة أن يكون هذا التعاون موجهاً نحو تحقيق المصلحة العامة، والابتعاد عن كل ما يسبب التفرقة أو الظلم[1].

إن دراسة مفهوم التعاون والتكافل الاجتماعي في ضوء المعايير القرآنية تعطي صورة واضحة عن أهمية هذه القيم في تحقيق التنمية الشاملة، والاستقرار المجتمعي، والعدالة الاجتماعية, كما أنها تعزز الشعور بالمسؤولية المشتركة بين الأفراد، وتخلق بيئة ملائمة لنمو الأفراد والمجتمع على حد سواء.

ويمكن بيان المطلب من خلال النقاط التالية.

أولاً: آيات تُؤسس لمبدأ التعاون والتكافل:

1. الأمر بالتعاون على البر:

قال تعالى: (...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...) (المائدة:2), يذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: " المعنى واضح، وهذا أساس السنة الإسلامية، وقد فسر الله سبحانه البر في كلامه بالايمان والاحسان في العبادات والمعاملات،... والتقوى مراقبة أمر الله ونهيه، فيعود معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الايمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان، ويقابله التعاون على الاثم الذي هو العمل السيئ

1- ينظر: الدين والحضارة, مجموعة باحثين, إعداد محمد حسين كياني, 89-90.

المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الامن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم".[1]

كما أن الآية تحث على المشاركة في الأعمال الصالحة، وتحذر من الوقوع في المعاصي التي تفرق الجماعة, والأمر بالتعاون يشمل كل مجالات الخير (التعليم، الصحة، البنية التحتية), والنهي عن التعاون على الإثم يمنع الفساد الذي يُعيق التنمية.

فهذه الآية تضع إطاراً واضحاً للتعاون الاجتماعي، إذ لا يكون مجرد تفاعل إنساني إنما يرتبط بقيم إيمانية وأخلاقية, وهذا التوجيه يضمن بناء مجتمع قادر على الصمود أمام التحديات، ويمنع الاستغلال أو الانحراف الذي يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي[2].

2. حقوق الفقراء في أموال الأغنياء (الخمس والزكاة):

الخمس والزكاة هي فريضة مالية في الإسلام فرضت على المسلمين، وتُعّد من أركان الإسلام الخمسة، وتهدف إلى تطهير المال وزيادته, جاء ذكرها في القرآن الكريم في العديد من الآيات، مثل قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ) (البقرة: 110).

وفي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج: 24-25).

وقوله تعالى: (وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات:19).

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القران, العلامة الطباطبائي، 5/ 94.

[2] - ينظر: منهج القران الكريم في إصلاح المجتمع, د محمد السيد يوسف, 233.

و(الحق المعلوم) يشمل الزكاة المفروضة والصدقات التطوعية, وهو ضمان حقوق المحرومين ويُحقق الاستقرار الاقتصادي[1], ومن خلال الآيات السابقة يمكن بيان أثر الزكاة في التكافل الاجتماعي على النحو التالي:

أ- تقليل الفجوة الاجتماعية: الزكاة تساهم في تقليص الفوارق الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء، مما يعزز العدالة الاجتماعية, فهي تعمل على توجيه جزء من مال الأغنياء إلى الفقراء والمحتاجين، مما يسهم في رفع مستواهم المعيشي.

ب- تعزيز التضامن الاجتماعي: تُعّد الزكاة وسيلة لتعزيز الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، إذ يشعر الفقراء والمحتاجون أن لديهم حقًا في مال الأغنياء، مما يساهم في تعزيز روح التضامن والوحدة بين الجميع.

ج- تحقيق العدالة الاقتصادية: الزكاة تساهم في معالجة المشاكل الاقتصادية مثل البطالة والفقر، وتعمل على دعم المحتاجين وتوفير احتياجاتهم الأساسية من طعام وكساء وتعليم، مما يعزز التكافل الاقتصادي بين أفراد المجتمع.

د- إزالة الحسد والتفاخر: الزكاة تساهم في إزالة مشاعر الحسد والتفاخر بين الأفراد، إذ يشعر الأغنياء بأهمية مساعدة الفقراء من خلال الزكاة، وهو ما يعزز من روح الأخوة والمساواة في المجتمع.

فالزكاة تُعّد من أهم أدوات التكافل الاجتماعي في الإسلام، وهي وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين مختلف الطبقات الاجتماعية[2].

3. ذمُّ مانعي العون عن الضعفاء:

في قوله تعالى: (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (الماعون: 2-3).

فإهمال اليتيم وعدم توفير الرعاية له يعكس انعدام الشعور بالمسؤولية تجاه الأفراد الضعفاء في المجتمع, فعندما يفقد اليتيم الرعاية، يواجه العديد من التحديات التي قد

[1] - ينظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي, محمود نعمة الجياشي, 336-339.
[2] - ينظر: الميزان في تفسير القران, العلامة الطباطبائي، 9/ 400-403.

تؤثر في تطوره الشخصي والاجتماعي, وهذا يُظهر تجاهلاً لواجبات الفرد تجاه المجتمع، إذ لا يعمل على توفير وسائل الإغاثة للفقراء, وعدم وجود دعوة للآخرين للمساهمة في دعم الفقراء والمساكين يُعد إضعافًا للروح الجماعية ويدل على انعدام الاهتمام بمصلحة المجتمع ككل, كما إن إهمال حقوق الفقراء والمحتاجين يؤدي إلى تزايد الهوة بين الطبقات الاجتماعية, وهذا الفارق يُولد مشاعر من الاستياء، والغضب، وحتى الكراهية بين الأفراد، مما يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي, فإهمال التكافل يؤدي إلى تفكك المجتمع وانتشار الجريمة.

كما أن الإهمال يعزز الفردية ويسهم في ظهور التباين الطبقي في المجتمع، حيث لا تجد الطبقات الفقيرة أي دعم من الأغنياء، مما يُفاقم مشاعر العزلة والفقر.

ومن الناحية النفسية، يؤدي الإهمال إلى انعدام الثقة بين الأفراد، إذ يشعر الأضعف بأنهم مهملون وغير مهمين، مما يؤثر في تماسك المجتمع.

ونجد الاهتمام بالتكافل الاجتماعي في السيرة النبوية واضحا من خلال دعم الفقراء وإرساء المجتمع على أساس المواطنة.[1]

4. الإيثار:

قال تعالى: (...وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...) (الحشر: 9).

هذه الآية تصف السلوك المثالي للأنصار، الذين آثروا إخوانهم من المهاجرين رغم حاجتهم، كمثال حي على أسمى صور التكافل الاجتماعي[2], فالتكافل الحقيقي يتجاوز الفائض المادي إلى مشاركة الأساسيات, ويعني أن التضامن بين أفراد المجتمع لا يقتصر فقط على توزيع الزائد عن حاجة الأغنياء، إنما يمتد إلى مشاركة الاحتياجات الأساسية من أموالهم وأملاكهم التي تضمن حياة كريمة للجميع ولو لم تكن من فائض المال او الزائد عن الحاجة وحتى التي تعُد من احتياجاتهم الخاصة قد يضحون بها في سبيل الفقراء, ولو لم يجدوا هم لأنفسهم مثلها، مثل الطعام،

[1] - ينظر: السيرة النبوية, ابن هشام, 2/ 147.
[2] - ينظر:مجمع البيان، الطبرسي, 10/ 190.

والمأوى, فالفكرة هي أن المجتمع لا يكتفي بمساعدة الفقراء بما يزيد عن حاجتهم، بل يحرص على توفير احتياجاتهم الضرورية ليعيشوا حياة مستدامة، وبالتالي يتم تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية, فهذا وان لم يكن واجب لكنه أسمى صور العطاء[1].

ثانيًا: تطبيقات التكافل في قصص القرآن:

ويتبين من خلال الآتي:

1. قصة أهل المدينة مع موسى (عليه السلام):

(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) (القصص: 20).

في هذه الآية إشارة واضحة إلى أهمية التعاون بين أفراد المجتمع لإنقاذ المظلومين (كإنقاذ النبي موسى عليه السلام) فهو من متطلبات التكافل الاجتماعي , لما له من اثر في زرع الثقة الاطمئنان بين إفراد المجتمع وزرع روح التعاون ضد الظالمين ونبذ التفرقة والصراعات الداخلية مما يسهم بصورة مباشرة في دعم المجتمع ورفع مستواه الأمني, وفي متشابه القران لابن شهر اشوب إن الذي حذر موسى في هذه الآية كان ابن عمه (خربيل)[2].

2. في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم:

قال تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) (القلم: 17).

أشار القران الكريم في هذه الآية إلى قصة مهمة وهي قصة أصحاب الجنة التي ذكرها كإشارة إلى عقوبة من يمنعون حقوق الفقراء فبعد ان كانت لهم جنة بتعبير القران – بستان كبير ملئ بمختلف الأصناف من الأشجار والفواكه- لكنهم منعوا حقوق الفقراء من أموالهم فأرسل الله عليهم النار لتحرق بستانهم كعقوبة لهم لمنعهم حقوق الفقراء, فتعد هذه الآية دعوة مباشرة إلى ضرورة التعاون والتكافل

[1]- ينظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي, محمود نعمة الجياشي, 258-259.

[2] - ينظر: متشابه القرآن و مختلفه ,ابن شهر آشوب, 61/2.

الاجتماعي بين إفراد المجتمع وضرورة مساعدة الأغنياء للفقراء من أموالهم الخاصة, فالقران الكريم ركّز على أساس إصلاح المجتمع من خلال التكافل والتوازن الاجتماعي[1].

3. في قصة نبي الله شعيب مع قومه:

قال تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الأعراف: 85).

فالعدل في المعاملات التجارية جزء من التكافل الاجتماعي والقرآن الكريم يؤكد على أهمية العدل والنزاهة في المعاملات التجارية، ويحث على عدم التلاعب أو الظلم في حقوق الآخرين, وهذا المبدأ يُعّد جزءاً أساسياً من التكافل الاجتماعي، إذ يضمن أن يحصل كل فرد على حقوقه بصورة عادلة؛ لان التكافل الاجتماعي يتطلب من الأفراد الالتزام بالعدالة في المعاملات، فعدم بخس حقوق الناس في التجارة يعزز التوازن الاجتماعي ويساهم في تعزيز الثقة بين الأفراد, من خلال الحفاظ على العدالة، يتم تقليل التفاوت الاقتصادي ويُضمن استقرار المجتمع وتماسكه,[2]

ثالثًا: التكافل في القرآن مقارنة مع النظم الاجتماعية الحديثة:

أ- التكافل القرآني:

[1] - نظرية الإصلاح من القران الكريم, د. إحسان الأمين, 154.

[2] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 331.

- يقوم على مفهوم "الأخوة الإيمانية" قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...) (الحجرات: 10), أن هذه الآية تؤكد أن رابطة الإيمان تقضي على الفروق الطبقية والاجتماعية، وتُرسخ أسس التكافل والمساواة[1].

- يشمل الجانب المادي (كالصدقات والزكاة): القرآن الكريم حثّ على الإنفاق في سبيل الله، سواء بالزكاة المفروضة أو بالصدقات التطوعية, فالزكاة تضمن إعادة توزيع الثروة بما يرفع مستوى الفقراء ويقلل الفوارق الطبقية، والصدقات تعكس روح الإحسان والإيثار، فتسدّ حاجات المحتاجين وتشيع البركة في الأموال والجانب المعنوي فلم يقتصر التكافل القرآني على المال فقط، بل امتد إلى الرعاية المعنوية والاجتماعية, فالقرآن أولى عناية خاصة باليتيم، فدعا إلى إكرامه وحفظ ماله وصيانة كرامته، لما في ذلك من حماية للنفوس الضعيفة, كما أشار إلى برّ الوالدين والإحسان إليهما في الكِبر، وأكد على رعاية العاجزين وذوي الاحتياجات الخاصة بما يحفظ لهم مكانتهم وكرامتهم داخل المجتمع.

ومبدأ الأخوة الإيمانية هو دعامة رئيسة في صيانة الوحدة الاجتماعية، وهو أساس للتضامن الذي يعزز من قدرة المجتمع على مواجهة المشكلات المشتركة، ويحد من النزاعات الداخلية.

ب- النظم الحديثة:

- تعتمد على الضرائب الحكومية دون بُعدٍ أخلاقي.
- قد تفتقر إلى التكافل الروحي (تفتقر للمشاريع الخيرية).

رابعًا: معايير تفعيل التكافل في المجتمع من القرآن:

1- تشريع الزكاة كحقٍّ واجب:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) (التوبة: 103).

[1] - ينظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور,عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي , 65/4.

جاء في تفسير الصافي " تخلف جماعة من الصحابة عن بعض الغزوات لإصلاح أموالهم ثم ندموا على ذلك فجاءوا بأموالهم إلى النبي (صلى الله عليه واله) بعد قدومه و قالوا هذه أموالنا التي تخلفنا لإصلاحها خذها و تصدق بها و طهرنا من الذنوب فقال النبي ص(صلى الله عليه واله) ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت (خذ من أموالهم) فأخذ منهم الزكاة المقررة شرعا (تطهرهم) أي الصدقة أو أنت (و تزكيهم) تأكيد أو تنمي أموالهم (و صل عليهم) ادع لهم لتسكن نفوسهم و تطيب قلوبهم بقبول صدقتهم و لا ينفقونها قيد الكنز بعدم الإنفاق لئلا يعم من جمع للإنفاق أو بعد إخراج الحقوق"[1], فتشريع الزكاة حق واجب على جميع المسلمين المتمكنين ماديا, يعكس اهتمام الرسالة الإسلامية بالتكافل الاجتماعي .

2- تشجيع الصدقة التطوعية:

(مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـعفهُ لَهُ) (البقرة: 245)؛ (الحديد: 11).

تؤكد هذه الآية إن التكافل ودعم الفقراء يعتبر قرض لله سبحانه وتعالى ويرزق الله سبحانه عبده إضعافا عن الصدقات التي يعطيها في سبيله.

3- كراهة كنز الأموال:

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا...) (التوبة: 34).

تؤكد الآية بصورة مباشرة على كراهة كنز الأموال والذهب والفضة إنما يحرم كنزها بدون إعطاء الحق الشرعي منها (الخمس والزكاة), مما يشير إلى ضرورة التكافل الاجتماعي.

خامسًا: آثار التكافل على التقدم الحضاري:

قال تعالى :(فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتيماً ذا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكيناً ذا مَتْرَبَةٍ) (البلد: 13-16).

[1] - تفسير الصافي, الفيض الكاشاني, 10 / 32.

أن هذه الآيات تحدد صور البر الاجتماعي في الإسلام، والتي تشمل تحرير الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين في الأيام الصعبة، تعبيرًا عن التكافل الحقيقي[1].

وتعكس هذه الآيات فلسفة اجتماعية تقوم على الشمولية والرحمة، إذ لا يترك أحد في المجتمع خارج دائرة الدعم والرعاية، وهو أساس التوازن والاستقرار الاجتماعي, ويشرح العلامة البروجردي في حاشية الكفاية أن هذا الفعل يعكس تعاطفًا جماعيًا راسخًا يتجاوز الأنانية، ويُظهر أسمى معاني الإيثار[2].

ويمكن تلخيص اثأر التكافل الاجتماعي بحسب تأثيرها على العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكما يأتي[3]:

- اقتصاديًا:

يقلل التكافل الاجتماعي الفقر ويُحفز الاستهلاك، مما يُنعش السوق في البلاد الإسلامية ويقضي على البطالة من خلال مساعدة الفقراء في إيجاد فرص عمل للكسب والعيش الكريم.

- اجتماعيًا:

يُعزز التكافل الاجتماعي التماسك الأسري ويُقلل الجرائم في المجتمع (كالسرقة) , ويسهم في بناء مجتمع واعٍ, مستقر, ومتعاون من خلال تبادل الخبرات والمنفعة العامة ودعم مختلف مكونات الواحد لبعضهم البعض.

- سياسيًا:

يُجنب التكافل الاجتماعي الثورات الناتجة عن التفاوت الطبقي, التي يمكن ان تحدث بسبب الفقر والعوز والحرمان للفئات الفقيرة في المجتمع, ان لم تحصل على دعم ومساعدة من باقي فئات المجتمع الأعلى والأكثر مورد مالي.

سادسًا: التطبيقات المعاصرة للتكافل الاجتماعي:

[1] - ينظر: بحار الأنوار، المجلسي 23/ 240.

[2] - ينظر:حاشية الكفاية، اقا حسين الطباطبائي البروجردي, 2/ 180.

[3] - ينظر: التكافل الاجتماعي في القران الكريم, د. ربيع الروبي, 9-13.

يتمثل التكافل الاجتماعي بالإضافة لما سبق بعدة صور ووجوه في عصرنا الحالي بسبب تطور التكنولوجيا وتوفر الانترنت والبرامج المختلفة, فأصبح بالإمكان دعم الفقراء والمحتاجين بطرق حديثة أسهل ومنها:

1- صناديق الزكاة:

وتتوفر هذه الصناديق في اغلب الأماكن العامة الأسواق والجوامع والحسينيات والمدارس والدوائر الحكومية فتوضع بها الصدقات ويمكن من خلالها تسهيل توزيع الأموال على الفئات المستحقة (كالأيتام، المرضى) .

2- التطبيقات الالكترونية:

تتوفر عدة تطبيقات الكترونية حديثة (مثل تطبيق مؤسسة العين), إذ تسهم في جمع التبرعات من خلال طرق الدفع الالكترونية الحديثة واستعمالها في الوقف الخيري مثل بناء المدارس, والمستشفيات, ومساعدة المحتاجين, ومن هنا يتأكد للبحث إن خارطة الطريق الاقتصادية التي وضعها القران الكريم, ودعا الناس إلى ضرورة الأخذ بها, لتكون معياراً مهماً من معايير التقدم والتطور من خلال إتباع الآليات التي مرّ ذكرها من اجل تحقيق التعاون والتضامن والتكاتف والتكافل بين أبناء المجتمع الواحد.

المطلب الثاني: معيار القدوة الحسنة في القرآن الكريم

يُعد معيار القدوة الحسنة من الركائز الأساسية التي يرتكز عليها بناء المجتمع القويم والمتقدم، فهو يشكل الرابط الحي بين القيم النظرية التي يقرّها الدين وبين, الممارسة العملية التي تُحدث التغيير في الواقع الاجتماعي, فالقرآن الكريم يقدم نماذج من الأنبياء والصالحين كقدوة يُحتذى بها، ليس فقط في الالتزام بالعبادات، إنما في الأخلاق، والسلوك، والتفاعل مع المجتمع، والتحديات التي تواجه الفرد والمجتمع.

والقدوة الحسنة تمثل أداة تربوية فعالة في توجيه الأفراد نحو السلوك الإيجابي والتخلص من الظواهر السلبية التي تعيق النمو والتطور, إن حضور هذه النماذج في النص القرآني يجعلها معيارًا حيًا يمكن من خلاله قياس مدى التزام المجتمع بالقيم التي تؤدي إلى بناء حضارة مزدهرة[1].

وفي ضوء ذلك، فإن دراسة معيار القدوة الحسنة في القرآن الكريم تكشف عن الأبعاد المتعددة لهذه القيمة، إذ تتداخل الجوانب العقائدية، والأخلاقية، والاجتماعية لتشكل منهجًا متكاملاً يسهم في دفع المجتمع نحو التقدم والرقي, كما أن استعراض نماذج القدوة الصالحة يزود الباحث بمرجعية واضحة لفهم كيفية الاستفادة منها في مختلف السياقات المعاصرة.

من هنا، يهدف هذا المطلب إلى بيان مفهوم القدوة الحسنة في القرآن الكريم، وتسليط الضوء على دورها الفعّال في إحداث التغيير الإيجابي في الفرد والمجتمع، مع استعراض أبرز النماذج القرآنية التي تجسد هذه القيمة، مستندين في ذلك إلى النصوص القرآنية والتفسيرات المعتمدة في مذاهب الفريقين.

أولا- شواهد قرآنية للقدوة الحسنة في القران الكريم:

ذكر القران الكريم نماذج للقدوة الحسنة , يجب الاقتداء بهم لبناء مجتمع قراني متقدم فهم القدوة الحسنة والتي تُعّد احد معايير التقدم والتطور في المجتمعات, ولابد للبحث من المرور على بعض هذه الشخصيات الأخلاقية:

[1] - ينظر: الإسلام وتجديد الحياة المعنوية في المجتمع, جواد سعيد الطهراني, 251.

1- الأنبياء لاسيما خاتمهم سيد الخلق والمرسلين النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) :

ويكفي شرفاً للرّسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) ، أنّ الله تعالى وصفه في القرآن الكريم بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤).

فكانت أخلاقه نموذجًا للتسامح والعدل، حتى مع الأعداء.

وأنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لخّص رسالته في قوله: (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1], وذلك لما في ظلال الأخلاق من حياة كريمة، وراحة وجدان، وسعادة أبدية[2].

والخلق العظيم للنبي كان سببًا رئيساً في قبوله كقدوة، إذ أن التقدم الحقيقي للمجتمعات لا يتحقق فقط من خلال التشريعات والقوانين، إنما من خلال تعزيز الأخلاق الحميدة في أوساط الناس، فالأخلاق تصنع ثقافة العمل الصالح والتعاون بين أفراد المجتمع.

قال تعالى:(لقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: 21)

إذ تُبرز هذه الآية أن الاقتداء بالرسول ليس مجرد نموذج نظري، إنما هو نموذج عملي شامل، متكامل الأبعاد، يمكن أن يشكل قاعدة لبناء مجتمع متقدم، إذ تتكامل الأخلاق مع العمل والاجتهاد، ويتحول كل فرد إلى عنصر فعال في تقدم مجتمعه.

ويوضح الكاشاني (ت:1091 هـ) أن الأسوة الحسنة تشمل كل تفاصيل حياة الرسول من عبادته، خلقه، معاملته للناس، وتعامله مع الشدائد، وهذه النماذج يمكن أن تكون مرجعًا لتطور المجتمعات من خلال الاقتداء به[3].

كما أن الاقتداء بالرسول يشمل الأخلاق العملية، وهو السبيل لتحقيق التقدم والرقي في حياة الفرد والمجتمع[4].

---

[1] - مستدرك الوسائل, ميرزا حسين النوري, ب 6 , ح 12701, 11 /187.

[2] - ينظر: من أخلاق العلماء - للسيد محمد الشيرازي , 1 / 1.

[3] - ينظر: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني, 1/ 46.

[4] -ينظر: تفسير القرطبي، القرطبي, 21/415-420.

ويصف الطباطبائي خلق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخُلُق العظيم، ويؤكد أن هذا الخلق هو أساس قدوته في التأثير على الناس وبناء مجتمع قوي ومتطور[1].

كما كان الأنبياء السابقين(عليهم السلام) كلهم قدوة في مجتمعاتهم وقومهم قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه...) (الممتحنة:4), وقوله تعالى:(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر) (الممتحنة: 6).

إذ تشير هاتان الآيتان بوضوح إلى ضرورة الاقتداء بالأسوة –القدوة- الحسنة في المجتمع لأهمية القدوة, فهي معيار للحسن والقبح وهي معيار للإيمان والإعمال الصالحة والاقتداء بالقدوة يساعد المجتمع على الرفعة والتكامل؛ لأنه يرسم لهم الطريق الواضح والسهل نحو التكامل مما يساعد في بناء المجتمع المثالي.

والنبي يوسف (عليه السلام): تحلَّى بالعفة والأمانة كما في قوله تعالى بلسان نبي الله يوسف (عليه السلام) : (...مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٣- 24).

ففي هذه الآية يبين لنا الله سبحانه وتعالى عظيم أخلاق نبيه يوسف (عليه السلام), إذ بعد أن اتخذت زوجة العزيز كل ما يلزم للحصول على رغبتها منه أجابها قائلا: (إنه ربى أحسن مثواى), يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في أهله؟, وفي نفس الوقت أن سيده الحق الله جل جلاله قد أحسن مثواه بما سخّر له فكيف يخونه فيما حرم عليه, وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثان, فالظلم بِوَضْع الشيء في غير موضعه

[1] - ينظر:الميزان في تفسير القران، العلامة الطباطبائي, 25/ 275-277.

يخيب في سعيه ويخسر في دنياه وأُخراه فكيف أرضى لنفسي ولَكَ بذَلك, فكانت أخلاقه سببًا في رفعته وتوليته خزائن الأرض[1].

ويبين ابن كثير أن هذه الآية تُبرّز أهم سمة في شخصية الأنبياء، وهي الأخلاق الفاضلة، التي تُلهم الناس للاقتداء بها وتطبيقها، مما يؤدي إلى مجتمع متحضر ومتماسك[2].

2- الأئمة ألاثني عشر (عليهم السلام) : وأولهم الإمام علي (عليه السلام) أفضل الناس خلقاً بعد رسول الله بشهادة النبي (صلى الله عليه واله وسلم): جاء في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : "و سألته عن الإمامة فيمن تجب و ما علامة من تجب له الإمامة فقال: إن الدليل على ذلك و الحجة على المؤمنين و القائم بأمور المسلمين و الناطق بالقرآن و العالم بالأحكام أخو نبي الله و خليفته على أمته و وصيه عليهم و وليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى المفروض الطاعة بقول الله عز و جل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم) (المائدة. 59), الموصوف بقوله عز و جل: (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون) (المائدة:55), و المدعو إليه بالولاية المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) عن الله عز وجل ألست أولى بكم منكم بأنفسكم قالوا: بلى, قال: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أعن من أعانه علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين و أفضل الوصيين و خير الخلق أجمعين بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) و بعده الحسن بن علي ثم الحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) و ابنا خيرة النسوان أجمعين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن

[1] - ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير,جابر بن موسى الجزائري, 2 /205.
[2]- ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير، 7/ 55-57.

بن علي ثم محمد بن الحسن ع إلى يومنا هذا واحدا بعد واحد و هم عترة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) المعروفون بالوصية و الإمامة لا تخلو الأرض من حجة منهم في كل عصر و زمان و في كل وقت و أوان و هم العروة الوثقى و أئمة الهدى و الحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و كل من خالفهم ضال مضل تارك للحق و الهدى وهم المعبرون عن القرآن و الناطقون عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر وطول السجود وقيام الليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة و حسن الجوار)"[1], والإمام الحسين (عليه السلام) كان مثالا للقدوة الحسنة في رفض الظلم والطغيان ومحاربة الباطل, فضحى بنفسه وأهل بيته من اجل حفظ الدين, وهؤلاء كلهم أئمة الهدى وقادة الأمة هم كلهم نماذج حقه للأخلاق الفاضلة التي يبنى عليها المجتمع, فكل الأئمة (عليهم السلام) مثالاً للقدوة الحسنة وكل في زمانه وظروفه التي عاشها تمثيلاً دقيقاً للقدوة الحسنة.

ثانيا:عدم اقتصار القدوة على الرجال:

القدوة الحسنة لا تقتصر على الرجال فقط، إنما تشمل جميع فئات المجتمع، فالمرأة تلعب دورًا حيويًا في غرس القيم في الأسرة والمجتمع, فالتربية الأخلاقية والتربوية التي تنطلق من القدوة الحسنة تخلق مجتمعًا متكاملاً يضمن الاستقرار والتقدم, ويقدم القرآن الكريم نماذج نسائية خالدة كانت قدوة في الإيمان، والحكمة، والقوة، والعطاء، ساهمن بشكل مباشر أو غير مباشر في دفع عجلة التقدم الإنساني والاجتماعي, ومن أبرز هذه النماذج:

1- آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون

[1]- عيون أخبار الرضا عليه السلام, محمد بن علي بن بابويه القمي, 1 /54- 55.

ذُكرت قصتها في سياق ضرب المثل للذين آمنوا في سورة التحريم: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءآمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (التحريم:11), أن المثل المضروب في آسيا هو لأعلى درجات الإيمان والثبات, فمع كونها في قصر أعظم طاغية على الأرض (فرعون)، وتحت أعين جنوده وجلاوزته، لم تستسلم للبيئة الفاسدة من حولها، بل حافظت على إيمانها وطهارتها وعقيدتها، ورفضت كل مظاهر الباطل والترف الفاسد، وطلبت بيتًا في الجنة، وهو طلب يدل على علو همتها وسمو روحها وتطلعها إلى دار الخلد والنعيم، لا إلى متاع الدنيا الزائل, جاء في تفسير الصافي: " ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون و مثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسيا و منزلتها عند الله مع انها كانت تحت أعدا اعداء الله إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة و نجني من فرعون و عمله من نفسه الخبيثة و عمله السيء و نجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم"[1], فإيمانها الراسخ كان سببًا في حفظ نبي الله موسى (ع) وهو طفل، مما كان له الأثر الأكبر في تغيير مجرى التاريخ وإنقاذ بني إسرائيل من الظلم، وهذا أعظم إسهام في التقدم الحضاري والإنساني, فتقدم آسيا بنت مزاحم درسًا في أن التقدم الحقيقي يبدأ بمقاومة الفساد والظلم، وان كان في أعلى سلطة في البلاد, فالتقدم يحتاج إلى شجاعة وإيمان.

2- بلقيس ملكة سبأ

في قوله تعالى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي

[1] - تفسير الصافي , الفيض الكاشاني, 5 / 198.

فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ) (النمل:29-32), (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل: 44).

جاء في تفسير القمي "قالت إن كان هذا نبيا من عند الله كما يدعي فلا طاقة لنا به فإن الله لا يغلب و لكن سأبعث إليه بهدية فإن كان ملكا يميل إلى الدنيا قبلها و علمنا أنه لا يقدر علينا فبعثت إليه حقه فيها جوهرة عظيمة و قالت للرسول قل له يثقب هذه الجوهر بلا حديد و لا نار فأتاه الرسول بذلك فأمر سليمان بعض جنوده من الديدان فأخذ خيطا في فمه ثم ثقبها و أخرج الخيط من الجانب الآخر و قال سليمان لرسولها فما (آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها) أي لا طاقة لهم بها و لنخرجنهم منها أذلة و هم صاغرون, فرجع إليها الرسول فأخبرها بذلك و بقوة سليمان فعلمت أنه لا محيص لها فارتحلت نحو سليمان"[1], يمكن ان نفد من الاية وتفسيرها انها كانت ملكة حكيمة، تستشير قومها في الأمور المهمة، ولا تستبد برأيها، مما يدل على حنكتها السياسية وإدارتها الرشيدة لملكها, ولم تتسرع في رد الفعل على تهديد سليمان υ، بل أرسلت له الهدية لتفحص نواياه، فإذا كان طامعاً في المال قبلها، وإذا كان نبياً رفضها, وهذا منهج عقلاني في تحليل المواقف وإدارة الأزمات, وعندما أيقنت أن معجزة نبي الله سليمان υ هي من عند الله تعالى، لم تتردد في الإيمان والاستسلام لله، معترفة بظلمها السابق لنفسها بالشرك, وهذا يدل على تواضعها العظيم وشجاعتها في الاعتراف بالخطأ واتباع الحق.

3- مريم بنت عمران (عليها السلام)

[1] - تفسير القمي، 2 / 128.

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: 42) جاء في تفسير الصافي" كلموها شفاها لأنها كانت محدثة تحدثهم و يحدثونها قبل الاصطفاء الأول تقبلها من أمها و لم تقبل قبلها أنثى و تفريغها للعبادة و اغناؤها برزق الجنة عن الكسب و تطهيرها عما يستقذر من النساء و الثاني هدايتها و إرسال الملائكة اليها و تخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب و تبرأتها عما قذفته اليهود بإنطاق الطفل و جعلها و ابنها آية للعالمين"[1], فقدمت السيدة مريم العذراء أنموذجاً فريداً في الصبر على المحن والثبات في مواجهة الشبهات والاتهامات الجائرة, فالتقدم الحضاري يحتاج إلى أفراد يتمتعون بقوة نفسية وصبر على تحقيق الأهداف ومواجهة التحديات.

والقدوة في النساء لا تقتصر على هذه النساء بل هناك الكثير مثل السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) فهي قدوة في علمها وأخلاقها وكرمها وصبرها... والسيدة زينب بنت علي (عليها السلام) كانت قدوة في صبرها بعد مقتل الإمام الحسين تحملت عناء التبليغ وتوضيح المصيبة للناس في خطبها لاسيما في قصر الظالم يزيد.

ومما سبق يتبين لنا إن القدوة الحسنة كما جاءت في القرآن الكريم تمثل المحرك الأساس لأي حركة اجتماعية نحو التقدم، لأنها:

1- توفر أنموذجًا عمليًا وسلوكيًا يُقتدى به.

2- تخلق بيئة إيجابية للتغيير والتطوير.

3- تعزز القيم التي تؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

4- تحفز الاجتهاد والابتكار من خلال الحث على الأخلاق والتقوى.

هذه المميزات تجعل من القدوة الحسنة معيارًا لا غنى عنه في الدراسات الإسلامية التي تتناول التقدم الاجتماعي والحضاري، لأنها تربط بين النصوص المقدسة

[1] - تفسير الصافي, الفيض الكاشاني, 1 / 335.

والواقع العملي، وتوفر إطارًا فكريًا وعلميًا لبناء مجتمع متكامل, خاتمة القول ان وجود القدوة الحسنة في كل مجتمع يشكل حاجة فطرية وملّحة بصورة تغطي حاجات أبناء المجتمع, لذا كان اهتمام القران الكريم في عر ض أمثلة مختلفة ونماذج متعددة من القدوات السماوية نحو من عرض لبعض معايير التقدم والتطور التي تحتاجها المجتمعات البشرية عبر أزمتها.

المطلب الثالث: معيار الإخلاص في القرآن الكريم وأثره في التقدم والتطور:

الإخلاص من القيم الروحية الجوهرية التي يركز عليها القرآن الكريم، فهو جوهر العمل الصالح الذي يميّز بين العبادة الحقة والعمل الظاهري, إذ أن الإخلاص هو النية الصافية التي توجه الإنسان للقيام بواجباته وأعماله بدون رياء أو سمعة، مما يجعل الأفعال مقبولة ومؤثرة في النفس والمجتمع.

وفي سياق التنمية والتقدم، يلعب الإخلاص دورًا محوريًا، إذ أنه يحوّل الأعمال الفردية إلى جهود جماعية متماسكة تخدم الأهداف العليا للمجتمع، ويعزز روح التضحية والجدية في العمل، مما يؤدي إلى بناء مجتمع متطور ومتماسك.

في هذا المطلب، سنبحث مفهوم الإخلاص في القرآن الكريم، مع تحليل دوره في دفع الفرد والمجتمع نحو التقدم، مستندين إلى نصوص قرآنية وتفسيرات معتمدة من تفاسير الفريقين , ونبين كيف يكون الإخلاص، كمعيار أساس في القرآن الكريم، له تأثير عميق على الفرد والمجتمع على حد سواء, ليتجاوز الإخلاص مجرد النية الحسنة في العبادة، فيشتمل جميع جوانب الحياة اليومية من العمل والمعاملات والعلاقات الإنسانية, ويمثّل الإخلاص في الإسلام معيارًا لتحقيق التقدم والتطور، إذ يساهم في بناء مجتمع قوي ومتماسك يتحقق فيه العدل والمساواة، ويُرَسّخ فيه قيم التعاون والتكافل, ويمكن بيان ذلك عبر الاتي:

أولا: مفهوم الإخلاص في القرآن الكريم:

الإخلاص هو النية الصافية التي توجه الأعمال لوجه الله تعالى وحده، بعيدًا عن الرياء أو أي أغراض دنيوية، وهو من أعظم مقامات القلوب وأسمى مراتب العبودية[1], قال تعالى:(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...) (البينة: 5), إذ يوضح العلامة الطباطبائي في تفسيره أن الإخلاص هو النقاء الداخلي للعبد في العبادة، فلا يكون الهدف سوى رضا الله، وهذا شرط لقبول الأعمال وصلاحها[2].

فالإخلاص كما ورد في القرآن الكريم يعني تطهير الأعمال من الرياء والشوائب، وجعل الهدف في جميع الأعمال هو إرضاء الله تعالى, كما يشرح ابن عاشور في تفسير هذه الآية أن الإخلاص هو تجريد العبادة من أي شريك أو غرض، وأنه صفة تّميز الأعمال المقبولة عن غيرها[3].

وهو المفتاح الذي يفتح باب قبول العمل، وهو ما يجعل الجهد الفردي ذا قيمة معنوية وروحية، وبالتالي يتحول إلى طاقة إيجابية تدفع نحو التقدم والرقي، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

ثانيا:أثر الإخلاص في التقدم والتطور:

الإخلاص في العمل يجعل الجهد موجهًا نحو أهداف سامية، بعيدًا عن التشتت والابتذال، وهذا ينعكس على جودة العمل وفاعليته في تحقيق التنمية والتطور.

قال تعالى: (إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: 27).

فالنية الطيبة والجدية في العمل تتحقق عندما يخلص الإنسان في عمله، وتكون نواياه صافية، مما يعزز من قدرة الفرد على تحقيق النجاح في جميع مساعيه, في العمل المهني أو التجاري، فالإخلاص يؤدي إلى تقديم عمل متميز يرتكز على معايير الجودة والاحترافية، وهذا يسهم في تطور المجتمع من خلال تعزيز التنافسية، ورفع

[1]- ينظر: مجمع البحرين , الطريحي, 4 / 109.
[2] - ينظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي, 20/ 190-191.
[3] -ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور, 16/354-355.

مستوى الأداء في المؤسسات المختلفة, فيحوّل الإخلاص كل عمل إلى عبادة ومصدر قوة روحية، فتزداد الفاعلية والإيجابية، مما يسرع مسيرة التقدم والتطور, كما أنه يعزّز من روح المسؤولية والجدية، مما يجعل الأفراد يسعون لتحقيق الأفضل باستمرار, كما يؤكد الصافي في تفسيره أن الإخلاص في العمل يمنح العمل بركته وقوته في التأثير على النفس والمجتمع، وبدونه يظل العمل سطحياً وعديم الجدوى[1].

وفي قوله تعالى: (و إِلاَّ الَّذينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولِئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنينَ أَجْراً عَظيماً) (النساء:146), الآية تربط بين الإخلاص والأجر العظيم، مما يدل على أن الإخلاص يمنح العمل قوة روحية تتجاوز المظاهر الظاهرية، ويعطيه أثرًا دائمًا في حياة الفرد والمجتمع، وبالتالي يسرع من وتيرة التقدم, فالإخلاص في التعامل مع الآخرين يساهم في تعزيز التكافل الاجتماعي، ويضمن رعاية حقوق الأفراد الأكثر حاجة في المجتمع, من خلال الأعمال المخلصة، يستطيع الأفراد أن يساهموا في رفع مستوى الرفاه الاجتماعي، سواء عبر الزكاة، أو التبرعات، أو دعم المحتاجين, وهذا التكافل يُعّد من عوامل التقدم الاجتماعي، إذ يعمل على تقليل الفجوات بين الطبقات الاجتماعية، ويحقق العدالة الاجتماعية,

والطبري يوضح أن المراد هو من يخلص النية لله ورسوله، ويعمل بإخلاص في طاعتهما، فالله يجزيه أجرًا عظيمًا, وهذا يؤكد أن قيمة العمل تعتمد على نيته، أي إخلاصه لله، وهذا يجعل الإخلاص نقطة الانطلاق لأي عمل ناجح وفاعل في المجتمع؛ لأن الأعمال المخلصة تثمر تطورًا حقيقيًا[2], والنبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم)

[1] - ينظر: تفسير الصافي، 4/ 198.

[2] - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير الطبري، 8/ 220-222. طبعة دار الفكر.

مثال للإخلاص كان يعمل بإخلاص عميق في بناء الدولة الإسلامية، سواء في تعامله مع أصحابه، أو في قيادة المعارك، أو في إدارة شؤون المسلمين هذا الإخلاص هو الذي أكسبه محبة الناس وثقتهم، مما جعل المجتمع الإسلامي ينمو ويزدهر بسرعة غير مسبوقة[1].

ثالثا:تأثير الإخلاص في المعاملات التجارية:

المعاملات التجارية هي جزء أساس من التفاعلات الاجتماعية في المجتمع، وعندما تتم هذه المعاملات بالإخلاص، فإنها تضمن العدالة والشفافية, وقد دعا سبحانه في كتابه العزيز إلى أن تكون المعاملات بين الناس قائمة على العدل والصدق، مثل قوله: (وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ) (الأنعام: 152).

والعدالة في المعاملات التجارية تحسن بيئة العمل الاقتصادية، وتمنع الفساد والغش، مما يؤدي إلى زيادة الثقة بين الأفراد والمجتمع، وهو ما يعزز من التقدم الاجتماعي والاقتصادي, وجاء في بحار الأنوار عن الإمام الصادق(عليه السلام): (الإخلاص يجمع حواصل الأعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قل عمله ، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله ، اعتبارا بآدم عليه السلام وإبليس وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع إصابة علم كل حركة وسكون, فالمخلص ذائب روحه بازل مهجته ، في تقويم ما به العلم والأعمال، والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، وإذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد) [2] فأن الإخلاص هو شرط أساسي لنيل الأجر العظيم، وهو القوة الدافعة التي تحفز الإنسان على المثابرة في العمل الصالح.

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القران , العلامة الطباطبائي, 20/ 189.
[2] - بحار الأنوار، العلامة المجلسي, 67 /245.

والإخلاص في العمل كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: 162)، تأكيداً على أن العمل يجب أن يكون خالصًا لله تعالى، مما يعكس تأثير الإخلاص على مختلف جوانب الحياة.

رابعا: الإخلاص في القيادة والإدارة (العدالة في الحكم):

القيادة التي تقوم على الإخلاص تعني العمل لتحقيق مصالح الجماعة وليس لتحقيق مصالح شخصية, فالقائد الذي يتصف بالإخلاص يسعى لتحقيق العدالة، ويأخذ قرارات مبنية على مصلحة الجميع دون تمييز, وفي المجتمع الذي يحكمه القادة المخلصون، ينتشر العدل وتتم محاربة الفساد, وهذا يساهم بصورة كبيرة في تطور المجتمع، إذ يسود فيه الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

قال تعالى: (...وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...) (الأنعام: 152), فالإخلاص في القول والحكم يؤدي إلى إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد المجتمع, ففي القرآن الكريم يُذكر الإخلاص كشرط رئيس لتحقيق العدالة في التعامل مع الآخرين، مما يشير إلى أهمية العدل والإخلاص في جميع المواقف، حتى في الأوقات التي يكون فيها تقديم التفضيل الشخصي أمرًا ممكنًا, والإخلاص في الحكم والتعامل يعني عدم التمييز أو الظلم لأي فرد، ويُحقق المساواة بين الجميع.

والإمام علي (عليه السلام) كان مثالاً للإخلاص في الإدارة والقيادة بعد النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، إذ كان يحرص على أن تكون جميع قراراته ونشاطاته موجهة لخدمة الإسلام والمسلمين وليس لمصالح شخصية، إذ قال (عليه السلام): "(العمل الصالح الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله)"[1] وهذا الإخلاص كان سببًا في نجاح حكمه واستقراره.

جاء في عهد الإمام عليυ إلى مالك الاشتر: " أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد

[1] - الإخلاص والنية, ابن أبي الدنيا , 1 /3.

تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه... وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية, وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك، إقامة فرائضه التي هي له خاصة, فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفِّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ"[1]

فالإخلاص يؤدي إلى إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد المجتمع, وفي القرآن الكريم يُذكر الإخلاص كشرط رئيس لتحقيق العدالة في التعامل مع الآخرين, فالآية السابقة تشير إلى أهمية العدل والإخلاص في جميع المواقف، حتى في الأوقات التي يكون فيها تقديم التفضيل الشخصي أمرًا ممكنًا, وفي الحكم والتعامل يعني عدم التمييز أو الظلم لأي فرد، ويُحقق المساواة بين الجميع, ويُعد من أهم الركائز التي تقوم عليها العدالة، فكلما عمل الإنسان بإخلاص في عمله، كلما ساهم في نشر العدالة والمساواة، مما يعزز من تماسك المجتمع وتقدمه, فالإخلاص هو جوهر العمل الصالح، ومفتاح قبول الأعمال وتأثيرها الحقيقي في الفرد والمجتمع, فهو يمنح الجهود البشرية بعدًا روحيًا يجعلها قادرة على إحداث تغيير عميق ومستدام, في ضوء ذلك، يصبح الإخلاص معيارًا لا غنى عنه في مسيرة التقدم والتطور؛ لأنه يحول الأعمال الظاهرية إلى طاقة إيجابية تبني الإنسان والمجتمع.

ومما سبق ومن خلال دراسة النصوص القرآنية، يتضح أن الإخلاص يعزز من روح المسؤولية، والجدية، والتفاني في العمل، ما ينعكس إيجابيًا على جودة الإنتاج والتفاعل الاجتماعي, وهذا يجعل الإخلاص الأساس في التنمية الشاملة التي يهدف إليها الإسلام[2].

[1] - نهج البلاغة، الشريف الرضي, تحقيق وتصحيح: صبحي الصالح، 426 – 445.
[2] - ينظر: مفاهيم القرآن - العلاّمة جعفر السبحاني, 10 /9.

المبحث الثالث: معايير التقدم والتطور الاقتصادية في القرآن الكريم:

يُعد الاقتصاد من العوامل الحاسمة في تقدم الشعوب وازدهار المجتمعات، وقد أولى القرآن الكريم جانب الاقتصاد اهتمامًا كبيرًا، إذ وضع له معايير واضحة ترشد الفرد والمجتمع إلى استعمال الموارد بما يحقق العدالة والتنمية المستدامة, والتقدم والتطور الاقتصادي في الإسلام ليس هدفًا ماديًا بحتًا، إنما هو جزء لا يتجزأ من منظومة أخلاقية شاملة تهدف إلى بناء مجتمع متوازن مزدهر يسوده التكافل والتعاون[1].

إن الاقتصاد الإسلامي في خطوطه وتفاصيله, وفي مضمونه وشكله, وأهدافه ومنطلقاته, يرتبط ويتفاعل بصورة أو بأخرى مع الصيغة العامة للحياة التي أعدتها الرسالة الإسلامية في تشييد صرح المجتمع الإنساني الصالح, بمعنى إن الاقتصاد الإسلامي –جزء من كل- يتداخل مع سائر أجزاء المنظومة الإسلامية الشاملة للحياة[2].

ويتناول هذا المبحث دراسة المعايير الاقتصادية التي نص عليها القرآن الكريم، من خلال تحليل النصوص القرآنية التي توجه الإنسان إلى العمل والإنتاج، والتجارة وتحظر الربا والاحتكار، وتشجع على الإنفاق في سبيل الله، وتحقيق العدالة في توزيع الثروات, كما سيتم إبراز كيف أسهمت هذه المعايير في ترسيخ قاعدة اقتصادية قوية تسهم في تقدم المجتمعات الإسلامية وتطورها على المستويات المختلفة.

ويستعرض هذا المبحث المفاهيم الاقتصادية القرآنية الأساسية، ويحلل كيفية تطبيقها في الحياة العملية، مع إبراز أثرها في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بما يعزز من مكانة الإنسان وكرامته، ويوفّر بيئة مناسبة للنمو والتقدم المستدام, ويمكن توضيح ذلك من خلال المطالب الآتية:

---

[1] - ينظر: كتاب التكامل الاجتماعي للانسان, سلسلة تراث واثار الشهيد مرتضى مطهري, 353-355.

[2] - ينظر: اقتصادنا, السيد محمد باقر الصدر, 308.

المطلب الأول: العمل والإنتاج (الزراعي-الصناعي) في القرآن الكريم وأثره في التقدم الاقتصادي:

يُعدّ العمل من الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء الاقتصادي في أي مجتمع، وقد أولى القرآن الكريم العمل والإنتاج أهمية كبيرة، وجعل منهما من أسباب الرزق والتمكين في الأرض، مما ينعكس بصورة مباشرة على التقدّم والتطوّر الاقتصادي[1], ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولًا: قيمة العمل في القرآن الكريم:

يظهر في آيات عديدة أن العمل قيمة سامية وجزء من فطرة الإنسان، وهو وسيلة لتحقيق الكفاية والرخاء, في قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة:105), وتتحدث الآية عن العمل الصالح وأثره في حياة الإنسان، وكيف أن الله سبحانه وتعالى يراقب كل عمل يقوم به المؤمنون، وتدعو هذه الآية إلى العمل الجاد والمخلص في سبيل الله, فقوله (وَقُلِ اعْمَلُوا) تشير إلى الدعوة الصريحة للعمل، إذ يأمر الله تعالى عباده بالعمل، وهذا العمل يشمل جميع أنواع الأعمال التي تصب في مصلحة الإنسان والمجتمع، سواء كانت أعمالًا دينية أو دنيوية, والآية تقرّر حقيقة أن أعمال الإنسان مرصودة برقابة ثلاثية مقدسة فالله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه واله) والمؤمنون هم الرقباء الثلاثة على أعمال العباد, الأمر الذي يؤكد ضرورة الاهتمام بالأعمال وتقديمها بأفضل وأنقى صورة, ويشير ذلك إلى أهمية العمل في تحقيق تقدم الإنسان وتطوره في كل جوانب الحياة, وقوله تعالى (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ), يبين الله تعالى أن العمل، مهما كان نوعه، يراه ويعلمه ولا يُراقب العمل الظاهر فحسب، وإنما يعلم نية العامل, ويشمل ذلك جميع

[1] - ينظر: كتاب التكامل الاجتماعي للإنسان, سلسلة تراث واثار الشهيد مرتضى مطهري, 344.

الأعمال الظاهرة والباطنية, ويوضح ألقمي في تفسيره أن هذه الآية تأمر المؤمنين بالعمل الذي يتوافق مع إرادة الله تعالى، ويشمل الأعمال الصالحة التي تعود بالنفع على المجتمع[1].

وهذه الفكرة هي دعوة للمؤمنين للإخلاص في العمل، بحيث لا يكون العمل فقط موجهًا للناس أو من أجل المكاسب المادية، إنما يجب أن يكون خالصًا لله سبحانه وتعالى, وقوله: (وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) توضح أن الأعمال لا تُراقب من الله تعالى فحسب، وإنما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين كذلك , يُفهم من ذلك أن المجتمع الإسلامي يجب أن يكون مجتمعًا يشجع على العمل الصالح، إذ يشترك الجميع في مراقبة الأعمال الصالحة والعمل على تعزيزها وقوله: (وَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) تدل على العودة إلى الله سبحانه وتعالى، وهو العارف بكل شيء، سواء كان ظاهرًا أو خفيًا، وقدرة الله على محاسبة كل عمل، صغيرًا كان أو كبيرًا (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وفي هذا السياق، يتحدث الله عن الحساب والمحاسبة في يوم القيامة, وكل عمل سيُحاسب عليه صاحبه، وهذه هي القاعدة الأساسية في العدالة الإلهية, فيؤكد العلامة الطباطبائي أن العمل في سبيل الله يجب أن يكون نابعًا من الإيمان الصادق، وأثره على المجتمع يتجلى في تطور مجتمعي مستدام، إذ يُحسن هذا العمل بيئة الناس الاقتصادية والاجتماعية[2].

كما إن الآية السابقة تمثل مبدأ أساسيًا في حياة المؤمن، إذ تدعو للعمل المستمر والمخلص الذي يعزز من تقدم المجتمع الإسلامي, فالتقدم في المجتمع لا يرتبط فقط بالعلم والمعرفة، إنما بالعمل الجاد والمخلص الذي يسهم في تطور المجتمع على كافة الأصعدة, والعمل في القرآن الكريم لا يقتصر على العبادة أو الطاعات فقط، إنما يشمل جميع الأعمال التي تُبني وتُعزز المجتمع, كما أن العمل ليس لمصلحة

[1] - ينظر: تفسير القمي, علي بن ابراهيم القمي, 1/ 16.
[2] - ينظر: الميزان في تفسير القران, العلامة الطباطبائي, 9/ 351.

الفرد فحسب، إنما يجب أن يعود بالفائدة على الجميع, كما قال النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم)"إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه"[1] وهذا يعزز فكرة أن العمل يجب أن يكون ذو جودة وإتقان، وهو ما يعكس مبدأ التنمية المستدامة في حياة الفرد والمجتمع, وكما في العديد من الروايات التي تتحدث عن العمل الصالح وتأثيره في الإنسان والمجتمع

والآية الكريمة تُظهر أن العمل هو أساس التقدم والتطور في حياة المؤمن، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أو المجتمع, وتدعو إلى العمل المخلص في سبيل الله، وتؤكد على أهمية أن يكون العمل جادًا وموجهًا نحو المصلحة العامة، بحيث يسهم في بناء مجتمع مستدام قادر على تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية.

وفي قوله تعالى: (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) [الملك: 15].

نرى دعوة مباشرة إلى السعي في الأرض والعمل لاستخراج الرزق، وهو ما يشمل جميع أوجه النشاط الاقتصادي من زراعة، وتجارة، وصناعة, فتشير الآية إلى مفهوم "الفرص الاقتصادية المفتوحة"، فالله تعالى هيّأ الأرض للإنسان وذلّلها، أي جعلها قابلة للاستثمار والإنتاج, وأما الأمر بـ "المشي في مناكبها" فهو أمر بالحركة، والسعي، والاجتهاد في طلب الرزق، لا الركون إلى الكسل أو الاتكال,

وهذه الآية تتفق مع مبدأ "الفاعلية الإنتاجية"[2](*) وهو مبدأ اقتصادي حديث ينص على ضرورة استغلال الموارد المتاحة بأقصى طاقتها لتحقيق أكبر إنتاج ممكن، وهو ما يعزّز النمو الاقتصادي المستدام[3].

---

[1] - مستدرك سفينة البحار, الشيخ علي النمازي, 1/ 434.

[2] (*)- الفاعلية الإنتاجية: تشير الإنتاجية إلى المعدل الذي تنتج أو تصنع أو تقدم فيه شركة معينة خدماتها، وعادةً ما يتحكم في الإنتاجية العديد من العوامل، مثل: عدد الأشخاص المسؤولين، وكمية المواد المطلوب تجهيزها، وعدد ساعات العمل, وهي تعتمد اعتمادًا رئيسيًا على العلاقة بين المدخلات والمخرجات.»»»

وفي قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (النجم: 39)، ربط الله عز وجل الجزاء بالسعي، أي الجهد والعمل، وهذا يدل على مكانة العمل في بناء حياة الإنسان فردًا ومجتمعًا, وهذه الآية تقرر قاعدة العدالة الاقتصادية، التي تقوم على أن الثواب والنتائج لا تكون إلا بناءً على العمل، وهو ما ينافي الاتكال أو استغلال جهود الآخرين دون مقابل, والسعي هنا لا يقتصر على الجهد البدني، إنما يشمل أي نشاط منتج، كالفكر والإبداع والعمل اليدوي[1].

ثانيًا: الإنتاج كوسيلة للتقدّم الاقتصادي:

الإنتاج، بمعناه العام، هو ثمرة العمل، ويشمل كل نشاط يُنتج منفعة أو سلعة, وقد حث القرآن على تعمير الأرض والسعي فيها، وهو ما يستلزم بالضرورة النشاط الإنتاجي, قال تعالى:(وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: 61).

فأي طلب منكم عمارتها، والعمارة تشمل الزراعة والصناعة والتبادل التجاري.

وقد جاء في تفصيل وسائل الشيعة "عن علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم و المتشابه نقلا من تفسير النعماني عن الإمام علي(عليه السلام) في حديث: (أن معايش الخلق خمسة الإمارة و العمارة و التجارة و الإجارة و الصدقات إلى أن قال: و أما وجه العمارة فقوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها) فأعلمنا

""""أما الكفاءة فهي تختص بالتركيز على عدم إهدار الموارد واستخدام أفضل الأساليب للمحافظة على الوقت والطاقة والأموال. في حين نستطيع وصف الإدارة في بيئة العمل بفاعليتها إذا كانت قادرة على تحقيق النتائج المرغوب بها؛ ينظر: الفرق بين الكفاءة والفاعلية مقال منشور على الانترنت, https://www.withscalers.com/blog/efficiency-and-effectiveness-difference

[3] - ينظر: التنمية المستدامة وتطبيقاتها في الفقه الاسلامي, رسالة ماجستير, سارة علي محمد , كلية التربية للبنات , جامعة بغداد, 82-84.

[1] - مجمع البيان في تفسير القران, الشيخ الطبرسي، 9/ 152.

سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سببا لمعايشهم بما يخرج من الأرض من الحب و الثمرات و ما شاكل ذلك مما جعله الله معايش للخلق)"[1]

والإنتاج المستمر والمتقن لا يُعدّ وسيلة للرزق فحسب، إنما سببًا في الاستقلال الاقتصادي والعزّة الاجتماعية، ما يفضي إلى التقدّم والتطوّر.

ثالثًا: الزراعة في القرآن الكريم انموذجاً للعمل والإنتاج:

والزراعة من أوضح صور الإنتاج التي عرضها القرآن الكريم، وتُعدّ من أعمدة الاقتصاد في المجتمعات القديمة والحديثة على السواء, وقد نوّه بها القرآن في مواضع متعددة، منها في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (الواقعة: 63–64).

فهذه الآيات تسلّط الضوء على دور الإنسان في العمل الزراعي، مع التأكيد على أن الإنبات النهائي من عند الله عزوجل، وهو ما يُرسّخ فكرة الشراكة بين السعي البشري والتقدير الإلهي, وفي هذه الآية خطاب تأملي يدعو الإنسان للتفكر في دورة الإنتاج الزراعي، إذ يُبيّن أن الإنسان يبذل جهده في الزراعة، لكنه لا يتحكم في النتائج النهائية مثل الإنبات والنمو، مما يشير إلى أن العمل البشري عنصر أساس لكنه ليس الوحيد, كما إن حكم الوقف الإسلامي في الزراعة تضمن أهمية استمرار الإنتاج[2].

وفي قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ) (الأنعام: 99).

[1] - تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي, 19 /35؛ نقلا عن المحكم و المتشابه- 30، و أورد صدره في الحديث 12 من الباب 1 من أبواب ما يجب فيه الخمس.

[2] - ينظر: الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية, حسن لطيف الزبيدي, حولية المنتدى، السنة الأولى، العدد (1)، 2008م.

يظهر إن هذه الآية تشير إلى التكامل بين النعم الإلهية وجهد الإنسان في استغلالها للإنتاج الزراعي، مما يؤدي إلى الوفرة والنماء الاقتصادي, فعلى الإنسان أن يعمل ويجتهد بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى فكل رزق متوقف على التوفيق الإلهي ؛ لكن الرزق لا ينزل إلا بعد توفر كل مقدماته وتهيئة الوسيلة اللازمة من زراعة أو أي عمل أخر.

أما في قوله تعالى: (وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ * فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فيها فَواكِهُ كَثيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) [المؤمنون: (18-19), جاء في تفسير الصافي " ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة انهار... أنزلها الله من عين واحدة و أجراها في الأرض و جعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله(و أنزلنا من السماء ماء بقدر و إنا على ذهاب به) بالإفساد او التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله قيل في تنكير ذهاب إيماء الى كثرة طرقه و مبالغة في الإيعاد به" [1], فإن الزراعة تمثل حلقة الوصل بين السماء والأرض في الاقتصاد القرآني.

رابعًا: أثر العمل والإنتاج في التقدّم والتطوّر:

يؤدي العمل المنتج إلى:

1- تحقيق الاكتفاء الذاتي وتقليل الحاجة إلى الاستيراد.

2- خلق فرص عمل وتحريك عجلة الاقتصاد.

3- تنمية الموارد الطبيعية والبشرية.

4- تقوية البنية التحتية الاقتصادية للمجتمع، مما ينعكس على مستوى المعيشة.

[1] - تفسير الصافي, الفيض الكاشاني, 3 / 397.

وقد أكّد القرآن الكريم أن البركة والتمكين تأتي نتيجة السعي والإنتاج، كما في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف: 96]

وهذه البركات لا تكون إلا بوجود نظم اقتصادية قائمة على العمل والإنتاج, فتدل هذه الآية على أن السلوك الأخلاقي (الإيمان والتقوى) مرتبط بصورة مباشرة بالوفرة الاقتصادية، وهنا يعرض القرآن ما يُعرف اليوم بعلم (الاقتصاد الأخلاقي)[1](*)، إذ تُربط الأخلاقيات العامة بأداء الاقتصاد الكلي للمجتمع[2].

وتشبه هذه الفكرة (نموذج رأس المال الاجتماعي Social Capital)[3](*), الذي يؤكد أن القيم الأخلاقية مثل الأمانة، والعدالة، والثقة، تُعزز من أداء الأسواق، وتزيد من فعالية العلاقات الاقتصادية، وتقلل من تكلفة المعاملات[4].

---

[1] - مصطلح الاقتصاد الأخلاقي (Moral Economy)، أول من استخدم هذا المصطلح تومبسون (Thompson 1971) لوصف سلوك الجمهور في القرن الثامن عشر. وفي الوقت الحالي، و إن الإشارة إلى الاقتصاد الأخلاقي تتصل بسلسلة حيث تؤثر الأخلاق والعادات الاجتماعية والعدل، على سبيل المثال على العمليات الاقتصادية والقانونية.

[2] - ينظر: - الاقتصاد الاخلاقي , مجلة نهر الامل , حمدي سيد محمد, موقع الكتروني, https://nahr-alamal.com/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D8

[3] - رأس المال الاجتماعي هو مفهوم يشير إلى قيمة الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والمجتمعات, وهو مورد غير ملموس يتشكل من خلال الشبكات الاجتماعية، والمعايير، والقيم، والثقة، والتعاون, إلى بنية العلاقات الاجتماعية وجودتها، والتي قد يستفيد منها الأفراد والفئات الاجتماعية والمجتمع (ساراتشينو وميكوكا، ٢٠١٧), مع ذلك، يتفق معظم الباحثين على أن رأس المال الاجتماعي مورد متعدد الأبعاد ينشأ من خلال التفاعلات الشخصية، ويشمل كلاً من الروابط الشبكية والقيم المشتركة، كالثقة والمعاملة بالمثل، والتي قد تُسهّل التعاون والعمل الجماعي (أغامبودي وآخرون، ٢٠١٥؛ لين، ٢٠٠٢؛ تسونيس وآخرون، ٢٠٢٣).

[4]- ينظر: هانى خميس، رأس المال الاجتماعى، مفاهيم، الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولى
للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، سبتمبر ٢٠٠٨، ص 12,
https://open.ncl.ac.uk/theories/16/social-capital-theory

ومن خلال ما تقدم ومن تحليل هذه الآيات وربطها بالمفاهيم الاقتصادية المعاصرة، يتبيّن لنا أن القرآن الكريم لم يتناول الاقتصاد بوصفه نشاطًا ماديًا فحسب، بل أدمج فيه القيم والسلوك، وحدّد أطرًا للعمل والإنتاج تنسجم مع سنن الحياة، وتُسهم في تحقيق التقدّم الاقتصادي المستدام.

المطلب الثاني: التجارة والتبادل التجاري:

التجارة في الإسلام ليست مجرد وسيلة للربح المادي، إنما هي نظام متكامل يرتبط بأخلاقيات وقيم شرعية تحكم كل جوانبها, والقرآن الكريم وضع ضوابط لضمان عدالة المعاملات، وشفافية العلاقات الاقتصادية، وهذا ما يجعل التجارة ركيزة أساسية للتقدم والازدهار الاقتصادي والاجتماعي, وقد وردت كثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن التجارة في التاريخ أو تبين أهمية التجارة أو منافعها وسنتطرق لبعض الآيات القرآنية مع تفسيرها وبيان دلالتها كما يأتي:

أولا- البعد التاريخي للتجارة (تجارة قريش):

تحدث القران الكريم في سورة قريش عن رحلة قريش مما يعكس أهمية تلك القوافل التجارية لأهل مكة حتى في عهد ما قبل الإسلام ويعطي صورة عن أهمية التجارة عبر التاريخ, قال تعالى(لإِيلَـــفِ قُرَيْشٍ * إِلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعبُدُوا ربَّ هَذَا البَيْتِ) (قريش: 1-3).

وقد ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إن هذه الآية تشير إلى حركة القوافل التجارية بين المناطق في أوقات الشتاء والصيف، وهي ظاهرة اقتصادية هامة تعكس استغلال الإنسان للمواسم الطبيعية لتبادل السلع وتحقيق المنافع المتعددة[1].

فهذه الآية توضح أن التجارة كانت نشاطًا استراتيجيًا ومنظمًا، يعتمد على تنقل القوافل في أوقات محددة لتعظيم الفائدة الاقتصادية, ويُظهر هذا فهماً اقتصاديًا متقدمًا في تنظيم الأسواق وزيادة مواردها، مما يضمن استمرارية الحركة

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القران، العلامة الطباطبائي, 20 / 366.

الاقتصادية وتوزيع السلع، وهو ما يعكس ضرورة التخطيط والتنظيم في النشاط التجاري، ويؤكد أن التجارة ليست عشوائية أنما هي قائمة على نظام فعّال يحقق التنمية.

ثانيا- التجارة المشروعة الإطار الأساس للتقدم:

يؤسس القرآن لمشروعية التجارة كوسيلة لكسب الرزق الحلال قال تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: 275).

فهذه الإباحة ليست مطلقة - الإباحة الأصلية والتقييد بالحلال- بل مقيدة باجتناب المحرمات التي تفسد المال وتقوض التقدم مثل الربا والغش والاحتكار وتجارة المحرمات (الخمر، المخدرات، وكل ما لا ينتفع به, إلخ), فالتجارة الحلال هي القاعدة الأولى لاقتصاد نامٍ ومستقر, وتحريم الربا معيار الصحة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية, فالربا- تقدم سلبي- مقابل التجارة – تقدم وتطور ايجابي- إذ يميز القرآن تمييزاً صارماً بين التجارة الحلال المشروعة والربا المحرم المدمر للاقتصاد وللمجتمع, فيصف الربا بأنه أكل لأموال الناس بالباطل, في قوله تعالى: (وَلَا تأكلواْ أموالَكُم بَينَكُم بالبَـطِلِ) (البقرة: 188) ويحذر من حرب من الله ورسوله لأكله كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: 278-279), جاء في تفسير نور الثقلين نقلا عن تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:" ان التوبة مطهرة من دنس الخطيئة ... فهذا ما دعا الله اليه عباده من التوبة و أوعد عليها من ثوابه، فمن خالف ما امره الله به من التوبة سخط الله عليه، و كانت النار ولى به و أحق"[1], فالربا

[1] - تفسير نور الثقلين, عبد علي بن جمعة الحويزي, 295/1, حديث 1178.

يركز الثروة على الأغنياء ويجعلها في حوزتهم، ويثقل كاهل المستضعفين، ويسبب الأزمات المالية، مما يعيق التقدم الحقيقي الشامل, فالتجارة الحلال هي البديل القرآني لبناء اقتصاد منتج وعادل.

ثالثاً- ضوابط تنظيميه للتجارة:

وضع القران الكريم إشارة إلى ضوابط تنظيم المعاملات التجارية فعندما ذكر التجارة وأشار إلى أهميتها, فلابد من ضوابط تنظم العلاقات التجارية وهي تتمثل بالقوانين التجارية في وقتنا الحاضر, في قوله تعالى: (فَأَوفُواْ ٱلكَيلَ وَٱلمِيزَانَ وَلَا تَبخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشيَاءَهُم وَلَا تُفسِدُواْ فِي ٱلأَرضِ بَعدَ إِصلَحِهَا ذَلِكُم خَير لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ) (الأعراف :85).

وقد أشار الطبري في تفسيره لهذه الآية على أنها دعوة للصدق والعدل في الكيل والوزن، وهما الأساس لضمان نزاهة المعاملات التجارية وعدم وقوع الغش الذي يضر بالمستهلكين ويخل بالتوازن الاقتصادي[1], فهذه الآية تشدد على أن دقة المعاملات وحسن النية في البيع والشراء بالرغم من أنها تُعد عمل أخلاقي، بالإضافة إلى ذلك هي ضرورية للحفاظ على استقرار الأسواق, فالاقتصاد دون ثقة وشفافية يتعثر، والآية تسلط الضوء على دور القواعد الأخلاقية في دعم الاقتصاد وتحفيز التنمية المستدامة, وفي قوله تعالى: (وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا

[1] - جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير الطبري ، 7 /210.

يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: 282).

وتشير هذه الآية القرآنية إلى أهمية تنظيم الضوابط التجارية وكتابتها بمواثيق وتثبيت الحقوق بوضع العقود والشهود وتفصل هذه الآية – أية الديّن التي تعد أطول أية في القران الكريم- لأهمية موضوع التجارة وأهمية ضوابطها وتوثيقها بالعقود؛ لأن توثيق الديون والمعاملات المالية هو وسيلة لضمان الحقوق وتجنب النزاعات بين الأطراف، كما أنه يوفر بيئة من الشفافية التي تساعد على بناء الثقة في الأسواق[1].

فالتوثيق المالي عنصر حاسم في تعزيز استقرار النظام الاقتصادي، وهو مبدأ يتفق مع مبادئ المحاسبة الحديثة وحوكمة الشركات, وهذا التأكيد القرآني يدل على إرشاد القران لأهمية الإدراك العميق للتنظيم المالي والشفافية في نجاح التجارة وتحقيق التنمية الاقتصادية[2], وفي قوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف:46).

وقد ورد عن تفسير هذه الآية في ظلال القران "المال والبنون زينة الحياة؛ والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات, ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد, إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة, فما يجوز أن يوزن بهما الناس ولا أن يقدروا على أساسهما في الحياة, إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات, وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثواباً وخير أملا, عند ما تتعلق بها القلوب ، ويناط بها الرجاء ، ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء"[3].

---

[1] - ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير، 2 /35.

[2] - ينظر: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي, يوسف القرضاوي, 92.

[3]- في ظلال القرآن, سيد قطب, 5/ 66.

وفي قوله تعالى:(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا) (النساء: 29).

جاء في تفسير العياشي (ت: 320هـ) عن ابي عبد الله υ "عن سماعة قال سألته عن الرجل يكون عنده شيء يتبلغ به و عليه دين أ يطعمه عياله حتى يأتيه الله تبارك و تعالى بميسرة، أو يقضي دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان- و شدة المكاسب، أو يقبل الصدقة و يقضي بما كان عنده دينه قال يقضي بما كان عنده دينه و يقبل الصدقة- و لا يأخذ أموال الناس إلا و عنده وفاء بما يأخذ منهم- أو يقرضونه إلى ميسرة فإن الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) فلا يستقرض على ظهره إلا و عنده وفاء- و لو طاف على أبواب الناس فردوه باللقمة و اللقمتين و التمرة و التمرتين، إلا أن يكون له ولي يقضي دينه من بعده، إنه ليس منا من ميت يموت إلا جعل الله له وليا يقوم في عدته و دينه"[1], فهذه الآية تؤكد أهمية النزاهة في المعاملات الاقتصادية، وتضع حدًا للفساد والاستغلال؛ لان احترام حقوق الملكية هو عنصر أساس في أي نظام اقتصادي مستقر، وعدم الالتزام به يؤدي إلى انهيار الثقة ويضر بالنظام الاجتماعي, والقرآن هنا يربط بين القيم الأخلاقية والنجاح الاقتصادي، ما يرسخ مبدأ أن الاقتصاد يجب أن يكون خدمة للمجتمع لا أداة للاستغلال.

رابعا- الأمانة والوفاء بالعهود معيار الاستقرار والموثوقية:

الالتزام بالعقود والمواثيق: يشدد القرآن على أهمية الوفاء بالعقود والعهود في جميع المعاملات، ومنها التجارية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ...) (المائدة:

[1] - تفسير العياشي , محمد بن مسعود العياشي, 1 / 236.

1), والأمانة في الودائع - كالأمانات التجارية - والصدق في المعاملات من صفات المؤمنين التي تحفظ الحقوق وتضمن استمرارية الأنشطة الاقتصادية بسلاسة وثقة

وفي قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: 1-3)

وتتحدث هذه الآية عم أهمية الوفاء بالكيل وعدم السرقة في الوزن وقد جاءت العديد من الآيات القرآنية بهذا الخصوص, ويوضح العلامة الطباطبائي أن هذه الآية تحذر من الغش والتلاعب في الأوزان والمكاييل، الذي يؤدي إلى فساد الأسواق وخراب اقتصاد المجتمعات، وهو من الكبائر التي توجب غضب الله[1].

فالغش في الأسواق يشكل تهديدًا خطيرًا للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، ويؤدي إلى تراجع الثقة بين البائعين والمشترين؛ لذلك تربط الآية بين الأخلاق والاقتصاد، وتبين أن الاقتصاد العادل يجب أن يحترم القيم الإنسانية، وإلا فإنه ينهار بفعل التلاعب والفوضى, فالشفافية والنزاهة أساس الثقة والسمعة, فيحرم ويحذر القرآن بشدة من الغش والخداع في المعاملات، وهو آفة تدمر الاقتصاد والنزاهة والوضوح في البيع والشراء, وبيان العيوب هي معايير قرآنية ترفع كفاءة السوق وتجذب البركة.

اما في قوله تعالى: (... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الإنعام: 152).

جاء في تفسير الطبري " وأن أوفوا الكيل والميزان لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلتموهم، والوزنَ إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم وإيفاؤهم ذلك، إعطاؤهم

[1] - ينظر: الميزان في تفسير القران، الطباطبائي,ج 18/ 400.

حقوقهم تامة بالقسط، يعني بالعدل"[1] فهذه الآية تحث على الوفاء بالعقود والمواثيق في المعاملات التجارية؛ لأن الالتزام هو أساس الثقة والتعامل الناجح في الاقتصاد, فالأمانة والصدق في المعاملات من صفات المؤمنين التي تحفظ الحقوق وتضمن استمرارية الأنشطة الاقتصادية بسلاسة وثقة.

خامساً: علاقة التجارة بالإيمان والعمل الصالح:

يقدم القرآن مفهوماً أعمق للربح - التجارة الرابحة مع الله- فيربط النجاح التجاري الدنيوي بتقوى الله والإيمان والعمل الصالح, فقد جاء ذكر التجارة في اغلب الآيات القرآنية مقرونا بالنصح والإرشاد او العبادة والإيمان كتحذير - في موضع التحذير من الاتجاه للتجارة وترك الصلاة مثلا- كما في قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَو لَهوًا ٱنفَضُّواْ إِلَيهَا وَتَرَكُوكَ قَائِما قُل مَا عِندَ ٱللَّهِ خَير مِّنَ ٱللَّهوِ وَمِنَ ٱلتِّجَرَةِ وَٱللَّهُ خَيرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) (الجمعة: 11), جاء في تفسير الصافي "عن الصادق عليه السلام و تركوك قائما تخطب على المنبر كذا روياه قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو و من التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما"[2], فرغم إن التجارة تسبب الهاء الناس عن العبادة فقد أشار القران إليها في مواضع كثيرة ولم يمنع عنها إنما وضع ضوابط تنظيمية لها, هذه إشارة إلى ضرورة فصل العمل المتعلق بالدنيا عن العبادة رغم أهمية العمل بصورة عامة, لكن يجب أن لا يشغل المؤمن عن العبادة, وهذا التوازن يضمن ألا تطغى المادية على القيم، فيصبح النمو الاقتصادي في خدمة الإنسان والمجتمع.

ومن الايات السابقة نرى ان القرآن الكريم يحدد للتجارة معايير دقيقة تشكل في مجموعها نموذجاً متكاملاً للتقدم الاقتصادي, فهي تجارة:

1- مشروعة: قائمة على الحلال واجتناب الحرام.

---

[1] - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير الطبري, 12/ 224.

[22] - تفسير الصافي , الفيض الكاشاني, 5 / 176,

2- عادلة ونزيهة: تحترم حقوق الآخرين بالكيل والميزان والشفافية واجتناب الغش.

3- نظيفة: ترفض الربا بجميع أشكاله المدمرة للاقتصاد.

4- موثوقة: تقوم على الأمانة والوفاء بالعقود.

5- مسؤولة: تربط الكسب الدنيوي بتقوى الله والعمل للآخرة والمساهمة في المجتمع (كالزكاة).

والتزام هذه المعايير القرآنية في التجارة ليس مجرد تكليف ديني، أنما هو السبيل الأمثل لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية، مستدامة، شاملة وعادلة، تضمن البركة في المال، وتقوي أواصر المجتمع، وتؤسس لاقتصاد قوي وأخلاقي، وهو جوهر التقدم الحضاري المنشود في بناء المجتمع المتكامل فالتجارة جزء لا يتجزأ من كل بلد في العالم, كانت ولا زالت ضرورة من ضروريات الحياة, والتبادل التجاري بين البلدان يوسع أفاق البلد وينوع المنتجات مما يساعد على توفير حياة كريمة وعيش رغيد للناس[1].

[1] - ينظر: كتاب التكامل الاجتماعي والإنساني, سلسلة تراث واثأر الشهيد مرتضى مطهري, 345-349.

المطلب الثالث: التنمية المستدامة وأثرها بالتقدم الاقتصادي في القران الكريم:

تُعرف التنمية بأنها: "سياسة تلجا إليها الدولة للتخلص من التبعية الاقتصادية والنهوض في كافة القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة وذلك بتحسين الإنتاج وارتفاع مستوى الدخل"[1], ويختلف مفهوم النمو عن التنمية؛ لان النمو يحدث نتيجة تقدم تلقائي طبيعي دون تدخل من قبل الإفراد, بينما التنمية تحتاج إلى تدخل مباشر تنظمه الدولة وبقدرات خبيرة ترفع من مستوى المجتمع فتخرجه من حالة الركود إلى الحركة والتقدم[2], مع مراعاة استمراره للأجيال القادمة.

والتنمية المستدامة هي مفهوم اقتصادي معاصر يعنى بتلبية احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتهم, "وهي عملية أخلاقية روحية تعبدية تهدف إلى تنمية الإنسان وتطوير قدراته كونه النواة الأساسية في المجتمع؛ وذلك بهدف تحقيق الرقي الحضاري والمادي, من منطق الاستخلاف والعمارة الذي يجعل من الإنسان أمناً ومتفهماً ومحافظاً على كل الموارد الطبيعية المسخرة له"[3].

فتعد التنمية المستدامة من أبرز مفاهيم العصر الحديث التي تركز على تلبية احتياجات الأجيال الحالية دون التأثير سلبًا على قدرة الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتهم, وفي القرآن الكريم، نجد إشارات قوية للمبادئ التي تتفق مع مفهوم التنمية المستدامة، مثل العدل الاقتصادي، وحماية البيئة، وتوزيع الموارد بصورة عادلة, ومن خلال هذه المبادئ، يسعى الإسلام إلى تحقيق توازن بين الإنسان وبيئته، وبين حاجاته الحالية وحقوق الأجيال المستقبلية ضمن هذا السياق، وسيستعرض البحث دور التنمية المستدامة في القرآن الكريم وكيفية إسهامها في التقدم والتطور الاجتماعي والاقتصادي, كما يأتي:

---

[1] - بحث الفروض الكفائية سبيل التنمية لمستدامة, احمد صالح علي, 35.

[2] - ينظر: التنمية بين المفاهيم والقيم الأخلاقية, محمد زكي إسماعيل, 15.

[3] - التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية, منال القصبي, 327.

أولا- حماية البيئة:

يتضح من المنظور الإسلامي أن البيئة الطبيعية كيان حيّ نابض بالحركة والنشاط، وهي مجالٌ واسع لتفاعل الإنسان معها واستثمارها وفق منهجية علمية تقوم على الاكتشاف والتدبر, فالإنسان المسلم عند تعامله مع الطبيعة، يُوظف قدراته العقلية وذائقته الجمالية وأخلاقياته الرفيعة، ليتمكن من استكشاف أسرارها واستثمار كنوزها على الوجه الأمثل، وبذلك تتحقق الغاية من تعمير الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها.

وتتجلى أهم معالم العلاقة الاقتصادية والبيئية التي يرسّخها القرآن الكريم بين الإنسان والطبيعة ضمن مشروع النهوض الحضاري في عدة أبعاد متكاملة[1]:

1- البعد التكافلي:

تنظر هذه الرؤية إلى الطبيعة كونها مصدراً أساسياً لتأمين حاجات الإنسان والمجتمع، فهي تمدّهم بمتطلبات العيش الكريم والرزق المستدام.

2- البعد العملي:

يستلزم هذا البعد بذل الجهد والسعي المتواصل لاستخراج الطاقات الكامنة والقدرات المدخرة في البيئة، مما ينعكس مباشرة على تحقيق التنمية المستدامة وتقوية أسس الاقتصاد.

3- البعد التكيفي:

يوازن الإنسان بين قدرته على العيش في محيط الطبيعة وبين انسجامه معها، حتى في ظل الظروف البيئية القاسية، بما يعزز التكيف والاستمرارية.

4- البعد التشاركي الأخلاقي:

يقوم على مبادئ المحبة والتفاهم والاستنارة، بعيداً عن منطق التسلط والقهر والصراع، الذي يفضي غالباً إلى الفساد البيئي، وهو ما تذهب إليه بعض التصورات المادية الحديثة.

[1] - منهج القران الكريم في إصلاح المجتمع , د.محمد السيد يوسف, 241.

5- البعد الجمالي:

يبرز من خلال إدراك جمال الطبيعة وتذوق مظاهر البهجة التي تبعثها في النفوس، كما يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:(...وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ) (النحل : 6).

ويظهر انعكاس هذه الأبعاد في سلوك الإنسان العملي الإيجابي تجاه الطبيعة، إذ يجمع بين الإفادة من ثرواتها وتفجير كنوزها في ميادين الخير والبناء من جهة، وبين تنمية مواردها وصون خصائصها من جهة أخرى, ويتجلى ذلك في حرث الغابات، وري الصحاري، ومعالجة المستنقعات، وترشيد استخدام الطاقة، وتجنب الهدر، والوقاية من التلوث البيئي، بما يحقق مبدأ الاستدامة ويعزز التقدم الاقتصادي وفق المنهج القرآني[1].

إذ يحث القرآن الكريم على الاعتناء بالبيئة وحمايتها من الفساد والاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية, ففي العديد من الآيات، يتم التأكيد على ضرورة عدم إفساد الأرض بعد إصلاحها, يقول الله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) (الأعراف: 56).

أي "لا تعصوا ، فيمسك الله المطر ، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب"[2], فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن الإنسان مسؤول عن الحفاظ على البيئة وعدم تلويثها أو استنزاف مواردها، مما يعكس مبدأ الاستدامة البيئية في الإسلام, كما يؤكد القران الكريم على مبدأ حماية البيئة كما في قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) [البقرة: 11].

فحماية البيئة يعزز التنمية المستدامة, وفي هذا المعنى، يُنظر إلى الإصلاح الاقتصادي على أنه وسيلة لتحفيز النمو، من خلال الحفاظ على الموارد وإعادة استثمارها بصورة تخدم المصلحة العامة، مما يشجع على العمل الجماعي لمصلحة

[1] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 229.
[2] - زاد المسير, ابن الجوزي, 2 / 495.

المجتمع في الحاضر والمستقبل, ويمكن ذلك من خلال الزراعة ومنع التصحر عبر التشجير[1].

ثانياً- التمكين في الأرض(وفرة الإنتاج):

أن الله سبحانه وتعالى قد مكَّن البشر في الأرض من خلال بسطها وجعلها قابلة للعيش، وجعل لهم وفرة من سبل العيش فيها من الزراعة والإنتاج وتنوع مصادر الرزق, قال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (الأعراف:10).

فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد مكَّن البشر في الأرض، وجعل لهم سبل العيش فيها، وهي تتعلق بصورة مباشرة بمفهوم التنمية المستدامة في القرآن الكريم, فالتمكين في الأرض هنا يعني أن الله قد منح الإنسان القدرة على استغلال موارد الأرض وتحقيق العيش الكريم من خلال ما فيها من نعم, وهذه الموارد تشمل الماء، الهواء، التربة، والموارد الطبيعية الأخرى، التي يُعد الحفاظ عليها واستخدامها بصورة عقلانية ومستدام أساسًا للتنمية المستدامة.

وفي قوله تعالى (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)، يشير الله تعالى إلى أن الأرض وما فيها من موارد هي مصدر أساس للرزق والمعيشة, وتشير الآية إلى أن هذه الموارد موجودة لصالح البشر في مجملها، ولكن يُشترط أن يتم استغلالها بصورة متوازنة تؤمن استدامتها للأجيال القادمة[2].

فكما إن التنمية المستدامة تقوم على استخدام موارد الأرض دون الإفراط فيها أو استنزافها, الآية تشير إلى ضرورة الحفاظ على هذه الموارد وعدم التمادي في استخدامها بصورة تؤدي إلى إهدارها، وهو ما يتماشى مع مفهوم التنمية المستدامة المعاصر الذي يسعى إلى تحقيق توازن بين تلبية احتياجات الحاضر والحفاظ على

[1] - ينظر: بحار الأنوار, العلامة ألمجلسي، 103 / 65.
[2] ينظر: مناهج الفكر والبحث التاريخي , حسان حلاق, 95.

الموارد للأجيال القادمة, فالمقوم الاقتصادي يتمثل بعمليات إنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها بين عموم الناس, ويعد وجود الاقتصاد القوي المتوازن القائم على أسس إسلامية ركيزةٌ مهمة من ركائز بناء أرضية صلبة؛ لاقلاع تقدم ونهوض إسلامي رصين؛ لما للاقتصاد من فاعلية مؤثرة في رسم سياسات تنموية للبلدان قادرة على توجيه شعوبها والتحكم بمصائرها, فالزراعة والصناعة والتجارة والسياحة من الفعاليات الاقتصادية وهي من العوامل المحركة للتاريخ[1].

وفي قوله تعالى: (قليلًا ما تشكرون), تحذير من الله عز وجل للبشر بعدم الاستفادة من هذه النعم بالصورة الصحيحة، إذ أن الشكر على النعم يتطلب استثمار هذه الموارد بصورة حكيمة تضمن الاستدامة, وإذا تم استخدام النعم بصورة مفرطة أو غير مسؤولة، فإن ذلك يؤدي إلى تدمير هذه النعم ويعرض الأجيال القادمة إلى خطر فقدانها.

والتنمية المستدامة تُشدد على ضرورة العيش بصورة تتوازن مع البيئة والموارد المتاحة, فان الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يذكر أنه قد مكَّن الإنسان في الأرض، وهذا يعني أن الإنسان مسؤول عن استغلال هذه النعم بصورة عقلية ومستدامة، بعيدًا عن التدمير أو الإفراط.

إضافة إلى ذلك قوله: (قليلًا ما تشكرون) تنبهنا إلى أنه في حال عدم التقدير أو الشكر لهذه النعم، يمكن أن يكون لها آثار سلبية على الحياة البشرية، بما في ذلك إهدار الموارد الطبيعية التي تُعد أساس التنمية المستدامة.

فالآية تبّرز مسؤولية الإنسان في التعامل مع الموارد الطبيعية التي منحها الله إياها, وتطلب منا أن نحسن استغلال هذه الموارد بطريقة تحفظ حق الأجيال القادمة في الاستفادة منها.

[1] - ينظر: مناهج الفكر والبحث التاريخي , حسان حلاق, 95.

ثالثاً- الاستخلاف في الأرض:

بعد أن قرر الإسلام مبدأ ملكية الله تعالى رتب عليه أن دور الإنسان في الثروة هو دور الخليفة المستأمن من قبل الله تعالى على مصادر الثروة في الكون ليدبر أمرها ويدير شأنها وفقاً للروح العامة لملكية الله تعالى, قال تعالى : (وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ) (الحديد: 7), فيجب على المستخلفين في الأرض أن يراعوا الحفاظ على الموارد والإنفاق مما رزقهم الله على عباده فقد قال رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[1]

وقال تعالى:(... وَءاتُوهُم مِن مَّالِ اللهِ الَّذِىء آتَاكُمْ...) (النور: 33)

والاستخلاف يتم على مرحلتين :

المرحلة الأولى : استخلاف للجماعة البشرية الصالحة ككل قال الله سبحانه وتعالى :

(وَلا تُؤتُواْ السُّفَهَآءَ أَموَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُم قِيَاماً) (النساء: 5)

وهذا النص ألقراني يتحدث عن أموال السفهاء وينهى الجماعة أن يسلموها إلى السفهاء ويضيف الأموال إلى الجماعة نفسها على الرغم من أنها أموال أفراد منهم وذلك إشعاراً بأن الأموال في هذا الكون قد جعلت لإقامة حياة الجماعة وتمكينها من مواصلة حياتها الكريمة وتحقيق الأهداف الإلهية من خلال الإنسان على الأرض ولما كان السفيه لا يصلح لتحقيق هذه الأهداف فقد منع الله الجماعة من إطلاق يده في أمواله[2].

فتوظيف الثروة في اتجاهها الصحيح واستغلالها بالصورة الأمثل يحقق وفرة في الإنتاج بشكل يرمي إلى خلق مناخ اجتماعي تنمو كل القدرات وتتحرك فيه بحيث

---

[1]- جَامِعُ الأَخْبَار - معارج اليقين في أصول الدّين, الشيخ محمد بن محمد السبزواري, 327.

[2] - النظام الدولي الجديد, ياسر ابو شبلة, 730.

تجعل من المجتمع ورشة عمل للجميع, سرعان ما يكتشف من خلالها إن الإمكان الذي ينتظره مما في أيدي الآخرين لتغيير مصيره أصبح في يده[1].

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن القرآن الكريم والفقه الإسلامي يطبق على كل الثروات الطبيعية التي تحصل عليها الجماعة المسلمة من الكفار أسم الفيء ويعدها ملكية عامة والفيء كلمة تدل على إعادة الشيء إلى أصله وهذا يعني أن هذه الثروات كلها في الأصل للجماعة وإن الاستخلاف من الله تعالى استخلاف للجماعة.

ولهذا فإن الجماعة -ككل- بحكم هذا الاستخلاف مسؤولة أمام الله تعالى وهذه المسؤولية تحددها الآية الكريمة في قوله تعالى : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم: 32-33-34)

فإن هذه الآيات الشريفة بعد أن تستعرض ما استخلف الله عليه الإنسان من ثروات الكون وطاقاته ونعمه الموفورة أشارت إلى لونين من الانحراف أحدهما الظلم والآخر كفران النعمة ، والظلم يعني سوء التوزيع وعدم توفير هذه النعم لأفراد الجماعة على السواء - وهو ظلم بعض أفراد الجماعة للبعض الآخر - وكفران النعمة يعني تقصير الجماعة في استثمار ما حباها الله به من طاقات الكون وخبراته المتنوعة أي التوقف عن الإبداع الذي هو في نفس الوقت توقف عن السير نحو المطلق نحو الله تعالى - وهذا ظلم الجماعة نفسها - وهذه الإشارة تحدد في الوقت نفسه مسؤولية الجماعة بين يدي المستخلف سبحانه وتعالى في أمرين :

[1] - ينظر: المسلم في عالم الاقتصاد, مالك بن نبي, 82.

أحدهما : العدل في توزيع الثروة أي أن لا يقع تصرف في الثروة التي استخلفت عليها الجماعة تصرفاً يتعارض مع خلافتها العامة وحقها ككل فيما خلق الله,

والآخر : العدل في رعاية الثروة وتنميتها وذلك ببذل مجمل طاقاتها في استثمار الكون وأعمار الأرض وتوفير النعم[1].

المرحلة الثانية : من الاستخلاف هي استخلاف الأفراد الذي يتخذ من الناحية الفقهية والقانونية شكل الملكية الخاصة والاستخلاف هنا من الجماعة للفرد؛ ولهذا أضافت الآية الكريمة أموال الأفراد إلى الجماعة في النص القرآني الآنف الذكر ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تقر أي ملكية خاصة تتعارض مع خلافة الجماعة وحقها - ككل - في الثروة, وما دامت الملكية الخاصة استخلافاً للفرد من قبل الجماعة فمن الطبيعي أن يكون الفرد مسؤولاً أمام الجماعة عن تصرفاته في ماله وانسجامها مع مسؤولياتها أمام الله تعالى ومتطلبات خلافتها العامة، ومن الطبيعي أن يكون من حق الممثل الشرعي للجماعة أن ينتزع من الفرد ملكيته الخاصة إذا جعل منها أداة للإضرار بالجماعة والتعدي على الآخرين وتوقف دفع ذلك على انتزاعها ، كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة سمرة بن جندب ، فقد جاء في عدة روايات, (أن سمرة بن جندب كان له عذق وكان طريقه إليه في جوف منزل رجل من الأنصار فكان يجيء ويدخل إلى عذقه بغير إذن من الأنصاري فقال الأنصاري يا سمرة لا تزال تفجأنا على حال لا نحب أن تفجأنا عليه فإذا دخلت فاستأذن, فقال: لا أستأذن في طريق وهو طريقي إلى عذقي فشكاه الأنصاري إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأرسل إليه النبي فأتاه, فقال: أن فلاناً قد شكاك وزعم أنك تمر عليه وعلى أهله بغير إذن فاستأذن عليه إذا أردت أن تدخل, فقال: يا رسول الله استأذن في طريقي إلى عذقي فقال له النبي (صلى الله عليه واله) خل عنه ولك عذق في مكان كذا وكذا فقل لا .

[1] - ينظر: مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد, عامر الكفيشي, 279-283.

. . فقال له رسول الله (صلى الله عليه واله) انك رجل مضار ولا ضرر على مؤمن ثم أمر بها رسول الله فقلعت ورمي بها إليه).[1]

وينبغي أن نشير هنا إلى أن العدل الذي قامت على أساسه مسؤوليات الجماعة في خلافتها العامة هو الوجه الاجتماعي للعدل الإلهي الذي نادى به الأنبياء وأكدت عليه رسالة السماء كأصل ثان من أصول الدين يتلو التوحيد مباشرة[2].

رابعاً- التوازن في استعمال الموارد:

من خلال تشجيع الاستثمار في مشاريع تعود بالنفع على المجتمع، وحث الأفراد على استعمال مواردهم بحذر، ويساهم القرآن الكريم في تحقيق التقدم الاقتصادي المستدام من دون إفراط ولا تفريط, يهدف الإسلام إلى أن تكون الأعمال الاقتصادية ليست لتحقيق الربح فحسب، وإنما لخدمة المجتمع كذلك بصورة عادلة ومنصفة, فيشير القرآن الكريم إلى أهمية الكفاءة في استعمال الموارد والابتعاد عن التبذير والإفراط في استهلاك الثروات، مما يسهم في التنمية الاقتصادية المستدامة, كما في قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (الإسراء: 29-30).

والتبذير تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف ، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها ، وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها ، فأمر الله - تعالى - بالنفقة في وجوهها ، مما يقرب منه ويزلف[3].

---

[1] - الكافي , الكليني , 5 /420 ؛ وسائل الشيعة , الحر ألعاملي, ح 32281, 25 /425, ؛ بحار الأنوار, العلامة ألمجلسي 2 /276؛ دراسات في الحديث والمحدثين, هاشم معروف الحسني, 101.

[2] - ينظر: صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي, السيد محمد باقر الصدر, 8.

[3] - ينظر: تفسير الوسيط , محمد سيد طنطاوي, 1/ 2617.

فهذه الآية تدعو إلى التوازن في استعمال الموارد، سواء في المصروفات الشخصية أو الاستثمارية، مما يعزز استدامة التنمية الاقتصادية.

إن شيوع ثقافة اقتصادية قيمية تخلق توازناً في عملية الإنفاق الاستهلاكي للفرد والمجتمع فتلتزم الضوابط الدينية والأخلاقية في إشباع الحاجات المادية من دون مبالاة أو إسراف في إشباع واحدة منها على حساب الأخرى ودون إن يتحول المجتمع إلى وحدة هدر -استهلاكي مبذر- يتباهى بها بلا اعتبار لقيمهم[1].

ومما سبق يتبين لنا إن التنمية المستدامة في القرآن الكريم هي مفهوم شامل يتداخل فيه الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية, ومن خلال الدعوة إلى العدالة الاقتصادية، وحماية البيئة، وترشيد استهلاك الموارد، يساهم القرآن الكريم في تحقيق التنمية المستدامة التي تضمن تلبية احتياجات الأجيال الحالية والمستقبلية, وبالاعتماد على هذه المبادئ القرآنية، يمكن للمجتمع أن يحقق التقدم والتطور بطريقة متوازنة ومستدامة تضمن العدالة والرفاهية للجميع, وكيفما يكن فأن المنهج القرآني يتجلى بوضوح في ترسيخ قواعد ومعايير التقدم والتطور من الناحية الاقتصادية , من أجل ضمان حياة آمنه مطمئنة لبني البشر تقوم على أساس رعاية وحماية الثروات التي وهبها الله سبحانه لهم.

[1] - ينظر: مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي, د.عبد العزيز فهمي هيكل, 31.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد عرض معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم وتحليلها تبين، أن القرآن يمثل مصدرًا غنيًا وشاملاً للإرشادات التي ترمي إلى بناء مجتمع متكامل ومتوازن، يجمع بين الروحانية والعملية، و القيم الأخلاقية والتطبيقات الواقعية, وتوصلت الرسالة إلى نتائج تعكس عمق وشمولية النص القرآني في تحديد المعايير التي تبني المجتمعات المتقدمة والمتوازنة, ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

1- إن التقدم الحقيقي لا يتحقق بالتطور التقني أو الاقتصادي فحسب، وإنما يتطلب توازنًا بين مجموعة من المعايير التي تشمل الإيمان والتقوى كأساس، والتعليم والعلم كوسائل للنمو الفكري، والعدل السياسي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية كضمان لاستقرار المجتمع, كذلك يظهر الأثر الحيوي للإخلاص والقدوة الحسنة والتكافل الاجتماعي في خلق بيئة صحية تعزز الإبداع والابتكار والازدهار.

2- إن المعايير القرآنية للتقدم ليست نظرية جامدة، إنما هي قابلة للتطبيق العملي، وتوفر إطارًا فكريًا متينًا لبناء السياسات التنموية المستدامة, وهذا يشير إلى أهمية إعادة قراءة النص القرآني بروح العصر، مع الإفادة من تراث التفسير والتجارب التاريخية لتفعيل هذه المعايير في واقعنا المعاصر.

3- إن التداخل والتكامل بين هذه المعايير يكون قاعدة صلبة لأي مشروع تنموي ناجح، إذ أن الإيمان بالمعايير الدينية يعزز من الثقة والتماسك، والتعليم والثقافة يفتحان آفاق التطوير، والحكم العادل والاقتصاد المنصف, يضمنان توزيعًا عادلًا للموارد، والاجتماع المتكافل, يرسخ التضامن بين أفراد المجتمع.

4- إنّ هذه المعايير تكون خارطة طريق نحو بناء مجتمع إسلامي متقدم قادر على المنافسة العالمية، ويمتلك مقومات القوة والرخاء، مستندًا إلى مبادئ الإسلام السمحة.

وتظهر أهمية الجمع بين هذه المعايير, لتحقيق تنمية مستدامة وشاملة، وتشمل جوانب الحياة الفردية والجماعية جميعها، وتحقق رفاهية الإنسان على المستويين المادي, والروحي.

التوصيات والاقتراحات

انطلاقًا من نتائج البحث في معايير التقدم والتطور في القرآن الكريم، توصي الدراسة بعدد من التوصيات تعمل على تعزيز التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية:

1- إعداد مناهج تربوية علمية تجمع بين المعايير الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتشكل برنامجاً متكاملاً لعملية بناء الإنسان وتأهيله لتحمل المسؤولية, وعمارة الأرض كما أراد الله سبحانه وتعالى, فينبغي الاهتمام الخاص بتعميق مفاهيم الإيمان والتوحيد, والأخلاق الإسلامية في المناهج التعليمية والمؤسسات الاجتماعية، لضمان بناء قاعدة روحية صلبة تدعم التوازن بين الدنيا والآخرة.

2- تطوير البحث العلمي:

تشجيع الباحثين على البحث العلمي المبني على المنهج القرآني الذي يعزز الحكمة والمعرفة، مع توفير بيئة تحفز الابتكار والتفكير النقدي.

3- تفعيل مبادئ العدل والشورى في الحكم:

من الضروري تعزيز ممارسات الحكم الرشيد التي تقوم على العدل والمشاركة المجتمعية، وذلك لضمان استقرار الأنظمة السياسية وتحقيق التنمية الشاملة.

4- تحقيق العدالة الاقتصادية والتوزيع العادل للثروات:

وضع سياسات اقتصادية تحفز الإنفاق الرشيد, وتوزيع الموارد بصورة عادلة أمينة، مع تعزيز آليات التكافل الاجتماعي, والصدقات التي تسهم في تخفيف الفقر وتحقيق الرفاهية الاجتماعية.

5 ترسيخ روح التعاون والتكافل الاجتماعي:

يجب تعزيز البرامج والمبادرات التي تبني ثقافة التعاون بين أفراد المجتمع، وتشجع على القدوة الحسنة على إنها مصدر إلهام, لتحسين السلوكيات الاجتماعية وتعزيز الوحدة الوطنية.

6- دمج التنمية الروحية مع التنمية المادية:

ينبغي لصانعي القرار والمخططين وضع استراتيجيات تنموية متكاملة تجمع بين التنمية الروحية, والأخلاقية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، لبناء مجتمع متوازن قادر على تحقيق التقدم الحقيقي.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

- **القرآن الكريم**

أولاً: الكتب:

1- الإخلاص والنية- عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا(ت: 281هـ), تحقيق: اياد خالد الطباع, دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع,دمشق, 2007م.

2- الأخلاق الأسرية - دروس من فكر الإمام الخميني- رسول سعاد تمند,ترجمة:شمس حجازي, المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية, بيروت-لبنان, ط1 , 1441هـ-2020م.

3- أخلاق أهل البيتυ- السيد مهدي الصدر(ت:1358هـ), دار البذرة,مطبعة الكلمة الطيبة, 1436هـ- 2014م.

4- الأخلاق في القرآن - ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي ابن ابي طالب(ع)، قم , ط3, 1428هـ.

5- أخلاقنا- من أبحاث السيد كمال الحيدري- د.طلال الحسن, مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة, بغداد، ط1, 1437هـ - 2016م.

6- أدب الدنيا والدين- علي بن محمد بن محمد ب حبيب الماوردي(ت:450هـ)، المطبعة الأميرية –القاهرة, ط16, 1343هـ- 1925م.

7- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد- محمد بن محمد بن النعمان المفيد(ت:413هـ), مؤسسة ال البيت لاحياء التراث,1416هـ-1999م.

8- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث – فهمي جدعان، دار الشروق، عمان، ط3 , 1988م .

9- الإسلام وتجديد الحياة المعنوية- جواد سعيد الطهراني، ذوي القربى, دفتر انتشارات اسلامي, ط1, 1384هـ.

10- الإسلام يقود الحياة, السيد محمد باقر الصدر(ت: 1400هـ), لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للشهيد الصدر, مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر, 1429هـ.

11- إسلامية المعرفة - محمد عمارة(ت: 1441هـ)، دار الشرق الأوسط، القاهرة, د.ط, د.ت.

12- أصول الحديث- عبد الهادي الفضلي(ت: 1434هـ), مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر , بيروت- لبنان, ط3, 1312هـ.
13- الاقتصاد – محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الطوسي(ت: 460هـ), مكتبة جامع جهلستون, طهران, 1400هـ.
14- اقتصادنا- السيد محمد باقر الصدر(ت:1400هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي, مؤسسة بوستان – قم, ط2 , 1425هـ.
15- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد, سعيد بن عبد الله بن ميخائيل الخوري الشرتوني(ت:1330هـ), منشورات مكتبة اية الله المرعشي النجفي, قم- ايران, 1403هـ.
16- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل- ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ط2 , 2005م.
17- بحار الأنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - محمد باقر بن محمد تقي ألمجلسي(ت:111هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1403هـ .
18- البحر المحيط – محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي(ت:745هـ)، دار الفكر، بيروت , د.ط, 1420هـ - 2000م.
19- البحر المحيط في أصول الفقه - بدر الدين الزركشي(ت:794هـ)، دار الكتبي، القاهرة, ط1 ,1414هـ - 1994م.
20- البرهان في تفسير القرآن، سيد هاشم بن سليمان البحرانى(ت:1107هـ)، مؤسسه بعثه, قم، ط1، 1374 هـ.
21- البضاعة المزجاة (شرح كتاب الروضة من الكافي) - محمد حسين ابن قارياغدي، دار الحديث، ايران, قم، ط1, 1429هـ .
22- البيان في تفسير القرآن - أبو القاسم الموسوي الخوئي(ت:1413هـ)، دار الزهراء، بيروت-لبنان , ط4, 1395 هـ - 1975 م.
23- تاج العروس من جواهر القاموس- محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي(ت:1105هـ), تحقيق: مصطفى جواد, دار الفكر , بيروت –لبنان,1984م.
24- تاريخ الفكر الاجتماعي، دار قطري بن الفيحاء للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، 1987م.
25- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة, علي الإسترآبادي، (ت:940هـ) , مؤسسة النشر الإسلامي, إيران, قم, ط1 , 1409 هـ.

26- التبيان في تفسير القرآن - محمد بن الحسن الطوسي(ت:460هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان, 1409هـ .
27- تحرير الوسيلة - روح الله الخميني(ت:1409هـ)، دار التعارف للمطبوعات, بيروت- لبنان , 1981م.
28- التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) - محمد الطاهر بن عاشور(ت:1393هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ط1 ، 1404 هـ.
29- تراث وآثار الشهيد مرتضى مطهري(ت:1399هـ),(المجتمع والتاريخ- التكامل الاجتماعي للإنسان- الله في حياة الإنسان),دار الإرشاد, بيروت- لبنان , ط 1,د.ت.
30- التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده- السيد محمد تقي المدرسي، دار منشورات المدرسي, طهران, 1413هـ.
31- التطوير التنظيمي أساسيات ومفاهيم حديثة- موسى اللوزي, دار وائل للنشر, ط5, 2012م.
32- التعريفات - علي بن محمد الجرجاني(ت:816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان, ط1, 1403هـ- 1983م.
33- التعريفات الفقهية , محمد عميم الاحسان المجددي البركتي(ت:1395هـ) , دار الكتب العلمية, بيروت,-لبنان ط1, 1424هـ-2003م.
34- التغير الاجتماعي - محمد احمد الزغبي، دار الطليعة، بيروت- لبنان, ط1, 1982م.
35- التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، محمد عبد الولي الدقس(ت:1393هـ)، دار مجدولاي، عمان، الأردن , 1987م.
36- التغير الاجتماعي مقدمة في المفهوم والنظرية – فضل عبدا لله الربيعي ، بيت الحكمة، بغداد، 2020م.
37- تفسير الإمام الرضا (ع) - محمد جواد المروّجي طبسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، 2010م
38- تفسير الصافي - محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني(ت:1091هـ)، مكتبة الصدر، طهران، ط2, 1415هـ.
39- تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي (ت:320هـ)، المطبعة العلمية، طهران، 1380هـ.

40- تفسير القران الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد بن علي بن رضا(ت:1354هـ), الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة- مصر, 1990م.
41- تفسير القران العظيم(تفسير ابن كثير), اسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي(ت:774هـ), تحقيق: سامي محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط2, 1420هـ- 1999م.
42- تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي(ت:329هـ)، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري, دار الكتاب للطباعة والنشر، قم- ايران, ط3, 1404هـ.
43- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) - فخر الدين محمد بن عمر الرازي(ت:606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3, 1420هـ .
44- التفسير المنسوب للإمام العسكري υ- الإمام الحسن العسكريυ، مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، قم ,ط1, 1409هـ.
45- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد سيد طنطاوي(ت:1431هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة, ط1, 1998م.
46- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب, محمد بن محمد رضا القمي, (ت: 1125هـ), وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران, ط1, 1410 هـ.
47- تفسير نور الثقلين - عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي(ت:1112هـ)، اسماعيليان، قم، 1415هـ.
48- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت:1104هـ), المكتبة الإسلامية, طهران, 1398هـ -1978م.
49- تقريب المعارف - تقي بن نجم أبو الصلاح الحلبي(ت:446هـ)، الهادي، قم، 1404هـ.
50- التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم - ربيع الروبي, مراجعة نصر فريد واصل, مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي, جامعة الأزهر مدينة نصر, القاهرة, 1998م.
51- التنمية الاجتماعية، عبد الباسط محمد حسن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1982م.
52- التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة , منال القصبي، دار الفكر، دمشق,2021م .
53- تهذيب اللغة- محمد بن احمد الأزهري(ت:370هـ), تحقيق: محمد عوض مرعب , دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط1, 2001م.
54- الثاقب في المناقب - محمد بن علي ابن حمزة الطوسي(ت:580هـ)، أنصاريان، ايران- قم، ط3, 1419هـ.

55- جامع الأخبار- تاج الدين محمد بن محمد الشعيري, المطبعة الحيدرية- النجف, ط1, د.ت.
56- جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير الطبري(ت:310هـ), تحقيق: احمد شاكر, دار الفكر، بيروت، ط1, 2000م.
57- جامع المقاصد في شرح القواعد - علي بن الحسين الكركي(ت:940هـ)، مؤسسة آل البيت، قم .
58- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي(ت:670هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط2، 1967م.
59- الحاشية على كفاية الأصول- السيد حسين الطباطبائي البروجردي(ت:1380هـ), انصاريان, قم, ط1, 1412هـ.
60- حتى يغيروا ما بأنفسهم- مالك بن نبي(ت:1393هـ), جودت سعيد(ت:1433هـ)، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع- القاهرة,ط2, 1989م.
61- الحريات العامة في الدولة الإسلامية - راشد الغنوشي، المركز المغاربي للبحوث، تونس.
62- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي- طه عبد الرحمن, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء- المغرب, ط2, 2008م.
63- حوار من أجل الديمقراطية - علي خليفة الكواري، دار الطليعة، بيروت، 1996م.
64- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت:911هـ)، مركز هجر للبحوث، القاهرة، 1423هـ .
65- دراسات في الحديث والمحدثين - هاشم معروف الحسني(ت:1403هـ)، دار التعارف، بيروت.
66- دراسات نقدية في اعلام الغرب, فلسفة الاخلاق- الحداثة, إيمانول كانط(ت:1408م) د. امير عباس صالحي, المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية , العتبة العباسية المقدسة, ط1, قم- ايران, 1440هـ- 2019م.
67- الدين والحضارة – مجموعة باحثين, إعداد: محمد حسين كياني, العتبة العباسية المقدسة, المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية, النجف, ط1, 2024م.
68- الذريعة إلى أصول الشريعة – علي بن الحسين الشريف المرتضى(ت:436هـ), تحقيق اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق(ع), مؤسسة الإمام الصادق(ع), ايران, قم.

69- رأس المال الاجتماعي - هاني خميس(ت:1415هـ)، المركز الدولي للدراسات المستقبلية، القاهرة، 2008م.
70- الرشد الاجتماعي رؤية قرانية- حسن موسى الصفار, دار الوارث للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, 1441هـ- 2019م.
71- روح المعاني في تفسير القران, محمود شكري الالوسي(ت:1270 هـ), دار الحديث القاهرة, 1429هـ.
72- زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي(ت:597هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.
73- زهرة التفاسير - محمد بن أحمد أبو زهرة(ت:1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.
74- سعد السعود للنفوس منضود , علي بن موسى ابن طاووس(ت:664هـ), دار الذخائر إيران، قم، الطبعة الأولى، د.ت.
75- سلسلة تراث وآثار الشهيد مرتضى مطهري , دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت - لبنان , ط 1.
76- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث - محمد الغزالي(ت:1416هـ)، دار الشروق، القاهرة، 1996م .
77- السيرة النبوية - عبد الملك ابن هشام(ت:218هـ)، دار الكتب المصرية- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, ط2, 1375هـ- 1955م.
78- الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية – جبريل بن حسن العريشي، الدار المنهجية, عمان- الاردن ، ط1 , 2015م.
79- الشخصيات الإسلامية - محمد عزيز الحبابي(ت:1993م)، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1969م.
80- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام- نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي(ت:676هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع, ط4, 1436هـ- 2015م.
81- شرح أصول الكافي - محمد صالح المازندراني(ت:1086هـ)، تحقيق: ابو الحسن الشعراني, دار احياء التراث العربي,بيروت- لبنان, ط1, 1421هـ- 2000م.

82- شرح صحيح مسلم - يحيى بن شرف النووي(ت:676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
83- شرح نهج البلاغة- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد (ت:656هـ), تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم, دار احياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ط1, 1378هـ- 1959م.
84- الشورى طبيعة الحاكمية في الإسلام, مهدي فضل الله(ت:1991م)، دار الأندلس، 1984م.
85- الصحاح في اللغة - إسماعيل بن حماد الجوهري(ت:393هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ط4, 1407هـ.
86- الصحاح في اللغة والعلوم - نديم مرعشلي(ت:1999م)، أسامة مرعشلي , دار الحضارة العربية- بيروت, ط1 , 1974م.
87- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع, شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) دار مكتبة الحياة – بيروت.
88- العدل الإلهي – مرتضى مطهري(ت:1349هـ), دار الإرشاد للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, 1973م.
89- علل الشرائع - محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق (ت:381هـ)، المكتبة الحيدرية- النجف, 1386 هـ - 1966 م.
90- العلمانيون والإسلام, محمد قطب (ت:2014م) ، دار الشروق، القاهرة، 1994.
91- عند ما يحكم الاسلام, رائد قاسم, دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, 1427هـ- 2006م.
92- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال- الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام- عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ط2, 1424هـ.
93- عيون أخبار الرضا - محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمي الصدوق (ت:381هـ)، دار المرتضى, بيروت – لبنان, 2022م.
94- الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة – احمد صالح علي بافضل, ادارة البحوث والدراسات الاسلامية-قطر, ط1, 1435هـ- 2014م.

95- الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة - احمد صالح علي, ادارة البحوث والدراسات الإسلامية, قطر,الدوحة, ط1 , 1435هـ- 2014م.
96- الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون– مغربي عبد الغني, ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر, 1988م.
97- فكرة التقدم - أحمد حمدي محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1980م.
98- فلاح السائل ونجاح المسائل - علي بن موسى ابن طاووس(ت:664هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، 1406هـ.
99- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون – زينب محمود الخضيري, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة-مصر, 2007م.
100-فلسفتنا, السيد محمد باقر الصدر(ت:1980م), دار التعارف للمطبوعات, شبكة الفكر, بيروت- لبنان, ط3, 1430هـ-2009م.
101-في ظلال القرآن - سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي(ت:1966م)، دار الشروق للنشر، القاهرة- مصر , ط2 ,2019 م.
102-فيض القدير شرح الجامع الصغير, محمد عبد الرؤوف المناوي(ت:1031هـ) ,تحقيق: احمد عبد السلام, دار الكتب العلمية- بيروت, ط 1, 1415 هـ .
103-القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت:817هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت, ط1 , 1413هـ 1993م.
104-القرآن والعقل الحداثي - روح الله الموسوي(ت:1409هـ)، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية, دار الوارث للطباعة والنشر- كربلاء, ط2 , 2019م.
105- القواعد الفقهية- يعقوب عبد الوهاب الباحسين(ت:2022م)، مكتبة ابن رشد، الرياض, 1418هـ.
106- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي, عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، دار الفكر,دمشق, ط1, 1421هـ- 2000م.
107-القياس النفسي والتربوي, محمد احمد عمر وآخرون ، ، دار المسيرة، عمان ،2010م .
108-القيم بين الإسلام والغرب, مانع بن محمد بن علي المانع، دار الفضيلة للنشر والتوزيع, الرياض,ط1, 1426هـ- 2005م.
109- القيم والعادات الاجتماعية, فوزية دياب، دار الكاتب العربي,1966م.

110-الكافي - محمد بن يعقوب الكليني(ت:329هـ)، تحقيق: غفاري علي اكبر, دار الكتب الإسلامية، طهران، ط4, 1407هـ.

111-كتاب العين - الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي(ت:173هـ)، دار الهجرة، قم، 1409هـ .

112-كتاب سليم بن قيس الهلالي - سليم بن قيس الهلالي(ت:76هـ)، دار الهادي، قم- إيران, ط1, 1405هـ .

113-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل - محمود بن عمرو الزمخشري(ت:538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ .

114-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أيوب بن موسى الكفوي(ت:1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش, مؤسسة الرسالة، بيروت, 1998م.

115-كنز العمال في سن الأقوال والأفعال- علاء الدين علي المتقي الهندي(ت:975هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت , ط5, 140هـ- 198م.

116-كنز الفوائد - محمد بن علي كراجكي(ت:449هـ)، دار الذخائر، قم، 1410هـ.

117-لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور(ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3, 1414هـ.

118-مبادئ السلام والبراءة في القانون الدولي الإسلامي, فاضل المالكي, دائرة العلوم الإسلامية, اسماعيليان, ط1, 1414هـ.

119-متشابه القرآن ومختلفه - محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني(ت:588هـ)، دار بيدار، قم، 1369هـ .

120-المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي - محمود نعمة الجياشي، دار ترتيل – النجف الاشرف, مطبعة دار الكفيل, ط2, 1443هـ- 2022م.

121-مجمع البحرين - فخر الدين بن محمد الطريحي(ت:1085هـ), دار المرتضوى، طهران، ط3, 1417هـ.

122-مجمع البيان في تفسير القرآن – ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:381هـ)، دار المرتضى, 1427هـ- 2006م.

123-مجمع البيان في تفسير القرآن - الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:381هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

124-المحكم والمتشابه – علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى(ت:436هـ), تحقيق: عبد الحسين الغريفي, مجمع البحوث الإسلامية, مشهد, ط2, 1428هـ.

125-مختار الصحاح – محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي(ت:666هـ), تحقيق: يوسف محمد, المكتبة العصرية- الدار النموذجية, بيروت-لبنان, ط5 , 1420هـ- 1990م.

126-مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي – د.عبد العزيز فهمي هيكل، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان, 1983م.

127-المدخل إلى علم الاجتماع, عبد اللطيف عبد الحميد العاني وآخرون، مديرية دار الكتب، بغداد، 1990م.

128-المدرسة القرآنية- محمد باقر الصدر(ت:1400هـ), دار الكتاب الاسلامي, مطبعة ستار, ط2, 1434هـ-2013م.

129-مستدرك الوسائل - الميرزا حسين النوري الطبرسي(ت:1320هـ)، مؤسسة آل البيت، قم، 1408هـ.

130-مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي(ت:1405هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

131-المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام, محمد بن جرير الطبري(ت:310هـ), كوشانبور, قم-ايران, ط1, 1415هـ.

132-المسلم في عالم الاقتصاد - مالك بن نبي(ت:1393هـ)، دار الفكر، دمشق، 1407هـ.

133-المشروع الحضاري الإسلامي – محمد حسين فضل الله(ت:1431هـ), مؤسسة العارف للمطبوعات, ط1, 1991م.

134-المشروع النهضوي العربي - محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2, 2000م.

135-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- احمد بن محمد بن علي الفيومي ابو العباس(ت:1368هـ) , المطبعة الأميرية, مصر, ط3, 1912م.

136-معارج اليقين في أصول الدين - محمد بن محمد السبزواري(ت:1098هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر.

137-معارج اليقين في أصول الدين - محمد بن محمد السبزواري(ت:769هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر.

138-معارك من اجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، محمد اركون(ت:2010م), ترجمة وتعليق: هاشم صالح, دار الساقي, بيروت- لبنان,2001م.

139-معاني الأخبار - محمد بن علي الصدوق(ت:381هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم, 1379هـ.

140-المعجم الفلسفي - جميل صليبا(ت:1396هـ)، الناشر ذوي القربى - مطبعة سليمان زاده, ط1, 1385هـ.

141-المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني (ت:360هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

142-معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, دكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم, دار الفضيلة, القاهرة- مصر, ط1, 1999م.

143-المعجم المفصل في الجموع – الدكتور إميل بديع يعقوب (ولد:1950م), دار الكتب العلمية -بيروت,ط1 , 1425هـ- 2004م.

144-المعجم الوسيط - اللجنة العلمية بمجمع اللغة العربية - إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة, ط2, 1392هـ- 1972م.

145-معجم مصطلحات أصول الفقه, د.قطب مصطفى سانو,دار الفكر, دمشق, 2000م.

146-معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكريا(ت:395هـ) ، تحقيق- عبد السلام محمد هارون, اتحاد الكتاب العرب, ط2, 1423هـ-2002م.

147-معرفة القرآن – السيد مرتضى مطهري، مطبعة المعارف، طهران، 1974م.

148-معيار العلم في فن المنطق, أبو حامد الغزالي(ت:505هـ), شرح: احمد شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط2, 1434هـ.

149-المغرب في ترتيب المعرب, أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز(ت:616هـ), دار الكتاب العربي - بيروت, د.ت.

150-مفاهيم القرآن وتشريعاته - جعفر السبحاني، تحقيق: جعفر الهادي, مكتبة الحائري الطهراني, قم, 1973م.

151-مقدمة في علم الاجتماع السياسي – أحمد زايد(ت:1446هـ) ، دار قطري بن الفيحاء، الدوحة، 1988م.

152-مقدمة في علم الاستغراب - حسن حنفي(ت:1443هـ), الدار الفنية لنشر والتوزيع, القاهرة- مصر, 1991م.

153-مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد - د.عامر الكفيشي, دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, 1427هـ - 2006م.

154-المكاسب - مرتضى بن محمد امين الانصاري(ت:1281هـ), مطبعة الاطلاعات, تبريز, 1378هـ.

155-من أخلاق العلماء - محمد الحسيني الشيرازي(ت:1347هـ)، مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر, 1997م.

156-من لا يحضره الفقيه - محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الصدوق) (ت:381هـ)، مكتب النشر الإسلامي، قم- ايران, 1413هـ .

157-المناهج التفسيرية في علوم القران- جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم- ايران.

158-مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق - حسان علي حلاق(ت:1444هـ)، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

159-المنبع الموسع - عصام حداد- حسان جعفر،دار ربيع للنشر والتوزيع ، ط1, 2011م.

160-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة, الميرزا حبيب الله حسن زاده الآملي الخوئى (ت:1324هـ), المكتبة الاسلامية-طهران, ط4, 1400هـ.

161-منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع - محمد السيد يوسف، دار السلام، القاهرة، 2007م.

162-الموافقات في أصول الشريعة - إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت:790هـ)، دار المعرفة، بيروت.

163-الموسوعة الفقهية, مادة قيم, وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية- الكويت, 2012م.

164-موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون و العلوم ,محمد بن علي التهانوي(ت:1158هـ), ترجمة عبدالله الخالدي, مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, ط1 , 1996م.

165-موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب – جيرار جهامي، جامع الكتب الإسلامية ، بيروت- لبنان, ط1 , 1998م.

166-ميزان الحكمة - محمد الريشهري(ت:1443هـ)، دار الحديث، قم، 1422هـ.

167-الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي(ت:1402هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1997م .

168-نزهة الناظر وتنبيه الخاطر - الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني(ت:القرن الخامس الهجري)، مدرسة الإمام المهديں، قم، ط1, 1408هـ .

169-النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الاسلامي- ياسر ابو شبانة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع, ط3, 2003م.

170-نظرية الإصلاح من القرآن الكريم – إحسان الأمين، المؤسسة اللبنانية للإعلان، بيروت، ط1, 2010م.

171-نهج البلاغة الإمام علي υ - جمع محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي(ت:406هـ)، تحقيق: محمد عبده, دار الذخائر , قم- ايران, ط1, 1312هـ .

172- الهدايا لشيعة أئمة الهدى(شرح اصول الكافي) - محمد المجذوب التبريزي (ت:1099هـ)، دار الحديث، قم، 1429هـ.

173-الوافي - محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني(ت:1091هـ)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليυ، أصفهان- ايران، ط1, 1406هـ.

ثانياً: الدوريات والمجلات:

1- الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم – د.فؤاد علي- محمود عبد المجيد عساف، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول, كلية أصول الدين, الجامعة الإسلامية , غزة ,**1429هـ - 2008م.**

2- تأثير الفيس بوك على القيم الاجتماعية لدى الطالب الجامعي ،بخوش وليد-نصيب اسماء جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي, مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية,عدد6, 2017م.

3- تحقيق الامن الاجتماعي في الإسلام- بسام خضر الشطي, مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت, عدد77, 2009م.

4- التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم - مجلة العلوم الاجتماعية، لطيفة طبال، جامعة سعد دحلب البليدة- الجزائرالعدد الثامن 2012م.

5- التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية – زكي محمد إسماعيل, جامعة الإمام محمد بن سعود- مجلة كلية العلوم الاجتماعية , عدد4, 1980م

6- الثقافة بين المفهوم الغربي والاسلامي , الائتلاف والاختلاف, عماد الهلالي, مجلة المنهاج, 28- 32, العدد 67, 1433هـ- 2012م.

7- صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي, السيد محمد باقر الصدر, بحث أهدي إلى الشعب الايراني بمناسبة اختياره للجمهورية الإسلامية , دار التعارف للمطبوعات , ط1, 1979م.

8- عبد الرحمن الكواكبي وحركة الإصلاح الديني,احمد عيساوي, مجلة المنهاج, عدد44, الغدير للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, 1427هـ-2007م.
9- الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها, الدكتورة إلهام محمد شاهين، مجلة الدراسات الاسلامية والعربية بالقاهرة, جامعة الازهر, العدد 36, مصر, 2019م.
10- القيم والمعايير والضبط الاجتماعي- دراسة نظرية عن الواقع العراقي, شاكر حسين الخشالي, مجلة العلوم التربوية والنفسية, الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية, عدد 113, 2015م.
11- مسؤولية المجتمع في تثبيت القيم الاجتماعية-نشرة تصدر عن مكتب المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي في كربلاء المقدسة, العدد 104-1440هـ.
12- الوقف الإسلامي وأثره في التنمية الاقتصادية, حسن لطيف الزبيدي, حولية المنتدى، السنة الأولى، ، جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، النجف الأشرف, العدد 1، 2008م.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

1- أسس النهضة والتقدم الاقتصادي في السيرة النبوية , رؤى ماجد طعمة , رسالة ماجستير, الجامعة العراقية- بغداد – كلية أصول الدين- قسم العقيدة ,2010م.
2- التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي, - زينب محمد ,رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات, جامعة بغداد، 2018.
3- العقل الوضعي عند اوجست كونت، الطاهر مولف، رسالة ماجستير, جامعة منتوري قسنطينة, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, 2008م.
4- القيم الاجتماعية في البرامج الحوارية من وجهة نظر طلبة الجامعات- علي عبد المعطي محمود, اطروحة دكتوراه – جامعة الشرق الاوسط, كلية الاعلام,2012م.
5- القيم التربوية في القرآن الكريم - أحمد الخوالدة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2015م.

6- نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري، محمد بن أحمد بن ايوب, رسالة ماجستير, كلية العلوم الإسلامية, جامعة الجزائر,2015م.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

1- مفاهيم التقدم والتطور, حسن حنفي, الاتحاد الإماراتية:
https://www.aletihad.ae/opinion/3992857 Theory سبتمبر , ٢٠٠٨
2- الاقتصاد الأخلاقي, مجلة نهر الأمل – https://nahr-alamal.com/ 2024م.
3- حياة الفيلسوف لبفرنسي اوغست كونت, بريتلنيكا:
https://www.britannica.com/biography/Auguste - Comte
Auguste Comte", Britannica, Retrieved Edited , 22-1-2022.
4- تطور متعدد الخطية, موقع المعرفة . https://marefa.org/wBQuL 2024م.
5- تعريف التطور الاجتماعي, ريم الدرابسيه, موقع موضوع كوم,
https://mawdoo3.com. 4 ديسمبر 2025م.
6- التغير الاجتماعي قراءة في المفهوم والموضوع - فضل عبدا لله يحيى الربيعي
https://share.google/uQRidvgLBD2dRgicc 2024م.
7- رأس المال الاجتماعى، هانى خميس، مفاهيم، الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولى للدراسات المستقبلية والإستراتيجية،
https://open.ncl.ac.uk/theories/16/social-capital-
8- الظواهر الطبيعية, مروة المتولي, البوابة نيوز:
https://www.albawabhnews.com/4552058,28 -مارس- 2022م.
9- الكفاءة والفاعلية: دراسة مقارنة - withscalers.com, 2021م.
10- المعيار, معجم المعاني الجامع: www.almaany.com, 2024م.
11- المعيار,هاني يونس محمد عمران , الموسوعة العربية https://arab-ency.com.sy/ency/details/10400/19 , 6-9-2024.
12- الموسوعة العربية الشاملة – أمل سالم: https://pin.it/55xwDdEZj, 2023م.

Abstract:

This thesis, titled "Criteria for Progress and Development in the Qur'an: Presentation and Analysis", examines how the Qur'an defines the criteria that lead to progress and development in various aspects of human life. The study analyzes Qur'anic texts that refer to religious, cultural, scientific, economic, and political criteria that form the foundation for human advancement, The thesis focuses on interpreting the Qur'anic verses related to scientific, economic, and political progress, and their relationship to ethical and religious values. It presents the criteria provided by the Qur'an to achieve a balance between worldly life and the hereafter, and grounds the concept of progress within Qur'anic teachings

It also compares these criteria with modern concepts of progress and development, highlighting their compatibility with contemporary ideas. The thesis shows that progress and development in the Qur'an are not solely materialistic but also encompass ethical and spiritual dimensions, promoting sustainable and holistic development

Finally, the thesis concludes that the Qur'an offers comprehensive and integrated criteria for progress, going beyond material development to include a balance between material and spiritual aspects, making it a rich reference for societies seeking balanced and comprehensive progress.

Abstract----------

The thesis concludes that the Holy Qur'an presents a comprehensive vision of progress and development, founded on a balance between spiritual values and material achievements. True progress is measured by a society's ability to adhere to the value system that safeguards human dignity and ensures its advancement and perfection. Adopting Qur'ani standards as a reference in planning for comprehensive development, and linking contemporary civilizational renaissance to moral and spiritual foundations, guarantees the sustainability of progress and protects society from deviation.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala

College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

The Standards of Progress and Development in the Quran- Presentation and Analysis

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences University of Kerbala as part of the requirements for obtaining a Master's degree in Sharia and Islamic Sciences

:Written by the student

Hassan Emad Jawad

:Supervised by

Prof. Dr. Mohammed Hussein Aboud Al-Taie

1447 **2025**